

السيدة عائشة أم المؤمنين
مساهمتها في الحياة العامة، مناقشة الافتراءات المكذوبة.

إعداد: محمد أحمد صبرة

الطبعة الإلكترونية الأولى.

للتواصل مع المؤلف:

<https://www.facebook.com/m.s.tartus>

m.s.tartus@gmail.com

WattsApp ٩٨٨٢٨٩٨٩٢/٠٠٩٦٣

مقدمة الكتاب:

هدف الكتاب هو الرغبة في إحياء المثال الكبير للمرأة، فعائشة رضي الله عنها امتازت بالذكاء الحاد والنفس الطاهرة النقية، والسريرة المبرأة، وهي الراوية لربع الشريعة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهي الفقيهة العالمة، وصاحبة العلم الغزير والفهم العميق.

ساهمت رضي الله عنها مساهمة جليلة في الفكر والفقه الإسلامي حتى أضحت مدرسة لها خصائص ومميزات، دلّ على هذا حفظها وضبطها للأحاديث النبوية رغم صغر سنّها، ومحاورتها للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فامتازت بعقل واع ولسان سؤول، فكانت مرجعاً للصحابة إذا استشكل عليهم أمر أو مسألة.

كل من يقرأ سيرة هذه السيدة رضوان الله عليها يدرك مبلغ العلم الذي بلغته، ولا عجب في ذلك فهي حبيبة رسول رب العالمين، وقد حرص المصطفى عليه الصلاة والسلام على تثقيفها وتعليمها وهي التي ترعرعت في مهبط الوحي ومنبع العلم. و"كان الناس يرون علم عائشة قد بلغ ذروة الإحاطة والنضج في كل ما اتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه.. ومع حمل الأصحاب إلى الأمصار طائفة صالحة من الأحاديث والأحكام حتى كانوا ثمة مرجع طلاب العلم ورواة الحديث، بقيت المدينة - لأسباب أهمها وجود السيدة نفسها فيها - دار الحديث ومنبع العلم، فحين يشكل على أهل الأمصار أمر من الأمور، يكتبون إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجاز يسألونهم عن حكم الله فيه، فكان هؤلاء إذا فاتهم شيء رجعوا إلى علماء بينهم اشتهروا بحمل العلم وفقهه كعبد الله بن عمر وأبي هريرة وابن عباس.... ومقام السيدة بينهم مقام الأستاذ من تلاميذه، فكان عمر بن الخطاب يحيل عليها كل ما تعلق بأحكام النساء أو بأحوال النبي البيئية، لا يضارعهما في هذا الاختصاص أحد من النساء على الإطلاق. ويصل إلى مسمع السيدة عائشة عن أولئك الصحابة العلماء روايات وأحكام على غير وجهها، فتصحح لهم ما أخطأوا فيه أو تبين ما خفي عليهم، حتى اشتهر ذلك عنها، فصار من شك في رواية أتت عائشة سائلاً، وإن كان بعيداً كتب إليها يسألها. ومن هنا طار لها ذلك الصيت في التمكن من العلم، ورجع إلى قولها كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وابنه وأبي هريرة وابن عباس وابن الزبير. وقد نُقِلَ عنها وحدها ربع الشريعة على ما يقول الحاكم في مستدركه"^(١). وقال الزهري: لو جُمِعَ علم عائشة إلى علم النساء، لكان علم عائشة أفضل"^(٢).

ثمّ هي تدخلت في الحياة السياسية، وكان لها أعظم الأثر في كل الأحداث، وهذا يدلّ على عظيم دور المرأة في الإسلام، فهي مفكرة وفقهية (أي مشرّعة) وسياسية، وتحمل علماً لا يُضاهى في الأمور الاجتماعية، وخاصة في موضوع الأسرة، فهي الأكثر نقلاً عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة، وهي مُشَارَكَةٌ لا يخفى أثرها على حياة الناس والمجتمع.

وتجدر الإشارة إلى أن دراسات عدة تناولت شخصية أم المؤمنين عائشة بالبحث والدرس^(٣) وثمة دراسات برأسها اقتصرت على الاتجاه الفقهي والأصولي لدى أم المؤمنين عائشة، منها: دراسة العنزي (٢٠٠٧م) التي

(١) -عائشة والسياسة - سعيد الأفغاني ص ٢١-٢٢.

(٢) -راجع للتوسع: سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢-٢٠٠ بحث عائشة بنت الصديق.

(٣) منها على سبيل المثال لا الحصر:

اختصت بتناول فقه أم المؤمنين عائشة في مجال الأحوال الشخصية،^(١) ودراسة الجوارنة (١٩٩٦م)، التي اختصت بفقه أم المؤمنين عائشة في مجال العبادات،^(٢) دراسة أبو سعيد (١٤١٧هـ) التي تناولت فقه أم المؤمنين عائشة في بابي الطهارة والصلاة،^(٣) فضلاً عن الدراسة الجامعة لفقه أم المؤمنين عائشة دراسة الدخيل، (١٩٨٩م)، موسوعة فقه عائشة أم المؤمنين،^(٤) أما المنهج الأصولي لأم المؤمنين عائشة فقد تناولته دراسة الموسى (١٤٢٨هـ)، المنهج الأصولي لأم المؤمنين عائشة.^(٥) وقد أفادت هذه الدراسة من مجموع تلك الدراسات السابقة وسعت إلى التميز بربط المنهج النبوي في تكوين الشخصية الفقهية للأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأثره في الفتاوى الصادرة عنها.

ومن أهداف الكتاب جمع جُل أو معظم الاتهامات والشبهات التي تتردد في وسائل التواصل وكتب أهل الأهواء حول هذه الشخصية المميّزة بجراتها الكبيرة وعلمها العزير وعقلها الواعي، ثم مناقشتها والرد عليها بحقائق العقل والمنطق والأثر الصحيح المنقول، وتنخيل الواهي منها والضعيف الذي لم يحقق شروط العدالة والصدق في الراوي، مع العلم أن الهجوم الشرس على شخصية أم المؤمنين عائشة، هو لتوهين مرويّات الحديث الشريف والانتقاص من شخص الرسول الكريم، وضرب أصحاب النبي الكريم ببعضهم وزعزعة الثقة فيهم وفي ما نقلوه وفي أخلاقهم لضرب الثقة في تراث الإسلام كاملاً ومنه القرآن الكريم الذي نقلوه لنا قال الإمام الحافظ أبي زُرعة الرازي: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول عندنا حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن، والسنن، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة"^(٦)

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت لعرض شخصية أم المؤمنين عرضاً مناسباً وكافياً، وأن يكون قد تم الإجهاز على تلك الشبه والافتراءات الدنيئة التي افتراها أهل الأهواء على عرض رسول الله، مع العلم أنه لن يزال هنالك من يثبت فيها الروح وينفخ فيها ويجدد لها مكانها بين الحين والآخر، ولكن لا بد من جهد المقل ولا عذر المخل، وأسأل الله القبول والتوفيق والرضا فمنه وحده التوفيق، وهو من يكتب القبول في الأرض وفي السماء.

- سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، للباحث: سليمان الندوي، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٣م.

- السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، للباحثة: جيهان رفعت فوزي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.

- حياة عائشة "أم المؤمنين" رضي الله عنها، للباحث: محمود شلي، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٨م.

- عائشة أم المؤمنين، أيامها وسيرتها الكاملة في صفحات، للباحث: محمد سعيد البوطي، دمشق: مكتبة الفارابي، ١٩٩٧م.

(١) هاني مفلح العنزي، (٢٠٠٧م)، فقه السيدة عائشة في الأحوال الشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البلقاء التطبيقية، السلط، الأردن.

(٢) إبراهيم محمد الجوارنة، (١٩٩٦م)، فقه السيدة عائشة أم المؤمنين في العبادات، رسالة ماجستير جامعة صدام للعلوم الإسلامية، بغداد، العراق.

(٣) تحاني إبراهيم أبو سعيد، (١٤١٧هـ)، فقه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بابي الطهارة والصلاة، دراسة مقارنة بين المذاهب الفقهية الأربعة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

(٤) سعيد فايز الدخيل، (١٩٨٩م)، موسوعة فقه عائشة أم المؤمنين: حياتها وفقهها، بيروت: دار النفائس.

(٥) أسماء الموسى، المنهج الأصولي لأم المؤمنين عائشة وأثره في الأحكام الشرعية إزاء المرأة، مجلة البحوث الفقهية، ع: ٨٠، ص ٢٧٥-٣٣١.

(٦) -رواه الخطيب في الكفاية ص ٩٧، والحافظ ابن حجر في الإصابة ١/١٠. وأبو زرعة أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام وفضائله كثيرة.

الفصل الأول: حياة أم المؤمنين، مكانتها، خصائصها (ص: ٤-٥٠)

- البحث الأول: مولدها وزواجها ويوم وفاتها.....ص: ٤
- البحث الثاني: حادثة الإفك وحكم من قذف السيدة عائشة رضي الله عنها.....ص: ١٢
- البحث الثالث: خصائصها وفضائلها وأخلاقها.....ص: ٢١
- أولاً: خصائص وفضائل نساء النبي عامة.
- ثانياً: فضائل وخصائص أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
- ثالثاً: أخلاقها.

البحث الرابع: مناقشة الإشكاليات المطروحة حول عمر السيدة عائشة وزواج النبي منها وهي صغيرة.....ص: ٣٦

الفصل الثاني: مساهمة أم المؤمنين عائشة في الحياة الإسلامية (ص: ٥١-١٠٥)

- البحث الأول: مساهمتها العلمية.....ص: ٥٢
- البحث الثاني: حول دعوى فساد مرويات السيدة عائشة رضي الله عنها، ومكانتها العلمية.....ص: ٥٩
- البحث الثالث: ملامح المنهج النبوي في تكوين الملكة والصناعة الفقهية لدى أم المؤمنين عائشة.....ص: ٦٤
- البحث الرابع: مساهمتها السياسية.....ص: ٧٤
- البحث الخامس: هل خروج عائشة على علي تبرج منها ومخالفة لأمر الله {وقرن في بيوتكن}.....ص: ٩١
- البحث السادس: هل فعل طلحة والزبير ما يوجب النار وهو استباحة قتل المسلم؟! وكيف بشراً بالجنة؟.....ص: ٩٦

الفصل الثالث: مناقشة الافتراءات والمطاعن المكذوبة على السيدة عائشة (ص: ١٠٥-١٥٧)

- أولاً: قالوا إنّ أهل السنة سموها أم المؤمنين ولم يسمّوها غيرها بذلك الاسم.....ص: ١٠٧
- ثانياً: اتهموا أهل السنة أنهم عظموا أمر عائشة على باقي نساء النبي مع أنه كان يكثر من ذكر خديجة.....ص: ١٠٨
- ثالثاً: زعمهم أنها أذاعت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم.....ص: ١١٠
- رابعاً: إن عائشة سقت النبي صلى الله عليه وسلم السم.....ص: ١١٢
- خامساً: إن عائشة اتهمت مارية القبطية بالزنا فنزلت فيها آية الإفك.....ص: ١١٥
- سادساً: إن عائشة رضي الله عنها كانت تبغض عثمان، وتقول: "اقتلوا نعتلاً فقد كفر".....ص: ١١٩
- سابعاً: إن عائشة منعت من دفن الحسن بن علي عند جده.....ص: ١٢٣
- ثامناً: إن عائشة رضي الله عنها كانت تكذب على رسول الله.....ص: ١٢٦
- تاسعاً: إن عائشة أغضبت فاطمة حتى أبكتها العلاقة الحسنة بين أم المؤمنين عائشة وآل البيت.....ص: ١٢٩-١٣٣
- عاشراً: زعموا أن النبي قال لها أنك ستقتليني علياً وأنت له ظلمة. !!.....ص: ١٣٤
- الحادي عشر: زعموا أنها خالفت أمر رها في قوله: {وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}.....ص: ١٣٤
- الثاني عشر: إن عائشة خرجت لقتال علي رضي الله عنهما.....ص: ١٣٦
- الثالث عشر: إن عائشة رضي الله عنها كانت تبغض علياً رضي الله عنهما.....ص: ١٣٨
- الرابع عشر: الطعن في أم المؤمنين عائشة بمشاركتها في حرب الجمل بشبهة مركبة.....ص: ١٤٠
- الخامس عشر: ينقمون عليها مرافقة طلحة والزبير لها عندما توجهت إلى البصرة قصد الإصلاح بين بنيها.....ص: ١٤٦
- السادس عشر: نهب عسكر السيدة عائشة بيت مال البصرة عند دخولها.....ص: ١٤٦
- السابع عشر: أطاعها في خروجها عشرات الآلاف ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله لما طلبت حقها.....ص: ١٤٧
- الثامن عشر: إن الفتنة خرجت من بيت عائشة.....ص: ١٤٨
- التاسع عشر: إن عائشة رضي الله عنها كانت لا تحتجب من الرجال.....ص: ١٥١
- العشرون: إن عائشة رضي الله عنها كانت تزين الجواري وتطوف بهن.....ص: ١٥٣
- الحادي والعشرون: إن عائشة كانت تسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني عشر: روايتها لحديث إرضاع الكبير.....ص: ١٥٤

الفصل الأول: حياة أم المؤمنين، مكانتها، خصائصها

البحث الأول: مولدها وزواجها ويوم وفاتها

عائشة بنت الصديق، ولدت بعد مبعث النبي بأربع سنين أو خمس^(١) أي قبل الهجرة بحوالي ثماني سنوات^(٢) سنوات^(٣) وتلتقي مع رسول الله في مرة بن كعب^(٤)، وأمها السيدة أم رومان^(٥) من أشرف بيوت قريش وأعرقها في المكانة، وكنّاها رسول الله بـابن أختها عبد الله بن الزبير^(٦) وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومن ثم كانت تُلقَّب بالْحُمَيْرَاءِ^(٧) والعرب تطلق على الأبيض أحمر لغلبة السمرة على لون العرب^(٨) والعرب تقول: امرأة حمراء أي بيضاء، وسئل ثعلب: لم خص الأحمر دون الأبيض؟ فقال: لأن العرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا أحمر^(٩).

تأثّر بناء شخصيتها فكراً وسلوكاً ومشاعراً بالبيئة التي نشأت فيها، تقول رضي الله عنها: "لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيْ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرِيقَ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَأَبْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ؛ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"^(١٠)، وانظر إلى هذه الذكريات المحفورة في عقلها منذ الطفولة، وكيف شكلت تلك الشخصية الفذة.

لَمَّا تُوفِّيتْ خَدِيجَةُ جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةً عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَزَوِّجُ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكَرًّا، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا. قَالَ: فَمَنْ الْبُكَرُ؟ قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ

(١) -وعائشة ممن ولد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بشماني سنين، وانظر: سير أعلام النبلاء (١٣٩/٢)، وأسد الغابة (٣٨٣/٣).

(٢) -انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٨/٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٦٨/٨)، والخلاصة (٦٨/١)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٥١/١)، والإجابة لإيزاد ما استدركتته عائشة على الصحابة (٤٠/١)، وسير أعلام النبلاء (١٣٥/٢).

(٣) -انظر: المجموع شرح المذهب (٨٩/١).

(٤) -تزوجها أبو بكر الصديق بعد حليفه عبد الله بن سخبيرة، وأنجبت منه عبد الرحمن بن أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر، وانظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٣٠٠/٣)، وموسوعة توحيد رب العبيد (٤٨٢/١٤). لما توفيت نزل رسول الله إلى قبرها واستغفر لها وقال: "اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم"، وقال عنها يوم وفاتها: "من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الخور العين فلينظر إلى أم رومان"

(٥) -انظر: عمدة القاري (١٠٠/١)، وشرح الكوكب المنير (١٥١/٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٩/٢)، وخاء في معجم ابن الأعرابي: أَنَّهَا جَاءَتْ بِسِقْطٍ فَسَقَاةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ، وَ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ لِأَنَّ مَدَارَةَ عَلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُحَبَّرِ صَاحِبِ كِتَابِ "الْعُقْل"، وَهُوَ مَتْرُوكٌ عِنْدَ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: وَإِ لَاشِيءَ، وَانْظُرْ: الْإِجَابَةُ لِإِيزَادٍ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ (٣٧/١)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٨/٨)، وطرح الشرب (٣٣٧/١).

(٦) -والحميراء، في خطاب أهل الحجاز: هي البيضاء بشقرة، وهذا نادر فيهم، وانظر: سير أعلام النبلاء (١٤٠/٢)، وورد هذا اللقب في رواية النسائي من طريق أبي سلمة عنها "دَخَلَ الْحَبَشَةُ يَلْعُبُونَ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبُّنَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ" [سنن النسائي الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب، حديث رقم (٨٩٥١)]، وقال ابن حجر: "إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَلَمْ أَرِ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ ذِكْرَ الْحُمَيْرَاءِ إِلَّا فِي هَذَا"، والمعنى أَنَّ معظم الأحاديث التي ذكرت هذا اللفظ ضعيفة، وانظر: فتح الباري (٣٧١/٣).

(٧) -انظر النهاية في غريب الأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار المكتبة العلمية، بيروت ١٩٧٩، ج ٤٣٨/١. والقاموس المحيط للفيروز آبادي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند عام ١٩٧٢ م، ط ٢ ص ٣٤٨٧.

(٨) -لسان العرب المحيط، لابن منظور إعداد يوسف خياط و ندم مرعشلي، دار لسان العرب المحيط، مج ٧١٤/١.

(٩) -صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الْمَسْجِدِ يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ مِنْ غَيْرِ ضَرَرٍ بِالنَّاسِ، حديث رقم (٤٥٦).

عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ. قَالَ: وَمَنْ التَّيِّبُ؟ قَالَتْ: سَوْدَةُ ابْنَةُ زَمْعَةَ قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ. قَالَ: فَأَذْهَبِي فَأَذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ^(١) فخطبها^(٢) النبي بمكة، وهي بنت ست سنين في شوال سنة عشرة من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين^(٣) ودخل بها وهي بنت تسع^(٤) في المدينة في شوال بعد وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة^(٥) من غير اعتبار الكبر^(٦) ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة، ولم يتزوج بكراً غيرها^(٧).

وفي زواج النبي صلى الله عليه وسلم من عائشة تقول: قال رسول الله: "أُرِيْتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ^(٨) مِنْ حَرِيرٍ وَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَكُشِفَ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُضَيِّهِ"^(٩)، وانتظر رسول الله فلم يخطب عائشة حتى جاءته خولة زوج صاحبه عثمان بن مظعون ترشحها له.

وكان بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي دخلت فيه أم المؤمنين عائشة حجرة واحدة من الطوب اللبن النسي والطين ملحق بها حجرة من جريد مستورة بالطين، وكان باب حجرة السيدة عائشة مواجهاً للشام، وكان بمصرع واحد من خشب، سقفه منخفض وأثاثه بسيط: سرير من خشبات مشدودة بجبال من ليف عليه، ووسادة من جلد حشوها ليف، وقرية للماء، وآنية من فخار للطعام والوضوء^(١٠).

لقد كانت الصديقة عائشة ما تزال صغيرة تحتاج ما تحتاج إليه أمثالها من اللعب والصواحب، فكانت تلعب بالعباب مع صاحباتها في بيت النبوة، فلم يكن الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم ينفر من هذا أو يتضايق من بل كان عليه والصلاة السلام يُسرُّ بصاحبات الصديقة لأنهن يلعبن معها، قالت: (وكانت تأتيني صواحي فكن ينقمعن من رسول الله، قالت: فكان رسول الله يُسرُّهن إلي)^(١١) فقد كان يخرج ويعيدهن إليها.

(١) -مسند أحمد حديث رقم (٢٥٧٦٩). قال الهيثمي في المجمع: "رواه أحمد بعضه صرح فيه بالاتصال عن عائشة وأكثره مرسل وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وثقه غير واحد وبقية رجاله رجال الصحيح" وانظر: مجمع الزوائد (٣٦٣/٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن".

(٢) -تزوج بها وبسودة في وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة في شوال بعد وقعة بدر سير أعلام النبلاء (١٤١/٢) - (١٤٢).

(٣) -وقيل: بستنتين، وبسنة ونصف أو نحوها، وانظر: عمدة القاري (١٠٠/١)، والإجابة لإيراد ما استندركته عائشة على الصحابة (٣٩/١)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٨/٢)، وأسد الغابة (٣٨٣/٣).

(٤) -انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، حديث رقم (٣٦٠٥)، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، حديث رقم (٢٥٤٧)، وقال ابن عبد البر: "لا أعلمهم اختلفوا في ذلك"، وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٨/٢).

(٥) -ذكر ابن عبد البر: أنه أعرس بها في المدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره إلى المدينة، وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٨/٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٧/٨)، و سير أعلام النبلاء (١٣٥/٢)، وطرح التثريب (٣٣٧/١).

(٦) -قد يعجب البعض من زواج النبي بامرأة في سن بنته وبامرأة بسن أمه والجواب من وجوه عدة. أولها: أن العرف في ذلك الزمان لم يُنكر مثل هذا؛ وكل ما لم يحكم به الشرع فمردة للعرف ولو كان ذلك مرة لما فعل ذلك رسول الله ولما سكنت أعداء النبي ولجعلوا من هذه القضية قضية كبيرة جداً. وثانيها: أن للبيئة دور في نضج المرأة وعدمه؛ فالبيئة الصحراوية الحارة تنضج بها النساء في سن مبكر. وثالثها: أن في كل زواج حكم؛ فمعاملة الصغيرة تختلف عن معاملة الكبيرة، وهكذا أراد الله أن يكون للناس قدوة لهم في رسول الله في كل أحوالهم.

(٧) -انظر: سبل السلام (٣٦/١)، والحاوي الكبير (٦٠/٩)، والإجابة لإيراد ما استندركته عائشة على الصحابة (٣٩/١)، وقال ابن حجر: وفي الصحيح أيضاً لم ينكح بكراً غيرها، وهو متفق عليه بين أهل النقل، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٧/٨)، و سير أعلام النبلاء (١٤٠/٢).

(٨) -أي قطعة من حرير، وانظر: فتح الباري (٢٢٦/١١).

(٩) -صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وقُدومها المدينة وبنائه بها، حديث رقم (٣٦٠٦).

(١٠) -انظر: رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرافضة (٢٩/٢).

(١١) -رواه مسلم في صحيحه، ج ٤/١٨٩١.

وكان عليه والصلاة والسلام يلاطفها ويلاعبها بما يلائم صغرها وسنها ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها: (قدم رسول الله من غزوة تبوك أو خير وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب. فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي ورأى بينهن فرساً لها جناحان من رقاد. فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان. قال: فرس له جناحان! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه) ^(١).

وكان يسترها بردائه حتى تنظر إلى لعب الأحباش لتسليتها، بل كان عليه الصلاة والسلام يقف دون كلل أو ملل حتى تملّ رضي الله عنها و تنصرف، ومن ذلك ما روته عائشة: (لقد رأيت رسول الله يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد و إنه ليسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقف من أجلي حتى أكون أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو). ^(٢)

ومن شدة حبها لرسول الله وورعها لله تعالى عند الخصومات التي تحصل بين الأزواج لا تهجر إلا اسمه ويبين ذلك ما روته الصديقة عندما قال لها الرسول: (إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبي قالت: ومن أين تعرف ذلك قال: أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين لا ورب محمد. وإذا كنت غضبي، قلت: لا ورب إبراهيم، قالت عائشة قلت: أجل والله يا رسول ما أهجر إلا اسمك) ^(٣).

وكانت رضي الله عنها فرحة مرحة مع رسول الله وباقي زوجاته الكرام ويدل على ذلك ما رواه الهيثمي وغيره في مجمع الزوائد: (أتيت النبي بحيرة ^(٤) وقد طبختها له، فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها: كلي فأبت، فقلت: لتأكلين أو لأطخن وجهك فأبت، فوضعت يدي في الحيرة فطليت وجهها، فضحك النبي فوضع بيده لها، قال لها: الطخي وجهها ففعلت فضحك النبي صلى الله عليه وسلم....). ^(٥)

وكثيراً ما كان رسول الله يناديها بابنة الصديق تحباً وإكراماً لابنة الصديق لما لها وأبيها من مكانة عظيمة في قلبه وقلب كل مؤمن بالله ورسوله، من ذلك ما روته عائشة قالت: قلت يا رسول الله {الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة} هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال لا يا ابنة الصديق: ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق، ويخاف ألا يقبل منه) ^(٦)

وكذلك كان رسول الله يناديها بابنة أبي بكر لبيان عظيم مكانتها ومكانة أبيها أحب الناس إلى قلب رسول الله ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، أن عائشة قالت: أرسل أزواج النبي فاطمة بنت رسول الله إلى رسول الله، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وأنا ساكتة، قالت فقال لها رسول الله "أي بنية أألسن تحبين

(١) -رواه أبو داود في سننه، ج٤/٢٨٣-٢٨٤. والنسائي في سننه، ج١/٧٥.

(٢) -رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، ج٦/١٥٩ ومسلم في صحيحه، ج٢/٦٠٩.

(٣) -البخاري في صحيحه، ج٦/١٥٨ ومسلم في صحيحه، ج٤/١٨٩٠ أما ما يرويه أبو داود من أن عائشة كانت ترفع صوتها على رسول الله فقال لها أبو بكر الصديق: (يا بنت فلانة، ترفعين صوتك على رسول) (سنن أبي داود، ج٤/٣٠٠) فهو حديث ضعيف ضعفه الألباني برقم ٤/٤٩٩٩.

(٤) -حيرة: حساء من دقيق ودسم.

(٥) -مجمع الزوائد للهيثم، ج٣١٥-٣١٦. مسند أبي يعلى، ج٧/٤٤٩.

(٦) -شرح العقيدة الطحاوية، تخريج الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ص ٣٦٥.

ما أحب؟" فقالت: بلى، قال " فأحي هذه " قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله فرجعت إلى أزواج النبي فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء، فارجعي إلى رسول الله فقلولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدا قالت عائشة، فأرسل أزواج النبي زينب بنت جحش، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله، ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب وأتقى الله وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة من حدة كانت فيها، تسرع منها الفئعة، قالت: فاستأذنت على رسول الله، ورسول الله مع عائشة في مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها، فأذن لها رسول الله فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي، فاستطالت علي، وأنا أرقب رسول الله وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها، قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله لا يكره أن أنتصر، قالت: فلما وقعت بها لم أنشئها حتى أنحيت عليها، قالت: فقال رسول الله: وتبسم إنها " ابنة أبي بكر " (١)

وأيضاً كان رسول الله يناديها **بالموفقة** لتوفيق الله تعالى لها بكل ما تقول أو تفعل رضي الله تعالى عنها. روى أن رسول الله قال: من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة، فقالت عائشة: فمن كان له فرط من أمتك قال: ومن كان له فرط يا موفقة.. (٢)، كما قال النبي ﷺ قال لابنته فاطمة رضي الله عنهما: "أي بنية، أأست تحيين ما أحب" فقالت: بلى، "فأحي هذه". (٣) أنظر إلى محبة النبي لعائشة رضي الله عنها، وقد حافظ النبي ﷺ على حبه لعائشة حتى آخر لحظة من حياته، كيف لا وقد أخبره جبريل عليه السلام: "هذه زوجتك في الدنيا والآخرة" (٤) في مرضه الذي مات فيه يقول: "أين أنا غداً، أين أنا غداً؟" يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه في بيتي فقبضه الله وإن رأسه لبين نخري وسحري، وخالط ريقه ريقني"، وتقول: **ودفن في بيتي**. (٥)

وانظر إلى وصيته لسيدة نساء الجنة فاطمة رضي الله عنها بأن تحب عائشة رضي الله عنها، ويأتي أناس يطعنون فيها بل ويشتمونها بأقبح الشتائم، ألم يعلموا بأنهم واقفون بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وستكون عائشة خصيصة لهم يوم القيامة، وسيأخذ الله تعالى حقها منهم، قالت عائشة رضي الله عنها، لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران: ١. لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني. ٢. ولقد تزوجني بكراً، وما تزوج بكراً غيري. ٣. ولقد قبض ورأسه في حجري. ٤. ولقد قبرته في بيتي

(١) -رواه مسلم في صحيحه، ج٤/ ١٨٩١.

(٢) -رواه الترمذي في جامعهم، ج٣/ ٣٧٦ وقال عنه حسن غريب، وقد ضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم ٥٨٠١.

(٣) -أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب من أهدى إلى صاحبه، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم (٢٤٤٢)، باب فضائل فاطمة.

(٤) -صحيح سنن الترمذي رقم (٣٠٤١).

(٥) -أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته وأخرجه البخاري في كتاب الجنائز.

٥. ولقد حفت الملائكة بيتي. ٦. وإني لابنة خليفته وصديقه. ٧. ولقد نزل عذري من السماء. ٨. ولقد خلقت طيبة عند طيب. ٩. ولقد وُعدت مغفرة ورزقاً كريماً. (١)

قالت عائشة : اجتمع صواحي إلى أم سلمة فقلن : والله إن الناس يتحرون بمداياهم يوم عائشة ، وأنا نريد الخير كما تريد عائشة ، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه ما كان أو حيث ما دار قالت : فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت : فأعرض عني ، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك ، فأعرض عني ، فلما كان في الثالثة ذكرت له ذلك ، فقال : "يا أم سلمة لا تؤذوني في عائشة ، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها" (٢)، قال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر العالمين المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها وأن ذلك الأمر حبه لها. (٣)

وأخرج الترمذي من طريق الثوري، أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر فقال أعزب مقبوحاً أتؤذي محبوبة رسول الله ﷺ. وأخرجه بن سعد من وجه آخر، وقال مقبوحاً منبوحاً، وزاد إنها لزوجته في الجنة، وعن عبد الله بن زياد الأسدي قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدمنا علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عماراً يقول: والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكُم إياه تُطيعون أم هي؟ (٤)

ومن حرص السيدة عائشة على النبي كانت تظهر أمامه بأبهى حلة ومنظر فالسيدة عائشة خير مثال للمرأة الصالحة، فقد كانت حريصة ألا يرى منها إلا ما يسره، كثرة الاهتمام بمظهرها وزينتها، قالت: دخل علي رسول الله وفي يدي فتحات من ورق (خواتيم كبيرة)، ما هذا يا عائشة؟ فقلت صنعتهن أتزين لك يا رسول الله قال أتؤدين زكائن؟! قلت لا، أو ما شاء الله، قال: هو حسبك من النار! (٥)، وكانت تنصح النساء يتزين لأزواجهن قالت لإحدهن: إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتضعيهما أحسن مما هما فافعلي (٦)، وسألته امرأة قائلة: إن في وجهي شعرات أفأنتفهن أتزين بذلك لزوجي؟ فقالت عائشة: أميطي عنك الأذى وتصنعي لزوجك كما تصنعين للزيارة وإذا أملك فلتنطيعية، وإذا أقسم عليك فأبريه، ولا تأذني في بيته لمن يكره (٧) كما كانت السيدة عائشة حريصة على تزيين حجرتها ويبدو أنها اشتهرت بين نساء المدينة بحبها للزينة وذوقها الرفيع فيها لذلك كان نساء المدينة يستعرن بعض ثيابها ليلبسنها عرائس ليلة زفافهن، يدل على ذلك أنه

(١) -انظر الإصابة (٢٠/٨).

(٢) -أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة.

(٣) -سير أعلام النبلاء (١٤٣/٢).

(٤) -رواه البخاري في كتاب "فضائل الصحابة"، باب فضائل عائشة رقم (٣٧٧٢)، ورقم (٧١٠٠)، ورقم (٧١٠١).

(٥) -رواه أبو داود

(٦) -سير أعلام النبلاء

(٧) -المصنف ٣- ١٤٦، وهذا لا يتعارض مع الحديث الصحيح الذي روته السيدة بقولها: "كفى رسول الله عن الواشمه والمستوشمة والواصلة والمستوشمة والمستوشمة"، ومن المعلوم أن النامضة التي تزيل شعر وجهها بالمناقش وكلام السيدة يحمل على التزين بغير ذلك، وقد أجاز الفقهاء للمرأة الحف والتحمير والنقش والتطريف إذا كان بإذن الزوج لأنه من الزينة، قال النووي: يجوز التزين بما ذكر إلا الحف فإنه من جملة النماص بل إن الحنابلة ذهبوا إلى جواز النماص إذا لم يكن شعار للفاسقات وفي رواية يجوز بإذن الزوج وحملوا النهي في الحديث على الكراهة التنزيهية" انظر فتح الباري ١٠/ ٣١٨.

لما رفضت جاريتها أن تلبس ثوبا من ثيابها قالت السيدة: كان لي منهجٌ درع على عهد رسول الله فما كانت امرأة تقين (تترف ليلة عرسها) بالمدينة إلا أرسلت إليّ تستعيده. ^(١)

ولم يعكر صفاء علاقة السيدة بالنبي عليه الصلاة والسلام شيء طيلة حياتها في كنفه سوى محنة السيدة في حادثة الإفك، فقد كان هذا الحادث سحابة سوداء مرت في حياة السيدة وامتنحت فيها محنة من أشد المحن وأقساها ولكن عناية الله أدركتها فبددت هذه السحابة، وأعدت إلى بيت النبوة ومهبط الوحي صفاء وضمت إلى مناقب السيدة مناقب جديدة تتلأأ في عقد مناقبها وفضائلها آيات من التنزيل الحكيم يتلوها المؤمنون في محاربيهم وصلواتهم إلى يوم الدين، فقد خرجت السيدة من المحنة بشهادة ربانية براءتها وطهرها وطيبها، شهادة لا تمحوها الأيام ولا تخلقها الأعوام، مما زاد في مكانتها في قلب رسول الله وأعلى من مقامها في نفسه وفي نفوس المؤمنين إلى يوم الدين ^(٢)، وهو موضوع البحث التالي.

قَبْلَ مَوْتِهَا اسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ. قَالَتْ: أَخَشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ؛ فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ وَمِنْ وَجْهِ الْمُسْلِمِينَ. قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ؛ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنْ اتَّقَيْتُ. قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْكُحْ بِكَرًّا غَيْرِكَ، وَنَزَلَ عُذْرُكَ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسِيًّا مَنْسِيًّا ^(٣) وفي رواية أحمد قالت: "أَخَافُ أَنْ يُزَكِّيَنِي" ^(٤)، وفي هذا دليل على تواضع عائشة وفضلها وتشديد لها في أمر دينها ^(٥).

وفي رواية أخرى أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: "يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقْدِمِينَ عَلَيَّ فَرِطَ صِدْقٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ" ^(٦) وفي هذه الرواية قطع ابن عباس لعائشة بدخول الجنة، ولا يُقال هذا إلا بتوقيف؛ فيكون لهذه الرواية حكم المرفوع، وهذه فضيلة عظيمة لعائشة ^(٧).

وكل من يعودها يبشرها فترد عليه قائلة: يا ليتني كنت حجرا، يا ليتني كنت مدرة، واستأذن عليها ابن عباس في مرضها فأبت أن تأذن له، فقال لها بنو أخيها: ائذني له، فإنه من خير ولدك، قالت: دعوني من تزكيتي، فلم يزالوا بها حتى أذنت له، فلما دخل عليها قال: إنما سميت أم المؤمنين لتسعدي، وإنه لاسمك قبل أن تولدي، إنك كنت من أحب أزواج النبي إليه، ولم يكن رسول الله يحب إلا طيبا، وما بينك وبين أن تلقي الأجابة إلا أن تفارق الروح الجسد، ولقد سقطت قلاذك ليلة الأبواء، فجعل الله للمسلمين خيرة في ذلك،

(١) - رواه البخاري.

(٢) - الشيخ عبد الحميد طهراز، السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، ص: ٥٣، ٦٠.

(٣) - صحيح البخاري كتاب التفسير، باب "وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ"، حديث رقم (٤٣٨٤).

(٤) - مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣/٣٨٩)، حديث رقم (١٩٠٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٥) - انظر: فتح الباري (١٣/٢٦٥).

(٦) - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (٣٤٨٧).

(٧) - انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤٠٤/٢٤).

فأنزل الله تبارك وتعالى آية التيمم، ونزلت فيك آيات من القرآن، فليس مسجد من مساجد المسلمين إلا يتلى فيه عذرك آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني من تركيتك لي يا ابن عباس، فوددت أني كنت نسيا منسيا^(١). وقالت عند وفاتها: (لا تدفني معهم وادفني مع صواحي بالبقيع، لا أركى به أبدا)^(٢) وفي رواية ابن سعد: (إني قد أحدثت بعد رسول الله، فادفوني مع أزواج النبي)^(٣) كما أمرت أن تدفن من ليلتها.

وسمعت أم سلمة الصرخة فقالت لجارية: اذهبي فانظري، فقالت: وجبت، فقالت أم سلمة: والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس إلى رسول الله إلا أباه^(٤)، وفي رواية الطيالسي: سمعت أم سلمة الصرخة على عائشة فأرسلت جاريتهما: انظري ماذا صنعت؟ فجاءت فقالت: قد قضت، فقالت: يرحمها الله، والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس كلهم إلى رسول الله إلا أباه^(٥). وكان أبو هريرة والي المدينة بالنيابة فصلّى على عائشة، ونزلها في القبر كل من القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عتيق، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن الزبير، ودفنت بالبقيع^(٦)، وقامت القيامة في المدينة المنورة لأفول شمعة من شموع المدينة. يقول مسروق (التابعي الجليل): لولا بعض الأمر لأقمت المناحة على أم المؤمنين^(٧).

سئل رجل من أهل المدينة كيف كان وجد الناس على عائشة؟ فقال: كان فيهم وكان، قال: أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه^(٨). وقد تركت عائشة مما تركت غابة، فورثتها أختها أسماء ثم اشتراها منها معاوية بمئة ألف درهم، فوزعتها أسماء في القاسم بن محمد وابن أبي عتيق^(٩).

أقامت في صحبة النبي ثمانية أعوام وخمسة أشهر^(١٠) وَتُوِّفِيَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانٍ عَشْرَةَ سَنَةً^(١١) ورأسه في حجرها ودفن في بيتها^(١٢)، تُوفيت رضي الله عنها بعده بالمدينة سنة سبع وخمسين أو ثمان وخمسين للهجرة النبوية، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلّت من رمضان، ودفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة المنورة في أيام معاوية^(١٣)، وهى في سن الخامسة أو السادسة والستين من عمرها، وَأَنَّهَا مَاتَتْ

(١) -أخرج الجزء الأول من الحديث الإمام البخاري في صحيحه كتاب المناقب برقم ٣٧٧١ وقد أخرجه كاملا الحاكم في المستدرک ٩ / ٤ برقم ٦٧٢٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والإمام أحمد في مسنده ١ / ٢٢٠ برقم ١٩٠٥.

(٢) -أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز برقم ١٣٩١ وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة برقم ٧٣٢٧.

(٣) -أخرجه الحاكم في المستدرک برقم ٦٧١٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وابن سعد في الطبقات الكبرى ٨ / ٧٤

(٤) -أخرجه الحاكم في المستدرک ٤ / ١٥ برقم ٦٧٤٦.

(٥) -أخرجه الطيالسي في مسنده ٢٢٤ / ١.

(٦) -الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٧ / ٨.

(٧) -الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٨ / ٨.

(٨) -الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٨ / ٨.

(٩) -صحيح البخاري ترجمة الباب.

(١٠) -وقيل: تسع سنوات، وانظر: المجموع شرح المهذب (٨٩/١)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٨/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٤٨/٢).

(١١) -سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، حديث رقم (١٨٦٧)، وقال الألباني: صحيح، وانظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٣٧٧/٤).

(١٢) -انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، حديث رقم (١٣٠٠).

(١٣) -سبل السلام (٣٧/١)، وعمدة القاري (١٠٠/١)، وشرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (٥١/١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢٠/٨).

بَعْدَ الْوُتْرِ، وَأَمَرْتُ أَنْ تُدْفَنَ مِنْ لَيْلَتِهَا؛ فَاجْتَمَعَ الْأَنْصَارُ وَحَضَرُوا فَلَمْ نَرِ لَيْلَةً أَكْثَرَ نَاسًا مِنْهَا نَزَلَ أَهْلُ الْعَوَالِي،
فَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ. وسارت خلفها الجموع باكية عليها في ليلة مظلمة حزينة، فرضي الله عنها وأرضاها^(١).

لم تحمل عائشة قط ولم تلد ولدا، ومع ذلك لم يكن أصابها حزن أو تأسف على ذلك، ولا هي اشتكت طول حياتها وكان من عادة أشرف العرب أنهم كانوا يكتنون بأسماء أولادهم، فلا يناديهم أحد بأسمائهم الأصلية، بل كانوا يخاطبون بكنائهم، فقالت عائشة لرسول الله: كل صواحي لمن كني، قال: (فاكتني بابنك عبد الله، يعني ابن أختها، فكانت تكنى بأم عبد الله)^(٢) وقد أشكلت هذه الكنية على ابن الأعرابي، فروى أنها أسقطت ولدا سماه النبي عبد الله، فكانت لهذا تكنى بأم عبد الله^(٣) ولكن هذه الرواية واهية، في غاية الضعف سنداً، والصحيح الثابت الذي نصت عليه الأحاديث أنها لم تلد. والمراد بعبد الله هو ابن أختها عبد الله بن الزبير أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، وكانت اليهود تقول: قد أخذناهم فلا يولد لهم ولد ذكر، فكبر أصحاب رسول الله حين ولد عبد الله، ولما ولد أخذه الرسول فوضعه في حجره وأتى بتمرة فمصها ثم مضغها ثم وضعها في فيه فحنكه بها، فكان أول شيء دخل بطنه ريق رسول الله^(٤)، وقد تبنته عائشة، وكانت تحبه حبا شديداً، وهو كذلك يحبها أكثر من أمه، كما أن عائشة كانت تربي أيتاما آخرين في حضنها وتحت رعايتها، روى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أنه قال: كانت عائشة تليني وأخا لي يتيمين في حجرها، فكانت تخرج من أموالنا الزكاة^(٥). وقصة تربيتها لبنت أنصارية وتزويجها المذكورة في الأحاديث، تقول: كانت في حجري جارية من الأنصار فزوجتها، قالت: فدخل علي رسول الله يوم عرسها فلم يسمع لعبا فقال: (يا عائشة إن هذا الحي من الأنصار يحبون كذا وكذا)^(٦). كما أنها هي التي ربت بنات محمد بن أبي بكر الصديق وزوجتهن^(٧).

(١) -انظر: الخلاصة (٦٨/١)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٥٢/١)، والإجابة لإيزاد ما استدرجته عائشة على الصحابة (٤٠/١).

(٢) -سنن أبي داود كتاب الأدب برقم ٤٩٧٠.

(٣) -شرح الزرقاني على المواهب ٣/٢٦٩.

(٤) -أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/٦٣٢ برقم ٦٣٣٠.

(٥) -موطأ الإمام مالك ١/٢٥١ برقم ٥٨٩.

(٦) -أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٢٦٩ برقم ٢٦٣٥٦ وابن حبان في صحيحه ١٣/١٨٥ برقم ٥٨٧٥، وأورده الهيثمي في موارد الظمان

٤٩٤/١ برقم ٢٠١٦ والطبراني في الأوسط ٥/٣٥٢ برقم ٥٥٢٧.

(٧) -موطأ الإمام مالك باب ما لا زكاة فيه من الحلي ١/٢٥٠ برقم ٥٨٦.

البحث الثاني: حادثة الإفك وحكم من قذف السيدة عائشة رضي الله عنها (١)

خرجت السيدة عائشة رضي الله عنها مع رسول الله في غزوة بني المصطلق بقرعة أصابته، وكانت تلك عادته مع نسائه أن يقرع بينهم أيها يخرج سهمها تخرج معه وذلك للعدل بينهم، فلما رجعوا من الغزوة، نزلوا في بعض المنازل، فخرجت عائشة لحاجتها ثم رجعت، ففقدت عقداً لأختها كانت أعارتها إياه، فرجعت تلتمسهُ في الموضع الذي فقدته فيه، فجاء النفر الذين كانوا يرحلون هودجها، فظنوها فيه، فحملوا الهودج، ولا ينكرون خفته، لأنها رضي الله عنها كانت فتية السن، لم يغشها اللحم الذي كان يثقلها، وأيضاً، فإن النفر لما تساعدوا على حمل الهودج، لم يُنكروا خفته، ولو كان الذي حمله واحداً أو اثنين، لم يخف عليهما الحال، فرجعت عائشة إلى منازلهم، وقد أصابت العقد، فإذا ليس بها دأع ولا نجيب، فقعدت في المنزل، وظنّت أنهم سيفقدونها، فيرجعون في طلبها، والله غالبٌ على أمره، يُدبّر الأمر فوق عرشه كما يشاء، فغلبتها عينها، فنامت، فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المعطل: إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله وكان صفوان قد عرس في أخريات الجيش (استراح)، لأنه كان كثير النوم، كما جاء عنه في "صحيح أبي حاتم" وفي "السنن".

فلما رآها عرفها، وكان يراها قبل نزول الحجاب، فاسترجع، وأناخ راحلته، ففرّبا إليها، فركبتها، وما كلّمها كلمة واحدة، ولم تسمع منه إلا استرجاعه، ثم سار بها يقيّوها حتى قدّم بها، وقد نزل الجيش في نحر الظهر، فلما رأى ذلك الناس، تكلم كلّ منهم بشاكرته، وما يليق به، ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي بن سلول متنفساً، فتنفّس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يستحكي الإفك، ويستوشيه، ويُدعيه، ويجمعه، ويُفرقه، وكان أصحابه، يتقربون به إليه، فلما قدّموا المدينة، أفاض أهل الإفك في الحديث، ورسول الله ساكت لا يتكلم، ثم استشار أصحابه في فراقها، فأشار عليه عليّ أن يفارقها، وبأخذ غيرها تلويحاً لا تصريحاً، وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها، وألا يلتفت إلى كلام الأعداء. (٢)

فعليّ لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه، أشار بترك الشكّ والرّيبة إلى اليقين ليتخلّص رسول الله من الهمّ والغمّ الذي لحقه من كلام الناس، فأشار بحسم الداء، لما علّم حب رسول الله لها ولأبيها، وعلم من عفتها وبراءتها وحصانتها وديانتها ما هي فوق ذلك، وأعظم منه، وعرف من كرامة رسول الله على ربّه ومنزلته عنده، ودفاعه عنه، أنه لا يجعل ربة بيته وحبيبته من النساء، وبنّت صديقه بالمنزلة التي أنزلها به أرباب الإفك، وأن رسول الله أكرم على ربه، وأعزّ عليه من أن يجعل تحته امرأة بغياً، وعلم أنّ الصّديقة حبيبة رسول الله أكرم على ربه من أن يبتليها بالفاحشة، وهي تحت رسوله.

تقول السيدة عائشة حول نزول براءتها: والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرّ في أنفسكم وصدّقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر الله يعلم أيّ منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال {فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون} ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم أيّ حينئذ بريئة وإن الله مبرئي براءتي ولكن والله ما كنت أظن أن في شأني

(١) - زاد المعاد للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى .

(٢) - حادثة الإفك، رواها البخاري في تفسير سورة النور برقم (٤٧٥٠) والإفك: الكذب، وقيل هو أشد أنواع الكذب يقال رجل أفاك: أي كذاب وقال البخاري: والأفك بمنزلة النجس والتّجس. "أفكه" أي قلبه وصرفه عن الشيء ومنه قوله تعالى ﴿أَجْنِبْنَا لَأْفَاكُنَا عَمَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

وحيا يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرئني الله بها فو الله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت فسري عن رسول الله وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال : "يا عائشة أما الله فقد برأك"، قالت: فقالت لي أُمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله عز وجل قالت وأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ - إلى آخر العشر الآيات من سورة النور - ثم أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق ، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال أبو بكر الصديق بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع^(١).

قوة ثبات السيدة عائشة رضي الله عنها وتبرئتها من فوق سبع سموات.

ومن تأمل قول الصديقة وقد نزلت براءتها، فقال لها أبوها : قومي إلى رسول الله، فقالت : والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، من تأمل هذا علم معرفتها، وقوة إيمانها، وتولييتها النعمة لربها، وإفرادها بالحمد في ذلك المقام، وتجريدها التوحيد، وقوة جأشها، وإدلالها ببراءة ساحتها، وأنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح، الطالب له وثقتها بمحبة رسول الله لها قالت ما قالت، إدلالا للحبيب على حبيبه، ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال، فوضعت موضعها، والله ما كان أحبها إليه حين قالت: لا أحمد إلا الله، فإنه هو الذي أنزل براءتي، والله ذلك الثبات والرزانة منها، وهو أحب شيء إليها، ولا صبر لها عنه ، وقد تنكر قلب حبيبها لها شهرا ثم صادفت الرضى منه والإقبال، فلم تبادر إلى القيام إليه، والسرور برضاه، وقربه مع شدة محبتها له، وهذا غاية الثبات والقوة . اهـ .^(٢)

قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ الآيات العشر من سورة النور قال : هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه ، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول فقال: إن الذين جاءوا بالإفك عصبة، أي جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فإنه كان يجمعه ويستوشيه

(١) - حادثة الإفك أخرجه البخاري في كتاب المغازي برقم (٣٩١٠) .

(٢) - انظر زاد المعاد للإمام ابن قيم الجوزية .

حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزوه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن، وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة (١).

يقول ابن القيم من فوائد هذه الحادثة:

وَمَنْ قَوَّيْتُ معرفته لله ومعرفته لرسوله وقدره عند الله في قلبه، قال كما قال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة، لما سمعوا ذلك: «سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ» (النور: ١٦) وتأمل ما في تسبيحهم لله، وتنزيههم له في هذا المقام من المعرفة به، وتنزيهه عما لا يليق به، أن يجعل لرسوله وخليفه وأكرم الخلق عليه امرأةً خبيثةً بغيًا فمن ظنَّ به سبحانه هذا الظنَّ، فقد ظنَّ به ظنَّ السوء، وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق إلا بمثلها كما قال تعالى: «الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ» (النور: ٢٦)، فقطعوا قطعاً لا يشكُّون فيه أن هذا بُهْتَانٌ عظيم، وقرينة ظاهرة.

فإن قيل: فما بال رسول الله توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده وبما يليق به قال «سبحانك هذا بهتان عظيم»، فالجواب: إن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لها وامتحاناً وابتلاءً لرسول الله ﷺ الأمة إلى يوم القيامة ليرفع بهذه القصة أقواماً ويضع بها آخرين. ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيماناً ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

واقترضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها، ولا يُوحى إليه في ذلك شيء لتتم حكمته التي قدرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق، وحسن الظن بالله ورسوله، وأهل بيته، والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، ويُظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها، والافتقار إلى الله والذلُّ له، وحسن الظن به، والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق، ولهذا وقت هذا المقام حقّه، لما قال لها أبوها، قومي إليه، وقد أنزل الله عليه براءتها، فقالت: والله لا أقومُ إليه، ولا أحمُدُ إلا الله، وهو الذي أنزل براءتي. وأيضاً فكان من حكمه حبس الوحي شهراً، أن القضية مُحَصَّتْ وتمَحَضَّتْ، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشرافٍ إلى ما يُوحى الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ، وأهل بيته، والصديق وأهلُه، وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه، وسرُّوا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة، وأنزل الوحي على الفور بذلك، لفاتت هذه الحكمة وأضعافها بل أضعاف أضعافها.

وأيضاً فإن الله سبحانه أحبُّ أن يُظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده، وكرامتهم عليه.

وأيضاً فإن رسول الله كان هو المقصود بالأذى، والتي رُميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه، أو ظنه الظنَّ المقارب للعلم ببراءتها، ولم يظنَّ بها سوءاً قطُّ، وحاشاه، وحاشاها.

ولما جاء الوحي ببراءتها، أمر رسول الله بمن صرّح بالإفك، فحُدُوا ثمانين ثمانين، ولم يُحد الخبيث عبد الله بن أبي، مع أنه رأس أهل الإفك، فقليل: لأن الحدود تخفيفٌ عن أهلها وكفارة، والخبيث ليس أهلاً لذلك، وقد وعدَّه الله بالعذاب العظيم في الآخرة، فيكفيه ذلك عن الحد. فبعد هذا البيان وتبرأت الله تعالى لها من فوق سبع سموات فهل بقي لمن في قلبه مرض، أو نفاق أدنى كلام.

من ميزات السيدة أم المؤمنين في هذه المحنة:

- لم تتكلّم رضي الله عنها بكلام فيه تسخُّط أو فُحش مع شدّة المحنة، بل قالت: "سبحان الله! أوتكلم الناس بهذا؟!"، وفي رواية ابن إسحاق أنها قالت لأُمّها: "غفر الله لك، يتحدّث الناس بهذا ولا تذكرين لي؟!". قال ابن حجر رحمه الله: استغاثت بالله متعجبةً من وقوع مثل ذلك في حقّها، مع براءتها المحقّقة عندها.

- استحضار القرآن في حديثها؛ ففي الوقت الذي نُسيت فيه اسم (يعقوب) وذكرته بأبي يوسف، مع ذلك واللّه كانت مستحضرةً للقرآن فقالت: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلًا الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

- إفراد الله بالحمد، وتوليّتها النعمة لربّها: قال ابن القيم: "ومن تأمل قول الصديقة، وقد نزلت براءتها فقال لها أبواها: قومي إلى رسول الله فقالت: "والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله"، علِم معرفتها، وقوة إيمانها، وتوليّتها النعمة لربّها، وإفراده بالحمد في ذلك المقام وتجريدها التوحيد".

- إدلالها ببراءتها، وإعطاء كل مقام حقّه: وذلك أيضاً في قولها: "والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله"، فدلّ ذلك على "قوة جأشها، وإدلالها ببراءة ساحتها، وأنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح، الطالب له، وثقتها بمحبة رسول الله لها قالت ما قالت، إدلالاً للحبيب على حبيبه، ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسنُ مقامات الإدلال، فوضعت موضعه" (١). وقال ابن الجوزي: "إنما قالت ذلك إدلالاً، كما يُدُلُّ الحبيب على حبيبه" (٢).

- ثباتها ورزانتها: وذلك بإدخال أسباب الحب إلى قلبه صلى الله عليه وسلم، فهو يحب أن يرى زوجته في كمال معرفتها برّها وتوحيدها له لذا قال ابن القيم: "والله ما كان أحبها إليه حين قالت: "لا أحمد إلا الله؛ فإنه هو الذي أنزل براءتي"، والله ذلك الثبات والرزانة منها، وهو أحبُّ شيءٍ إليها، ولا صبر لها عنه، وقد تنكر قلب حبيبه لها شهراً، ثم صادفت الرّضى منه والإقبال، فلم تبادر إلى القيام إليه، والسرور برضاه وقربه مع شدة محبتها له، وهذا غاية الثبات والقوة" (٣).

- فطنة أمّها أم رومان وحُسن تربيتها: وهذا يدلنا على أن عائشة تحرّجت في بيتٍ معروف بالأدب والزناة، لا الفحش والطيش؛ فإن عائشة لما ذهبت إليها تسألها عما يتكلم به الناس قالت: "يا بنية، هوّني عليك؛ فما من امرأة وضيعة لها ضرائر إلا أكثرت عليها"، وفي رواية: "لقمّا أحب رجلٌ امرأته إلا قالوا لها مثل ذلك"، وفي رواية: "إلا حسدناها وقيل فيها"، وقال الحافظ رحمه الله: "وفي هذا الكلام من فطنة أمّها، وحسن تأدّبها في تربيتها ما لا مزيد عليه؛ فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها، فهوّت عليها الأمر بإعلامها بأنّها لم تنفرد بذلك؛

(١) - زاد المعاد (٤/ ٢٦٤)، ط الرسالة.

(٢) - نقلاً من فتح الباري (٨/ ٤٧٧).

(٣) - المصدر السابق.

لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له، وأدجّت في ذلك ما تطيّب به خاطرها من أهما فائقة في الجمال والحظوة، وذلك ما يعجب المرأة أن توصف به، مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش وأن الحامل لها على ذلك كونه عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش^(١) وقد أكدت كلامها باليمين، وفيه التأكيد لما تقوله.

- سمو بيت النبوة: إذ إن أزواجه لم يقعن في الفرية، مع أنهن ضرائر لها، وبينهن من الغيرة ما هو من طبيعة النساء، وقد قالت أم عائشة لها: "والله ما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها". قال ابن أبي جمر: "لأن العادة جارية بأن المرأة إذا كان فيها أحد هذه الثلاث أكثر النساء الكلام فيها، فكيف بمجموعها؟!"^(٢)، قلت: هذه الثلاثة تحققت في عائشة: وضاءتها، ومحبة النبي لها، ووجود ضرائر، ومع ذلك لم تتكلم واحدة من نساء النبي بالفرية، وعلى هذا فيحمل كلام أم عائشة: "أكثرن عليها" على أن المراد به: أكثر عليها بعض نساء ذلك الزمان إشارة منها إلى ما وقع من حمنة بنت جحش من أجل أختها زينب.

- فصاحة عائشة وبلاغتها رضي الله عنها: لأنها قالت في بداية الحديث: "فخرجت معه بعدما أنزل الحجاب"، "فكان كلامها ذلك توطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله وهي ليست فيه، وهم يظنون أنها فيه، بخلاف قبل الحجاب، فلعل النساء حينئذ كن يركبن ظهور الرواحل بغير هودج، أو يركبن الهودج غير مستترات، فما كان يقع لها الذي يقع، بل كان يعرف الذي كان يخدم بغيرها إن كانت ركبت أم لا"^(٣). قال ابن جمر: "وهو الفصيح في الكلام، إذا احتاج المرء إلى ذكر شيء أتى في أوله بكلام يوطئ له بيان ما يريد ابتداءً"^(٤).

- ومن فصاحتها أنها بيّنت أن العادة كانت مستصحبة في كل سفرهم من أن هناك من هو مسؤول عن حمل الهودج وإنزاله، حتى فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوته، ثم ذكرت الرجوع، (وقفل) ثم ذكرت دنوهم من المدينة: "ودنونا من المدينة"، ثم وقع الذي وقع. وأقول: لو كانت هناك ربة لظهرت بعض أماراتها طول هذه المدة، وهذه المسافة في الذهاب والرجوع.

- ومن فصاحتها: أنها بيّنت العذر الذي جعل من يحمل الهودج يظن أنها فيه؛ لأنها قالت: "وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يتقلن، ولم يغشن اللحم، وإنما يأكلن العلقمة من الطعام... إلخ".

- ومن فصاحتها: أنها لما ذكرت خفتها، برأت نفسها مما قد تُشأن به المرأة؛ لأن الهزال في المرأة قد يكون عيباً، فأزالت ما قد ينسب إليها من ذلك أنها لم تكن وحدها، فهو عام في جميع النساء، فقالت: "وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يتقلن، ولم يغشن اللحم"، ثم أبدت عذرها وعذر النساء بذلك أنه بسبب قلة الأكل، وأن ما كن عليه ليس بخلفة خلقن عليها.

- ومن فصاحتها: أن ذكرت أنها كانت صغيرة السن لتبين عذرها فيما فعلت؛ لكونها اشتغلت بطلب العقد، وترك القوم حتى رحلوا، فذكرت صغر سنّها؛ لتبين أنها لم تقع لها تجربة بالأمر.

(١) -فتح الباري (٨/ ٤٦٧). انظر: بحجة النفوس لابن أبي جمر (٣/ ٥٥ - ٥٦).

(٢) -بحجة النفوس (٣/ ٥٦).

(٣) -فتح الباري (٨/ ٥٨). وانظر أيضاً: (٨/ ٤٧٩).

(٤) -بحجة النفوس (٣/ ٤٣).

-ثبات عائشة مع شدة المحنة: لنا أن نتصور أولاً شدة الفجعة على عائشة لما سمعت الخبر، حتى إنها اشتدت عليها الحمى؛ كما ورد في حديث ابن عمر قالت: "فأخذتني الحمى، وتقلص ما كان مني"؛ أي: إنه ذهب عنها حاجتها، في رواية ابن أويس، فذهب عني ما كنت أجد من الغائط، وفي رواية عند البخاري: "رجعت كأن الذي خرجت له لا تجد منه لا قليلاً ولا كثيراً". وأيضاً: بعدما استيقنت الخبر لم تكتحل بنوم، ولا يرقاً لها دمع، وفي المغازي لابن إسحاق: "فخرجت مغشياً عليها، فما استفاقت إلا وعليها حمى بنافض"، ومع هذا كله لم تر لعائشة أدنى تصرفٍ يخالف الشرع، ولم تتكلم بكلام سوء، بل على العكس، كانت تتكلم بما يدل على ثبات قلبها، وثقتها برها، وقد تقدّم مدى استحضرها للقرآن والذكر في هذا الموقف الأليم.

استشارة النبي أظهرت مكانتها عند الصحابة: فأسامة بن زيد يقول: هم أهلك، ولا نعلم إلا خيراً، وفي قوله: "هم أهلك" إشارة إلى عفتها ونزاهتها. والجارية: لم تخبر إلا بخير، وقالت: والله ما علمتُ على عائشة سوءاً، ولم تستنكر من شأنها إلا أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها حتى تأتي الداجن فتأكله. وزينب بنت جحش قالت: أحمي سمعي وبصري. ثم موقف الصحابة رضي الله عنهم، فلم يقع في الإفك إلا غصبة (والغصبة من ثلاثة إلى عشرة)، والمشهور أنهم ثلاثة من الصحابة عدا المنافق عبد الله بن سلول الذي تولى كبره، فلو كانت عائشة سيئة السمعة بين الصحابة لكان مثل ذلك مرتعاً لشييع الكلام في عرضها.

موقف المستشرقين والشيعة من حادثة الإفك

يقول العقاد في كتابه "الصديقة بنت الصديق" عن موقف المستشرقين الذين لا يزالون يجزمون بصحة تلك الواقعة أو لا يقطعون بنفيه: إن غرض ابن سلول هذا هو بعينه غرض كل متشبهت بحديث الإفك إلى يومنا هذا، ليتخذ منه سبيلاً إلى الطعن في الإسلام ونبي الإسلام، وبخاصة المبشرين من المستشرقين. فمن هؤلاء من غلب عليه أدب التربية واستبعد حديث الإفك كما فعل موير، حيث قال إن سيرة عائشة قبل الحادث وبعده لتوجب علينا أن نعتقد ببرائتها من التهمة. ومنهم من نقل الحكاية وخلطها بالمعجزات التي لا يصدقها غير المسلم، كما فعل واشنطن إيرفنج في سيرة النبي فلم يقطع بنفي صريح أو ترك الباب مفتوحاً للتأويلات والأقويل. ومنهم من جاوز الحقيقة في وصف الروايات فزعم أن السيدة عائشة ابتعدت يوماً كاملاً عن النبي قضته في صحبة صفوان خلافاً لكل ما جاء في كل قصة وردت إلينا عن حادثة الإفك، مثل رودويل صاحب ترجمة معاني كلمات القرآن، حيث عرض لهذا الحديث في حاشية من حواشي سورة النور.

ومع ذلك هؤلاء هم أشد المستشرقين حذراً في تعرضه لحادثة الإفك. أما بعض المستشرقين المبشرين لم يحذروا هذا الحذر بل جزموا بصحة الحديث، وقال بعضهم إن محمداً استنزل تلك الآيات ليحمي سمعة زوجته، ويدين الوشاة بالعقاب الذي نزل في تلك السورة. وجهلهم للقرآن هو الذي أوقعهم في تلك الفرية على غير علم بمصادرها وموردها، وكأن أخلاق الناس وحقائق التاريخ رهن بما يختلقونه ووقف على ما يحملونه من ضغينة، وما كانت وشاياهم تلك بحثاً يستند إلى رأي أو ظناً يعتمد على قرينة، ولكنها كانت كذباً لا يليق بالمؤرخ وسوء نية لا يليق بالإنسان وخسة في حق امرأة شريفة لا تليق بالرجل الكريم.

وما دام في الدنيا أناس يستباحون أن يجترؤوا بالشبهات على امرأة لا ذنب لها إلا أنها زوج نبي يريدون التشكيك فيه، وعلى الذي يقبل وشاية كتلك الوشاية الواهية أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لا موجب لتصديقها لأنها تفتقر إلى كل دليل، والأدلة على ما يناقضها كثير.

عليه أن يصدق أن صفوان بن المعطل كان رجلاً لا يؤمن بالنبي ولا بأحكام الإسلام وأن محمد زوج عائشة تركه في المجتمع الإسلامي بلا عقاب ولا انتقام!!، وأن يصدق بأن السيدة عائشة زوج النبي لا تؤمن بالنبي ولا تعمل بدينه، وبقيت على ذمة النبي تنشر دينه عنه!، ولا دليل على هذا وذاك، بل الأدلة على إيمان عائشة وإيمان صفوان تجري في كل سياق وردت لهما فيه سيرة، ثم من هي هذه الزوجة؟ إنها ابنة الصديق الذي لم يوصم بيته بوصمة في الجاهلية حتى يوصم بهذه الوصمة الكبرى في الإسلام ومع نبي الإسلام.

إن أقوى الأدلة لا يحسم الشك هنا عندهم فضلاً عن تلك الوشاية الواهية، ويبقى على من يقبلها أن يسأل نفسه بعد هذا: كيف نشأت علاقة صفوان المزعومة؟ أفي تلك الليلة بعينها؟ فكيف اجترأ الرجل على مفاتحة أم المؤمنين وهم يتهيّبون المناداة عليها في هودجها؟ بل كيف تخطر له هذه المفاتحة هو لا يشك في إيمانها بزوجه وليس له علم قبل ذلك بخبيئة صدرها؟ وإذا اجترأ هذا الاجترأ هوساً منه فكيف يصدق العقل أن امرأة النبي وابنة الصديق تكون هكذا لقطة لأول لاقط يصادفها؟ إن التي تكون كذلك لا يخفى سرها حتى يكشفه حديث الإفك ويقتصر الحديث فيه على صفوان.

كل ذلك سخف لا يقبل به إلا من يفترى بوشاية أو بغير وشاية، وسواء فيه منافقو المدينة ومن يصنع صنعهم من المؤرخين ومنافقي هذا العصر لأنهم لا يؤمنون بنبي الإسلام بل هؤلاء أنذل وأغفل، (١)، ولهذا المعنى ذهب الصحابي الجليل، أبو أيوب الأنصاري حين قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ قال نعم وذلك الكذب! كنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت لا والله ما كنت لأفعله قال: فعائشة والله خير منك. (٢)

هذه الوشاية الواهية ليس لها من سند ولا شبهة إلا أن السيدة عائشة تأخرت في الطريق هنيهة حين تحرك العسكر على فجأة بأمر النبي كي يقطع الشجار ودعوة الجاهلية التي نفخ نارها المنافقون فكاد يقتل المسلمون، وقد كانت الرحلة كثيرة المفاجآت في مواعيد النزول والرحيل، وتلك شبهة لا تكفي للشك في امرأة من عامة المسلمين الخارجين للجهاد في حضرة نبي الإسلام، إذ لو كانت كل امرأة تتأخر في الطريق تؤخذ بالتهمة في دينها وعرضها لكانت التهم في الأعراض أهون شيء يخطر على بال.

ولم يكن في الجيش امرأة يهاجمها الرقبة من جيش المسلمين كما تهاجمها، حتى الموكلون بهودجها هابوا أن ينادوها ليتأكدوا من وجودها، فهي زوج النبي وابنة الصديق حامل راية المهاجرين في تلك الغزوة، وإن صفوان المتهم كان مسلماً غيوراً وكانت غيرته واضحة في حادثة الماء التي تصاول فيها المهاجرون واتباع ابن أبي سلول فأحيوا دعوى الجاهلية فنادى رسول الله بالرحيل فجأة على غير عادته فكانت محنة السيدة عائشة، وإن غيره

(١) - راجع: عباس العقاد الصديقة بنت الصديق (٦٧-٨٢)، وكتاب الشيخ عبد الحميد طهراز، عائشة أم المؤمنين وعائلة نساء الإسلام ٥٣-٦٤

(٢) - تاريخ المدينة لابن شبة ٣٣٥/١، حدة ١٣٩٩، تفسير ابن كثير (٦/٢٧) ورواه الطبري في تفسيره (١٨/٧٧).

صفوان في حادثة ماء المريسيع ضد المنافقين هي التي بغضته لابن أبي سلول فتمادى من أجل ذلك في اتهامه، علما أن هذا الصحابي حضر غزوات النبي وما شهيدا ولم يذكر بسوء قط رضي الله عنه.

أما بالنسبة للشيعة، فقد ذكر بعض العلماء نقلاً عن أحاديث مُختلفة منسوبة لآل البيت النبويّ كذبا، أنَّ الإفك تحقق لمارية القبطيّة، وأنَّ الآية نزلت بحقّها، ووفقاً لهذه الرواية فإنَّ عائشة اتهمت مارية القبطيّة بالزنا، فذكرت أنَّ ولدها إبراهيم ليس من الرسول، بل من عبدٍ قبطيّ كان المقوقس عامل الروم على مصر قد أهدها إلى الرسول مع ماريّة، وكان يدير شؤونها ويخدمها، فغضب النبي من كلام عائشة وأرسل عليّ لقتل القبطي، لكنَّ عليّاً اقترح أن يتدبّر الأمر ويتحقق من صحّة الكلام المنسوب للقبطيّ أولاً، فأذن له الرسول بذلك. فأخذ عليّ السيف وجاء إلى البُستان الذي يعمل فيه القبطي، فلما رأى عليّاً والسيف بيده خاف القبطي وصعد على شجرة فنظر علي إلى الأعلى فإذا بالقبطيّ ممسوح ليس له ذكر وآلة رجوليّة، فجاء وأخبر النبي بالحقيقة، فدفع الله التهمة عن ماريّة ونزلت في حقّها الآيات الدالة على براءتها. ويقول علماء الشيعة بعدم صحّة الرواية السنيّة كون الراوي لهذه القصة هي عائشة وأمها ولا يروي ذلك غيرهما، فالظاهر وفقاً لعلماء الشيعة أنَّ الحديث الذي يرويه العامة موضوعٌ ومُختلقٌ^(١) فمثل هذه الحادثة التي نزلت فيها أكثر من عشر آيات من القرآن ينبغي أن أن تروى فيها رواية واحدة على الأقل عن صحابي آخر يوافق فيها عائشة في أنها هي المرأة المقدوفة بالزنا، ولكن ذلك لم يحصل^(٢) وهو ما سنحقق فيه لاحقاً في الفصل الخاص برد الشبهات عن السيدة أم المؤمنين.

ما حكم من قذف السيدة عائشة رضي الله عنها؟

إن علماء الإسلام من أهل السنة أجمعوا على أن من طعن في عائشة بما برأها الله منه فهو كافر مكذب لما ذكره الله من براءتها في سورة النور، وقد ساق الإمام ابن حزم بسنده إلى هشام بن عمار قال: سمعت مالك بن أنس يقول: من سب أبا بكر وعمر جلد ومن سب عائشة قتل، قيل له: لم يقتل في عائشة؟ قال: لأن الله تعالى يقول في عائشة رضي الله عنها: {يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين}، قال مالك فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل، قال ابن حزم: قول مالك ههنا صحيح وهي ردة تامة وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها.

قال أبو بكر ابن العربي: (لأن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله ومن كذب الله فهو كافر فهذا طريق مالك وهي سبيل لائحة لأهل البصائر).

وقال القاضي أبو يعلى: (من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم).

وقال ابن أبي موسى: (ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين ولم ينعقد له نكاح على مسلمة).

(١) -مؤسسة السبطين، ما هي حقيقة حادثة الإفك؟ السيد حسين الشاهرودي نسخة محفوظة 24 سبتمبر ٢٠١٥ على موقع واي باك مشين.

(٢) -موقع الشيخ على آل محسن: تأملات في حادثة الإفك نسخة محفوظة ١٥ يوليو ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.

وقال ابن قدامة: (ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم).

وقال الإمام النووي: (براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين).

وقال ابن القيم رحمه الله: (واتفقت الأمة على كفر قاذفها).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن).

وقال بدر الدين الزركشي: (من قذفها فقد كفر لتصريح القرآن الكريم ببراءتها).

وقد بنى العلماء كلامهم في حكم من قذف عائشة على عدد من الأدلة ومنها:

١ - الاستدلال بما جاء في سورة النور من التصريح ببراءتها فمن اتهمها بذلك بعدما برأها الله فإنما هو مكذب لله عز وجل وتكذيب الله كفر لا شك فيه.

٢ - أن في الطعن في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إيذاء له صلى الله عليه وسلم ولا شك أن إيذاءه ﷺ كفر إجماعا ومما يدل على تأذي النبي بقذف زوجته ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث الإفك عن عائشة قالت: .. فقام رسول الله من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا...، فقله صلى الله عليه وسلم "من يعذرني" أي من ينصفني ويقيم عذري إذا انتصفت منه لما بلغني من أذاه في أهل بيتي. فثبت أن النبي تأذى بذلك تأذيا استعذر منه، قال الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: {يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا} : يعني في عائشة لما في ذلك من أذية رسول الله في عرضه وأهله، وذلك كفر من فاعله.

٣ - كما أن الطعن في عائشة يستلزم الطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله سبحانه قد قال: {الخبثات للخبثين}، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهي طيبة، لأنه أطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعا ولا قدرا.

ثم ليعلم ختاما أن أحب الناس إليه صلى الله عليه وسلم عائشة الصديقة بنت الصديق كما صح عن عمرو بن العاص قال بعثني رسول الله على جيش ذات السلاسل قال فأتيته قال قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك قال عائشة قال قلت فمن الرجال قال أبوها إذا قال قلت ثم من قال عمر قال فعد رجالا، فمن أبغض حبيبة رسول الله فهو حري أن يكون بغضه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة والله أعلم^(١).

(١) - انظر صفحات المراجع في كتابي: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ناصر الشيخ ٨٧١/٢، اعتقاد أهل السنة في الصحابة: محمد

البحث الثالث: خصائصها وفضائلها وأخلاقها.

أولاً: خصائص وفضائل نساء النبي عامة.

أَوَّلُ فَضِيلَةٍ لِهِنَّ أَنَّهُنَّ أُمَهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ ^(١): وكفى بها فضيلة أن تكون امرأة أمّاً لكل مؤمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} ^(٢) وهي أُمومة يترتب عليها الاحترام والإجلال والفخر بالانتساب ووجوب المحبة والتقدير، والقيام بواجب النصرة وما يجب من الموالاة والاستغفار لهن وذكر مدائحهن وحسن الثناء عليهن ما على الأولاد في أمهاتهن اللاتي ولدنهم، وأكثر لمكانتهن من رسول الله. ولهذا حُرِّمَ على المؤمنين الزواج منهن؛ كما يحرم على الولد الزواج بأمه ^(٣) ودليلنا قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا} (الأحزاب: ٥٣).

ثمّ ليس هناك أمهات أشرف من نساء اختارهنّ الله ورسوله؛ فنلنّ بذلك شرفاً بالغاً عظيماً وشأناً ومكانةً كبيرةً وتمييزاً عن نساء العالمين وصرن بذلك أفضل وأكمل من غيرهن ولسن كسائر النساء بل أحسن وأطيب وأكمل، قال تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ} فبزواج النبي منهم نلن تلك الفضيلة وتبوأن تلك الدرجة السامية الباسقة الرفيعة التي لم تتحقق لأحد من النساء غيرهن رضي الله عنهن ^(٤).

والذي يظهر أنّهنّ أمهات الرجال والنساء تعظيماً لحقهنّ على الرجال والنساء سواء ^(٥) وذلك في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا يجوز الخلوة بهنّ، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع؛ ويدلّ له قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}؛ لأن الإنسان لا يسأل أمّه الحقيقية من وراء حجاب وقوله تعالى: {إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ} ومعلوم أنّهن لم يلدن جميع المؤمنين الذين هن أمهاتهم ^(٦).

الثانية: أَنَّهُنَّ لَسْنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ^(٧): أي لستن كجماعة من جماعات النساء، ولو تَفَصَّيْتُ أمة النساء جماعةً جماعةً لم توجد منهن جماعة واحدة تُساويكن في الفضل؛ فكما أنه عليه الصلاة والسلام ليس كأحد من الرجال، كذلك زوجاته اللاتي شرفن به فهنّ أفضل النساء وأشرفهنّ، لكونكن أمهات جميع المؤمنين، وزوجات خير المرسلين ^(٨) يقول تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ} (الأحزاب: ٣٢) أي في الفضل والمنزلة، ولعظيم شأنهنّ قال الله في حقهنّ: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ

(١) - "في الاختزام وتحرّيم نكاحهنّ لا في غَيْرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا قِيلَ لِلزَّوْجَةِ مِنْهُنَّ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ لِلتَّغْلِيْبِ، وَإِلَّا فَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يُقَالَ لَهَا أُمُ الْمُؤْمِنَاتِ" فتح الباري (٣/١)، ولذلك جاز الزواج من بناتهنّ بخلاف الأمومة من النسب أو الرضاع، شرح مشكل الآثار (٣٣٠/٦)، وجامع البيان (٢٠٩/٢٠).

(٢) - فيه لطيفة، وهي أنّ في قلوبهنّ رافة ورحمة على المؤمنين كما هي الرافة في قلب الأم على أولادها.

(٣) - انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٨/٤٥)، والخلاصة في شرح حديث الولي (١٠٠/١)، شعب الإيمان (١٨٨/٢).

(٤) - انظر: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام (٣٠٨/١٣).

(٥) - انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (١٨/٦).

(٦) - انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٣٢/٦).

(٧) - ودل عموم هذا اللفظ على فضل أزواجه على كل من قبلهن وبعدهن، وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٨٦/٩).

(٨) - انظر: تفسير ابن عجيبة البحر المديد (٨٥/٥)، ومعالم التنزيل (٣٤٨/٦)، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٢٦٦/٤)، وفتح القدير (٣٩٤/٤).

ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنْقُصْ مِنْ كَرَمِهِ، وَمَنْ يُفْعَلْ لَكُمْ مِنْهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (الأحزاب: ٣٠) أي يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ عَلَى فُجُورِهَا فِي الْآخِرَةِ ضِعْفَيْنِ عَلَى فُجُورِ أَزْوَاجِ النَّاسِ غَيْرِهِمْ، وَمَنْ تَطَعْ وَتَعْمَلْ صَالِحًا يُعْطِهَا اللَّهُ ثَوَابَ عَمَلِهَا مِثْلِي ثَوَابِ عَمَلِ غَيْرِهِنَّ مِنْ سَائِرِ نِسَاءِ النَّاسِ^(١)، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ عَظُمَتْ مَنَزَلَتُهُ وَدَرَجَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَضَاعَفُ لَهُ أَجْرُهُ عَمَلُهُ، كَمَا أَنَّ "شَرَفُ الْمَنَزِلَةِ لَا يَحْتَمِلُ الْعَثَرَاتِ؛ فَإِنَّ مَنْ يُقْتَدَى بِهِ، وَتُرْفَعُ مَنَزِلَتُهُ عَلَى الْمَنَازِلِ جَدِيدٍ بِأَنْ يَرْتَفَعَ فِعْلُهُ عَلَى الْأَفْعَالِ، وَيَرْتَوِ حَالُهُ عَلَى الْأَحْوَالِ"^(٢)، وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ: الْأَوَّلُ: لِأَنَّ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَزَوَاجَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّانِي: لِأَنَّ أَيْضًا أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ^(٣).

الثالثة: أَنَّهُنَّ مُطَهَّرَاتُ: وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَشْمَلُ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةُ اللَّهِ فِي تَطْهِيرِ آلِ الْبَيْتِ تَطْهِيرًا كَامِلًا، يَقُولُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (الأحزاب: ٣٣) وَالآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَزْوَاجَهُ مِنْ آلِ بَيْتِهِ^(٤) لِأَنَّ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَسَبَبُ النُّزُولِ دَاخِلٌ فِيهِ قَوْلًا وَاحِدًا، إِمَّا وَحْدَهُ عَلَى قَوْلٍ أَوْ مَعَ غَيْرِهِ عَلَى الصَّحِيحِ^(٥)، ثُمَّ إِنَّ قَرِينَةَ السِّيَاقِ صَرِيحَةٌ فِي دُخُولِ^(٦)، وَإِنَّمَا قَالَ: "عَنْكُمْ" بِلَفْظِ الذُّكُورِ لِأَنَّهُ أَرَادَ دُخُولَ غَيْرِهِنَّ مَعَهُنَّ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَضَافَ الْبَيُّوتَ إِلَيْهِنَّ فَقَالَ: {وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ}^(٧)، وَلِأَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ يَشْمَلُهُنَّ وَيَشْمَلُ غَيْرَهُنَّ، وَهَذَا التَّطْهِيرُ لِهِنَّ وَلِغَيْرِهِنَّ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي السَّنَةِ بَيَانٌ أَنَّ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ^(٨).

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ عَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ؛ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}^(٩)، فَهَذَا لَا يَنْفِي مَا أَثْبَتَهُ الْقُرْآنُ مِنْ كَوْنِ أَزْوَاجِهِ مِنْ آلِهِ، فَإِنَّ التَّخْصِصَ لَا يُلْغِي مَا دَلَّ عَلَيْهِ النَّصُّ السَّابِقُ، وَلَا يَعْنِي هَذَا نَفْيَ الْحُكْمِ وَالْوَصْفِ عَنْ غَيْرِهِمْ^(١٠)، وَلِأَنَّهُ تَعْلِيلٌ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ ابْتِدَاءً، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِمَا أَمَرَ، وَنَهَاكَ عَنْ مَا نَهَى، لِأَنَّهُ أَرَادَ لَكُنَّ التَّحْلِيَةَ عَنِ النِّقَاصِ وَالتَّحْلِيلَةَ بِالْكَمَالَاتِ، وَهَذَا التَّعْلِيلُ وَقَعَ مُعْتَرِضًا بَيْنَ الْأَوَامِرِ

(١) -انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤/٢٢).

(٢) -أحكام القرآن لابن العربي (٦/٣٥١).

(٣) -انظر: شرح العقيدة الطحاوية للعلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١/٦٥٣).

(٤) -انظر: شرح سنن أبي داود (١٦/١٠٥)، والجامع لأحكام القرآن (٩/٧١).

(٥) -انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/٤١٠).

(٦) -وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، فلا يصح إخراجها بمخصص، وانظر: أضواء البيان في إيضاح

القرآن بالقرآن (٦/٢٣٧)، وتفسير الفخر الرازي (١/٣٦٣٤).

(٧) -انظر: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي (٢/١٥٠).

(٨) -انظر: شرح سنن أبي داود (٢٩/٢٤).

(٩) -صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٤٤٥٠).

(١٠) -انظر: شرح العقيدة الواسطية (٢٥/٦)، وشرح رياض الصالحين لابن العثيمين (١/٤٠٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم (١٦/١١٠).

والنواهي المتعاطفة في الآيات^(١)، والمعنى أننا إنما أمرناكن ونهيناكن إرادة إذهاب الدنس والإثم عنكم، إبقاءً على طهركن يا أهل البيت النبوي، وتطهيركم تطهيراً كاملاً من كل دنس وشائبة، وسوء خلق، مما ينتقص من النساء، ولا بد أن يكن كذلك؛ لأنهن فراش رسول الله^(٢) وإثما استعار للذنب الرجس، وللتقوى الطهر؛ لأن عرض المقترف للمستقبحات يتلوث بما كما يتلوث بدنه بالأرجاس، وأما من تحصن منها فعرضه مصون، نقي كالثوب الطاهر وفيه تنفير لأولي الأبواب عن كل ما يدنس القلوب من الأكدار وترغيب لهم في كل ما يطهر القلوب والأسرار من الطاعات والأذكار^(٣).

الثالثة: نزول الوحي في بيوتهن: وإنه لحظ عظيم يكفي التذكير به، لتحس النفس جلالة قدره، ولطيف صنع الله فيه، وجزالة النعمة التي لا يعدلها نعيم، ويأتي هذا التذكير في ختام الخطاب الذي بدأ بتخيير نساء النبي صلى الله عليه وسلم بين متاع الحياة الدنيا وزينتها، وإيثار الله ورسوله والدار الآخرة؛ فنبذوا جزالة النعمة التي ميزهن الله بها^(٤)، أن جعلهن الله في بيوت يتنزل فيها الوحي، وتُتلى فيها آيات الله والحكمة، يقول تعالى: {وَأَذْكُرَنَّ مَا يُنْتَلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} (الأحزاب: ٣٤) أي واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت يُتلى فيها كتاب الله، وما أُوحي إلى رسول الله من أحكام الدين؛ فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه^(٥) وعائشة الصديقة بنت الصديق أولاهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنيمة، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة، فإنه لم ينزل على رسول الله الوحي في فراش امرأة سواها^(٦).

ولا يخفى على المسلم فضل أمهات المؤمنين وأنهن نقلن للأمة كثيراً من السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم التي لا يطلع عليها إلا نساؤه، مثل صفة غسل الجنابة^(٧)، ومن رجع إلى أمهات كتب الحديث والسنة والفقه والتفسير هاله غزارة العلم المزوي عن أمهات المؤمنين، وفي هذا دعوة للنساء للتزود من العلم والمعرفة، فالمرأة يُزَيَّنُها العلم، ويجعلها أكثر قدرة على القيام بوظيفتها المنوطة بها في هذه الحياة، ولهنّ قدوة حسنة في عائشة وأمّهات المؤمنين في حمل الدعوة وبث العلم بين الناس، وفي هذا تقول الصديقة: "نِعَمَ النِّسَاءُ نِسَاءً الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعَهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ"^(٨).

الرابعة: أنهن وصية رسول الله للمؤمنين إلى يوم الدين، وذلك أن النبي وصّى أمته بأهل بيته؛ فقال: "أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالتُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ؛ فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي،

(١) -انظر: التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور (٢١/٢٤٥)، والتفسير الوسيط (١/٣٤١٩).

(٢) -انظر: شرح بلوغ المرام (١٠/٢١٣)، وأيسر التفاسير (٣/٢٨٧).

(٣) -انظر: تفسير ابن عجيبة "البحر المديد" (٥/٨٦)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير (٦/١٤).

(٤) -انظر: في ظلال القرآن (٦/٨١).

(٥) -انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠/٢٦٨).

(٦) -انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/٤١٥).

(٧) -انظر: شرح سنن أبي داود (٢/٢٣٢).

(٨) -سنن ابن ماجه، كِتَابُ الطَّهَارَةِ وَشُئْنِهَا، بَابُ فِي الْحَائِضِ كَيْفَ تَغْتَسِلُ، حديث رقم (٦٣٤).

أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي" (١) وهذه وصية منه بأهل بيته المؤمنين بأن يعرف الناس قدرهم وأن تحفظ مكانتهم وألا يبغيض أحد منهم وأن يقابلوا بالحب والدعاء والثناء (٢) وفي التكرار الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم: "أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي" مبالغة، وتأکید للوصية بهم، وطلب العناية بشأنهم؛ فيكون من قبيل الواجب المؤكد المطلوب على طريق الحث عليه (٣)، دلّ على هذا المراد قول أبي بكر رضي الله عنه: "ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ" (٤) فهو يُخَاطَب بِذَلِكَ النَّاسَ وَيُوصِيهِمْ بِهِ، وَيَقُولُ: احْفَظُوهُمْ فِيهِمْ؛ فَلَا تُؤْذُوهُمْ وَلَا تُسِيئُوا إِلَيْهِمْ (٥) ولهذا وجب علينا إكرامهم وتأدية حقوقهم. كيف لا وهم أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا (٦).

وفي رواية أخرى: "إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَنْفَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا" (٧)، ولعل السر في هذه التوصية، واقتران العترة بالقرآن أن إيجاب محبتهم لائتخ من معنى قوله تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (الشورى: ٢٣) فإنه تعالى جعل شكر إنعامه وإحسانه بالقرآن منوطا بمحبتهم على سبيل الحصر، فكأنه صلى الله عليه وسلم يوصي الأمة بقيام الشكر، ويحذرهم عن الكفران؛ ولهذا قال: "فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا"، والنظر بمعنى التأمل والتفكير، أي تأملوا واستعملوا الروية في استخلافي إياكم هل تكونون خلف صدق أو خلف سوء؟ (٨).

وقد علم الصحابة ما لأئمة المؤمنين من مكانة؛ ويروى أن عمر رضي الله عنه أذن لأئمة المؤمنين في الحج؛ فأرسل معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وأمرهما أن يسير أحدهما بين أيديهن والآخر خلفهن ولا يسايرهن أحد، ثم أمرهما إذا طفن بالبيت لا يطوف معهن أحد إلا النساء، وذكر أنه كان يحج بالناس كل عام؛ فيحتمل أن يكون أمر عثمان وعبد الرحمن بتولي أمرهن لشغله هو بأمر العامة فخاف في التقصير في حقهن (٩).

ثانيا: فضائل وخصائص أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

الأولى: أَنَّهَا خَيْرَتْ وَاخْتَارَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَى الْفُورِ: وذلك لما أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ؛ فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ؛ فَقَالَ: إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ. قَالَتْ:

(١) - صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم (٤٤٢٥).

(٢) - انظر: تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (٣٧٤/١).

(٣) - انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٨/٤).

(٤) - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٤٣٦).

(٥) - انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/١١)، والإمامة في ضوء الكتاب والسنة (١٤/٢).

(٦) - انظر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٦٥٣/٢).

(٧) - سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب مناقب أهل بيت النبي حديث رقم (٣٧٢٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٨) - انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (١٩٧/١٠).

(٩) - انظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة (١٦٢/١).

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيْي لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ. قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ تَنَاوُهُ قَالَ: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا، وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا } . قَالَتْ فَقُلْتُ فِيَّ أَيُّ هَذَا أَسْتَأْذِنُ أَبَوَيْي، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ. قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ^(١) وَفِيهِ فَضْلٌ عَائِشَةَ لِيُدْأَتِي بِهَا، وَفِيهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِعَائِشَةَ وَبَيَانٌ كَمَالِ عَقْلِهَا وَصِحَّةَ رَأْيِهَا مَعَ صِغَرِ سِنِّهَا^(٢) وَفِيهِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى الْخَيْرِ وَإِيْثَارُ أُمُورِ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا^(٣).

وفيه أَنَّهَا حَيْثُ خُيِّرَتْ كَانَ خِيَارُهَا عَلَى التَّرَاحِي بِلَا خِلَافٍ. وَأَمَّا الْخِلَافُ فِي بَاقِي نِسَائِهِ هَلْ كَانَ مَشْرُوطًا بِالْفُورِ أَمْ لَا؟ وَسَبَبُهُ أَنَّهَا كَانَتْ أَحَدَتْ نِسَائِهِ سِنًا وَأَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ؛ فَكَانَ قَوْلُهُ لَهَا: لَا تُبَادِرِينِي بِالْجَوَابِ^(٤) خَوْفًا مِنْ أَنْ تَبْتَدِرَهُ بِاخْتِيَارِ الدُّنْيَا. والفرق واضح بين قول الواحدٍ مِنَّا لِبَعْضِ نِسَائِهِ: اخْتَارِي مَتَى شِئْتَ " وقوله لِأُخْرَى: "اخْتَارِي" فَإِنَّ خِيَارَ الْأُولَى يَكُونُ عَلَى التَّرَاحِي وَالْأُخْرَى عَلَى الْفُورِ^(٥).

الثانية: نَزُولُ آيَةِ التَّيْمِمِ^(٦) بِسَبَبِ عِقْدِهَا حِينَ حَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ^(٧)
كانت السيدة عائشة سببًا في نزول رخصة آية التيمم، تقول: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ انْقَطَعَ عَقْدِي لِي؛ فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى التَّيْمَمِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيَسُوا عَلَى مَاءٍ؛ فَأَتَى النَّاسَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَقَالُوا: أَلَا تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَلَيَسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ وَاضِعَ رَأْسَهُ عَلَى فَحِذِي قَدْ نَامَ؛ فَقَالَ: حَبَسَتْ رَسُولُ اللَّهِ وَالنَّاسَ، وَلَيَسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ؛ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى فَحِذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيْمِمِ فَتَيَمَّمُوا؛ فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ^(٨) يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ^(٩) وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ لَهَا: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكَ أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ مِنْهُ مَخْرَجًا وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَةٌ^(١٠).

الثالثة: نَزُولُ بَرَاءَتِهَا مِنَ السَّمَاءِ مِمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْإِفْكِ فِي سِتِّ عَشْرَةِ آيَةٍ مُتَوَالِيَةٍ^(١١) وَشَهِدَ اللَّهُ لَهَا بِأَنَّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَوَعَدَهَا بِالْمَغْفِرَةِ وَالرِّزْقِ الْكَرِيمِ^(١٢) وَأَنْظَرُ تَوَاضُعَهَا فِي قَوْلِهَا: "وَلَشَأْنِي كَانَ أَخْفَرَ

(١) -انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ "وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا".

(٢) -انظر: فتح الباري (٣/٣٢٢).

(٣) -انظر: شرح النووي (٥/٢٢٧).

(٤) -وهذا مفهوم قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَغْلِبَنِي حَتَّى تَسْتَأْذِنَنِي أَبَوَيْكَ" وَقَدْ سَبَقَ تَحْرِيجُهُ.

(٥) -انظر: الإجابة لإيزاد مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ (١/٤٦).

(٦) -وآيَةُ التَّيْمِمِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ٦ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ.. فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ }

(٧) -انظر: الإجابة لإيزاد مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ (١/٤٦).

(٨) -يُرِيدُ أَنْ بَرَكَتِكُمْ كَانَتْ مُتَوَالِيَةً عَلَى الصَّحَابَةِ مُتَكَثِرَةً وَكَانُوا سَبَبًا لِكُلِّ مَا لَهَّمْ فِيهِ رِفْقٌ وَمُصْلَحَةٌ، وانظر: المنتقى (١/١٢٥).

(٩) -صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى "فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا"، حديث رقم (٣٢٢).

(١٠) -صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم (٣٤٨٩).

(١١) -في سُورَةِ النُّورِ مِنَ الْآيَةِ: [١١-٢٦].

فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَأْمِرٍ يُنْتَلَى وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا" (٢).

وفيه منقبة ظاهرة جليلة أنّ الله شهد لها بالعفة والطهارة يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ حِينَ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ثُمَّ تَابَ مِنْهُ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ إِلَّا مَنْ خَاضَ فِي إِفْكِ عَائِشَةَ، ثُمَّ قَالَ: بَرَأَ اللَّهُ تَعَالَى أَرْبَعَةً بِأَرْبَعَةٍ: يُوسُفَ بِلِسَانِ الشَّاهِدِ: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا} (يوسف: ٢٦) وَبَرَأَ مُوسَى مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ فِيهِ بِالْحَجَرِ الَّذِي ذَهَبَ بِتَوْبِهِ (٣) وَبَرَأَ مَرْيَمَ بِإِنْطَاقٍ وَلَدَهَا: {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} (مريم: ٢٩) وَبَرَأَ عَائِشَةَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ (٤) وَلِهَذَا سَمَّا ذَكَرَهَا وَعَلَا شَأْنَهَا؛ لِتَسْمَعَ عَفَافُهَا وَهِيَ فِي صِبَاهَا بِنْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً (٥)، فَشَهِدَ اللَّهُ لَهَا بِأَنْهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَوَعَدَهَا بِمَغْفِرَةٍ وَرِزْقٍ كَرِيمٍ، وَلِذَلِكَ اتَّفَقَ الْمُفَقَّهَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَدْ كَذَّبَ صَرِيحَ الْقُرْآنِ الَّذِي نَزَلَ بِحَقِّهَا، وَهُوَ بِذَلِكَ كَافِرٌ (٦) وَلَأنَّهُ أَنْكَرَ شَيْعًا تَوَاتَرَ فِي الْكِتَابِ وَفِي سَنَةِ رَسُولِهِ يَقُولُ الرَّخْشَرِيُّ: وَلَوْ قُلِّيتِ الْقُرْآنَ وَفُتِّشْتَ عَمَّا أُوْعِدَ بِهِ الْعَصَاةَ لَمْ تَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَلَطَ فِي شَيْءٍ تَغْلِيظُهُ فِي إِفْكِ عَائِشَةَ (٧) وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى: "مَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَا بَرَّاهَا اللَّهُ مِنْهُ كَفَرَ بِمَا خِلَافٌ" (٨) وَقَدْ حَكَى الْجَمَاعُ عَلَى هَذَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ (٩).

وفيه منقبة أخرى وهي أنّ الله تعالى جَعَلَ بَرَاءَتَهَا قُرْآنًا يُنْتَلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشَرَعَ جَلْدَ الْقَاذِبِ، وَصَارَ بَابُ الْقَذْفِ وَحْدَهُ بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِيعَةِ، وَكَانَ سَبَبُهُ قِصَّتُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (١٠)، وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ} (النور: ١١) وَقَالَ عُرْوَةُ ابْنُ الزَّيْرِ: "لَوْ لَمْ يَكُنْ لِعَائِشَةَ مِنَ الْفَضَائِلِ إِلَّا قِصَّةُ الْإِفْكِ لَكَفَى بِهَا فَضْلًا وَعِلْوًا مَجْدًا؛ فَإِنَّمَا نَزَلَ فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (١١).

(١) -وَحَدِيثُ الْإِفْكِ إِنَّمَا كَانَ غَزْوَةً بَنِي الْمُصْطَلِقِ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ أَوِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، حَيْثُ أَقْرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ نِسَائِهِ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مَعَ أَزْوَاجِهِ إِذَا خَرَجَ لِأَمْرٍ، فَخَرَجَ سَهْمُ عَائِشَةَ فَخَرَجَتْ مَعَهُ؛ فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ مِنْ غَزْوَتِهِ، وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ مُنْتَصِرِينَ، اسْتَرَاحَ الْمُسْلِمُونَ لِبَعْضِ الْوَقْتِ فِي الطَّرِيقِ، فَغَادَرَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ هُوْدُجَهَا، فَانْسَلَّ عَقْدُهَا مِنْ عُنُقِهَا، فَأَخَذَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ.. وَلَمَّا عَادَتْ كَانَتْ الْقَافِلَةُ قَدْ رَحَلَتْ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ الرَّجُلُ بِتَخَلُّفِهَا عَنْهُ، وَظَلَّتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ وَحِيدَةً فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ الْمَقْفَرِ الْخَالِي حَتَّى وَجَدَهَا أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ الصُّحَابِيُّ الْجَلِيلُ صَفْوَانُ بْنُ الْمَعْلُطِ؛ فَكَبَّتْ بَعِيرَهُ، وَسَارَ بِهَا، وَاللَّهُ مَا كَلِمَتُهَا وَلَا كَلِمَتُهُ، حَتَّى أَحَقَّقَهَا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ أَعْدَاءَ اللَّهِ تَلَقَّفُوا الْخَبْرَ وَنَسَجُوا حَوْلَهُ الْأَكَاذِبَ وَاتَّهَمُوهَا فِي شَرَفِهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ بَرَاءَتَهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، يَقُولُ تَعَالَى: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [النور: ١١]، وَمَا تَلَاهَا مِنَ الْآيَاتِ، وَانْظُرْ: الرَّحِيقُ الْمُخْتَوِمُ (٢٩١/١).

(٢) -صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ التَّوْبَةِ، بَابُ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَوْلِ تَوْبَةِ الْقَاذِبِ، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٩٧٤).

(٣) -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ غُرَاءَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ؛ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْتَنِعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ أَذَرُ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ تَوْبَتَهُ عَلَى حَجَرٍ فَقَرَأَ الْحَجَرُ بِتَوْبِهِ، فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثَرِهِ يَقُولُ: تَوْبِي يَا حَجَرُ حَتَّى نَظَرْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى؛ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ تَوْبَتَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا"، الْبُخَارِيُّ، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٦٩).

(٤) -انْظُرْ: الْإِجَابَةُ لِإِيزَادٍ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ (٤٧/١).

(٥) -انْظُرْ: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (١٥٣/٢).

(٦) -انْظُرْ: الْمِفْصَلُ فِي شَرْحِ حَدِيثٍ مِنْ بَدَلِ دِينِهِ فَاقْتَلَوْهُ (٣٩٧/٢)، وَزَادَ الْمَعَادُ (١٠٢/١).

(٧) -انْظُرْ: الْكَشَافُ (٣٩٤/٤).

(٨) -أَوْجَزُ الْخُطَابِ فِي بَيَانِ مَوْقِفِ الشَّيْعَةِ مِنَ الْأَصْحَابِ (٧٧/١)، رَأَى شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ بِالرَّافِضَةِ (٢٧٢/٢)، وَالصَّارِمُ الْمَسْلُوكُ (٥٧٠/١).

(٩) -انْظُرْ: الْمَوْسُوعَةُ الْفَقْهِيَّةُ الْكُوَيْتِيَّةُ (٦١/١٤).

(١٠) -انْظُرْ: الْإِجَابَةُ لِإِيزَادٍ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ (٤٧/١).

(١١) -انْظُرْ: أَسَدُ الْغَابَةِ (٣٨٤/٣)، وَالْفَوَائِدُ الْبَدِيعِيَّةُ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ وَذِمِّ الشَّيْعَةِ (٩٣/١).

الرابعة: أَنَّ جَبْرِئَلَ أَتَى بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُرِيتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ؛ فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُخْصِيهِ"^(١)، وهي منقبة كانت عائشة تفتخر وتعتز بها؛ ذلك أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَهَا لِرَسُولِهِ، وَحَقَّ لِعَائِشَةَ أَنْ تَفْتَخِرَ؛ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا فِي الْفَضْلِ غَايَةٌ.

الخامسة: أَنَّهَا كَانَتْ أَحَبَّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وشهد لذلك النبي ودلَّ على ذلك ما رواه عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: "عَائِشَةُ". قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: "أَبُوهَا"^(٢)؛ فهذا الحديث شاهدٌ على هذه المنقبة الجليلة لأم المؤمنين عائشة وهي أنها كانت أحب أزواج النبي إليه ثم ما كان عليه الصلاة والسلام يحب إلا طيباً^(٣) فهي من الطيبات النقيات، وشهد لهذا الحب وهذه الكرامة كبار الصحابة، يقول عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِرَجُلٍ نَالَ مِنْهَا: أَعَرِبَ مَثْبُوحًا مَثْبُوحًا (مطرودا) أَتَوَذَّيْ حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ^(٤) ذلك أَنَّ حُبَّهُ لِعَائِشَةَ كَانَ أَمْرًا مُسْتَفِيزًا، حَتَّى صَارَ النَّاسُ يَتَحَرَّونَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَهَا^(٥) تقربا إلى مرضاته^(٦).

وأكثر من ذلك وَجُوبُ مُحَبَّتِهَا عَلَى كُلِّ أَحَدٍ^(٧) ذلك أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ أَرْسَلَنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي فُحَّافَةٍ؛ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ: "أَيُّ بَنِيَّةٍ أَلَسْتَ تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟" فَقَالَتْ: بَلَى. قَالَ: "فَأَحِبِّي هَذِهِ"^(٨) وَهَذَا الْأَمْرُ ظَاهِرُ الْوُجُوبِ وهي منقبة يعجز الناس عنها ولو قطعوا دونها أكباد الإبل.

ويشهد لهذا الحب ذلك الحوار اللطيف الذي دار بين النبي وبينها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي". قَالَتْ: فَقُلْتُ وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ: "أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً؛ فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبَّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ غَضَبِي قُلْتُ: لَا وَرَبَّ إِبْرَاهِيمَ"^(٩). قَالَتْ: قُلْتُ أَجَلْ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ^(١٠)، مُرَادَهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَتْرُكُ التَّسْمِيَةَ اللَّفْظِيَّةَ وَلَا يَتْرُكُ قَلْبُهَا التَّعَلُّقَ بِذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ مَوْدَّةً وَحُبَّةً. وَفِي اخْتِيَارِ عَائِشَةَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ دَلَالَةً عَلَى مَزِيدِ فِطْنَتِهَا، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَى النَّاسِ بِهِ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهَا بُدٌّ مِنْ هَجْرِ الْإِسْمِ الشَّرِيفِ أَبْدَلَتْهُ بِمَنْ هُوَ مِنْهُ بِسَبِيلٍ حَتَّى لَا تَخْرُجَ عَنْ دَائِرَةِ التَّعَلُّقِ فِي الْجُمْلَةِ^(١١).

(١) - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب تزويج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ وَقُدُومِهَا الْمَدِينَةَ وَبَنَائِهِ بِهَا، حديث رقم (٣٦٠٦).

(٢) - رواه الشيخان وفي سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مِنْ فَضْلِ عَائِشَةَ حديث رقم (٣٨٢٠)، وَقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) - انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٤٢٧/١).

(٤) - قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وانظر: سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مِنْ فَضْلِ عَائِشَةَ حديث رقم (٣٨٢٣).

(٥) - انظر: صحيح البخاري، كتاب الهبة وَفَضْلُهَا وَالتَّخْرِيزُ عَلَيْهَا، باب قَبُولِ الْهَدِيَّةِ، حديث رقم (٢٣٨٦).

(٦) - انظر: سير أعلام النبلاء (١٤٢/٢).

(٧) - انظر: الإجابة لِإِبْرَاهِيمَ مَا اسْتَدْرَكَهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ (٥٢/١).

(٨) - صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، حديث رقم (٤٤٧٢).

(٩) - لاحظ التلطف منه صلى الله عليه وسلم، والحظوة والمكانة التي تتبوؤها عائشة رضي الله عنها في قلبه.

(١٠) - صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، حديث رقم (٤٤٦٩).

(١١) - انظر: فتح الباري (٣٥/١٥).

أما بالنسبة للتفضيل بين عائشة وخديجة رضوان الله عليهما قال ابن تيمية: إن أهل السنة ليسوا مجتمعين على أن عائشة أفضل نسائه، بل قد ذهب إلى ذلك كثير من أهل السنة، واحتجوا بما في الصحيحين عن أبي موسى وعن أنس رضي الله عنهما أن النبي قال: **”فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام“**. والثريد هو أفضل الأطعمة لأنه خبز ولحم، وذلك أن البرّ أفضل الأقوات، واللحم أفضل الإدام، فإذا كان اللحم سيد الإدام، والبرّ سيد الأقوات، ومجموعهما الثريد، كان الثريد أفضل الطعام.

وقوله لخديجة: **”ما أبدلني الله بخير منها“** معناه: ما أبدلني بخير لي منها، لأن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقدّم غيرها فيه مقامها، فكانت خيراً له من هذا الوجه، فكونها نفعته وقت الحاجة، لكن عائشة صحبتته في آخر النبوة وكمال الدين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أول زمن النبوة، فكانت أفضل بهذه الزيادة، فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها، وبلغت من العلم ما لم يبلغه غيرها^(١)، فخديجة كان خيرها مقصوراً على نفس النبي صلى الله عليه وسلم، لم تُبَلِّغ عنه شيئاً، ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعوا بعائشة، ولا كان الدين قد كمل حتى تعلمه ويحصل لها من كمال الدين به ما حصل لمن علمه وآمن به بعد كماله، ومعلوم أن من اجتمع همّه على شيء واحد كان أبلغ فيه ممن تفرّق همّه في أعمال متنوعة، فخديجة رضي الله تعالى عنها خير له من هذا الوجه، ولكن أنواع البر لم تنحصر في ذلك. ألا ترى أن من كان من الصحابة أعظم إيماناً وأكثر جهاداً بنفسه وماله، كحمزة وعلي وسعد بن معاذ وأسيد بن خضير وغيرهم، هم أفضل ممن كان يخدم النبي وينفعه في نفسه أكثر منهم، كأبي رافع وأنس بن مالك وغيرهما.

وفي الجملة.. الكلام في تفضيل عائشة وخديجة ليس هذا موضع استقصائه. لكن المقصود هنا أن أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها، وأن نساء أمهات المؤمنين اللاتي مات عنهن كانت عائشة أحبهن إليه وأعلمهن وأعظمهن حرمة عند المسلمين.

وقد ثبت في الصحيح أن الناس كانوا ينحرون بهداياهم يوم عائشة، لِمَا يعلمون من حبه إياها، حتى إن نساءه غرّرن من ذلك، وأرسلن إليه فاطمة رضي الله عنها فقلن له: نسألك العدل في ابنة أبي قحافة. فقال لفاطمة: **”أي بُنية: ألا تحبين ما أحب؟“** قالت: بلى. قال: **”فأحبي هذه“**.... وفي الصحيحين أيضاً أن النبي

(١) - كل من يقرأ سيرة هذه السيدة رضوان الله عليها يدرك مبلغ العلم الذي بلغته، ولا عجب في ذلك فهي حبيبة رسول رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه، وقد حرص المصطفى عليه الصلاة والسلام على تثقيفها وتعليمها وهي التي ترعرعت في مهبط الوحي ومنبع العلم. و”كان الناس يرون علم عائشة قد بلغ ذروة الإحاطة والنضج في كل ما اتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه.. ومع حمل الأصحاب إلى الأمصار طائفة صالحة من الأحاديث والأحكام حتى كانوا ثمة مرجع طلاب العلم ورواة الحديث، بقيت المدينة - لأسباب أهمها وجود السيدة نفسها فيها - دار الحديث ومنبع العلم، فحين يشكل على أهل الأمصار أمر من الأمور، يكتبون إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجاز يسألونهم عن حكم الله فيه، فكان هؤلاء إذا فاتهم شيء رجعوا إلى علماء بينهم اشتهروا بحمل العلم وفقهه كعبد الله بن عمر وأبي هريرة وابن عباس.... ومقام السيدة بينهم مقام الأستاذ من تلاميذه، فكان عمر بن الخطاب يحيل عليها كل ما تعلق بأحكام النساء أو بأحوال النبي البيئية، لا يضارعه في هذا الاختصاص أحد من النساء على الإطلاق. ويصل إلى مسمع السيدة عائشة عن أولئك الصحابة العلماء روايات وأحكام على غير وجهها، فتصحح لهم ما أخطأوا فيه أو تبين ما خفي عليهم، حتى اشتهر ذلك عنها، فصار من شك في رواية أتت عائشة سائلاً، وإن كان بعيداً كتب إليها يسألها. ومن هنا طار لها ذلك الصيت في التمكن من العلم، ورجع إلى قولها كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وابنه وأبي هريرة وابن عباس وابن الزبير. **وقد نُقِلَ عنها وحدها ربع الشريعة على ما يقول الحاكم في مستدركه“**. (عائشة والسياسة - سعيد الأفغاني ص ٢١-٢٢). قال الزهري: لو لُجِع علم عائشة إلى علم النساء، لكان علم عائشة أفضل. راجع للتوسع: سير أعلام النبلاء ١٧٩/٢-١٨٩.

قال: "يا عائش هذا جبريل يقرأ عليك السلام". فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا نرى". ولما أراد فراق سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها بإذنه صلى الله عليه وسلم، ولما كان في مرضه الذي مات فيه يقول: "أين أنا اليوم؟". استبطأ ليوم عائشة، ثم استأذن نساءه أن يُمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها، فَمَرَّض فيه، وفي بيتها توفي بين سحرها ونحرها وفي حجرها، وجمع الله بين ريقه وريقها.

وكانت رضي الله عنها مباركة على أمته، حتى قال أسيد بن حُضير لما أنزل الله آية التيمم بسببها: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، ما نزل بك أمر قط تكرهينه إلا جعل الله فيه للمسلمين بركة. وكان قد نزلت آيات براءتها قبل ذلك لَمَّا رماها أهل الإفك، فبرأها الله من فوق سبع سموات، وجعلها من الطيبات.

وقال ابن القيم الجوزية: إن أريد بالتفضيل كثرة الثواب عند الله فذلك أمر لا يطلع عليه إلا هو، فإن عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح، وإن أريد كثرة العلم فعائشة، وإن أريد شرف الأصل ففاطمة وهي فضيلة لا يشاركها فيه غير أخواتها، وإن أريد شرف السيادة فقد ثبت النص لفاطمة وحدها. اهـ

وتعقبه ابن حجر: بأن ما امتازت به عائشة من فضل العلم فإن لخديجة ما يقابله، وهي أول من أجاب إلى الإسلام ودعا إليه وأعان على نبوته بالنفس والمال والتوجه التام فلها مثل أجر من جاء بعدها ولا يقدر قدر ذلك إلا الله اهـ فمن حيث ظهور الإسلام وبداية الدعوة فلخديجة الفضل والسبق وأما من حيث آخر الدعوة فلعائشة الفضل في ذلك من نشر الدعوة وتبليغ العلم وما شابه ذلك.

السادسة: اخْتِيَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا وَمَوْتُهُ بَيْنَ سَحْرِهَا وَنَحْرِهَا رضي الله عنها ودَفْنُهُ فِي بَيْتِهَا بِبُقْعَةٍ هِيَ أَفْضَلُ بِقَاعِ الْأَرْضِ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ^(١) وبيان ذلك أنَّ النبي لما نزل به المرض واشتدَّ استأذن أزواجه في أن يُمرَّضَ في بيتها؛ فأذِنَّ له^(٢) فبقي عندها ترعاه وتخدمه، وتسهر عليه في مرضه إلى أن قبضه الله إليه، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ: "أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟" اسْتَبْطَأَ لِيَوْمِ عَائِشَةَ^(٣) فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِهَا^(٤) وَنَحْرِهَا، وفي هذا تقول السيدة عائشة: تُوِفِّي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي وَفِي نَوْبَتِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رَيْقِي وَرَيْقِهِ. قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسِوَاكِ؛ فَضَعَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ فَأَخَذْتُهُ فَمَضَعْتُهُ ثُمَّ سَنَنْتُهُ بِهِ^(٥) فحصل لها اجْتِمَاعُ رَيْقِ رَسُولِ اللَّهِ وَرَيْقِهَا فِي آخِرِ أَنْفَاسِهِ. وفي هذا البيان فضيلة لعائشة ورُجْحَانِهَا عَلَى جَمِيعِ أَزْوَاجِ الْمُؤَجُّودَاتِ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَكُنَّ تَسْعًا إِحْدَاهُنَّ عَائِشَةَ وَهَذَا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي عَائِشَةَ وَخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٦)

(١) -انظر: الإجابة لإيراد ما استدرَكْتُهُ عَائِشَةَ عَلَى الصَّحَابَةِ (٥٤/١).

(٢) -انظر: صحيح البخاري، كتاب الوُضُوءِ، باب الغُسلِ وَالْوُضُوءِ فِي الْمَخْضَبِ وَالْقَدَحِ وَالْحُثْبِ وَالْحِجَارَةِ، حديث رقم (١٩١).

(٣) -صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنهما، حديث رقم (٤٤٧٣).

(٤) -السَّحْرُ: مَا تَعَلَّقَ بِالْخُلُقُومِ وَالْمَرِيءِ مِنْ أَعْلَى الْبَطْنِ مِنَ الرَّثَةِ.

(٥) -صحيح البخاري، كتاب فَرْضِ الْحُمْسِ، باب ما جاء في بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا تُسَبِّبُ مِنَ الْبُيُوتِ إِلَيْهِنَّ، حديث رقم

(٢٨٦٩).

(٦) -انظر: شرح النووي (١٥٤/٢).

السابعة: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقْرِئُهَا السَّلَامَ: ودلَّ على هذه المنقبة العظيمة قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ"؛ فقالت: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَرَى مَا لَا أَرَى. تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) وتأمل كيف خاطبها بترخيم اسمها، وأخبرها خبراً تطير له القلوب والأفئدة.

الثامنة: لَمْ يَنْزِلِ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِّنْ نِّسَائِهِ غَيْرَهَا: وبيان ذلك أَنَّ النَّاسَ كانوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ. قَالَتْ: عَائِشَةُ فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ؛ فَقُلْنَا: يَا أُمُّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ. قَالَتْ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمِّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي؛ فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ؛ فَقَالَ: "يَا أُمُّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِّنْكُمْ غَيْرَهَا"^(٢)، وفي الحديث منقبة ظاهرة لعائشة، ومفهوم الحديث أَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السيدة عائشة هي الوحيدة من زوجات النبي التي كان ينزل الوحي عليه وهو نائم بجانبها في الفراش، والسبب ظاهر جلبي، وهو طهارتها وعفتها وعلو منزلتها، وفي هذا تأكيد لمكانتها السامية، ويؤيد هذا ما قاله الذهبي: "وهذا الجواب منه دال على أَنَّ فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وَأَنَّ ذلك الأمر من أسباب حبه لها"^(٣).

التاسعة: أَنَّ فَضْلَهَا عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ، لقوله اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَمَلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ"^(٤) مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ^(٥) عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ"^(٦) وَالْمُرَادُ بِالْفَضِيلَةِ نَفْعُهُ، وَالشَّبَعُ مِنْهُ، وَسُهُولَةُ مَسَاغِهِ، وَالْإِتِّدَادُ بِهِ، وَتَيْسُرُ تَنَاوُلِهِ، وَتَمَكُّنُ الْإِنْسَانِ مِنْ أَخْذِ كِفَايَتِهِ مِنْهُ بِسُرْعَةٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ^(٧)، وَكُلُّ هَذِهِ الْخِصَالِ لَا تَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الْأَفْضَالِيَّةِ لَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ؛ فَقَدْ يَكُونُ مَفْضُولاً بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِ مِنْ جِهَاتٍ أُخْرَى^(٨).

والمعنى أَنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ زَائِدٌ كَزِيَادَةِ فَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ، لِأَنَّهَا أُعْطِيَتْ حُسْنَ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ، وَحِلَاوَةَ النُّطْقِ، وَفَصَاحَةَ اللَّهْجَةِ، وَجُودَةَ الْقَرِيحَةِ، وَرِزَانَةَ الرَّأْيِ، وَرِصَانَةَ الْعَقْلِ^(٩)، وَلَكِنَّهَا بِالْجُمْلَةِ^٢ دُونَ مَرْيَمَ وَآسِيَا وَخَدِيجَةَ وَفَاطِمَةَ، وَلَوْ أَنَّهَا فَاقَتْهُنَّ بَعْضَ الصِّفَاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^٣.

(١) - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فَضْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم (٣٤٨٤).

(٢) - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فَضْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم (٣٤٩١).

(٣) - سير أعلام النبلاء (١٤٣/٢).

(٤) - (الْكَمَالُ) يُطْلَقُ عَلَى تَمَامِ الشَّيْءِ وَتَنَاهِيهِ، أَي: التَّنَاضُي فِي جَمِيعِ الْفَضَائِلِ وَخِصَالِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، شرح النووي (١٨٠/٨)، وتفسير القرطبي (٨٣/٤).

(٥) - الثريد الحبز المفتت في مرق اللحم، وهو طعام سريع الهضم كثير النفع، وانظر: شرح سنن ابن ماجه (٢٣٦/١).

(٦) - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فَضْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم (٣٤٨٥).

(٧) - انظر: شرح النووي (١٨٠/٨).

(٨) - انظر: فتح الباري (٢٠٩/١٠).

(٩) - يقول أبو إسحاق الحويني: "ما عدا هؤلاء الأربع الكمل، كفضل الثريد على سائر الطعام، فقطعاً هذا أنزل درجة من الكمال، وإنما ذيل الحديث بهذا حتى لا يضيع فضل عائشة"، وانظر: دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني، المرأة الصالحة وأثرها في إعداد جيل التمكن (٤/١٣٤) مع بعض التصرف.

العاشرة: زَوْجَةُ نَبِينَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: لقوله صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خَزَنَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"^(٤)، "وَلَمَّا بَعَثَ عَلِيُّ عَمَّارًا وَالْحَسَنَ إِلَى الْكُوفَةِ لِيَسْتَنْفِرَهُمْ خَطَبَ عَمَّارٌ فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ لِتَتَّبِعُوهُ أَوْ إِنِّي لَأَعْلَمُ"^(٥)، وهذا يقتضي أن تكون معه في الجنة، وأي فضل وأي مكانة أسمى من أن يكون المرء مع الرسول في الجنة، وليس هناك منزلة أعلى منها وأجل، وفي هذا فضيلة ظاهرة لها رضي الله عنها.

الحادية عشرة: دَعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا: يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ وَمَا أَسْرَتْ وَمَا أَعْلَنْتَ"، فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّسْرُكَ دُعَائِي؟"، فَقَالَتْ: وَمَا لِي لَا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ؟ فَقَالَ: "وَاللَّهِ إِنَّهَا لَدَعَوَتِي لِأَمَّتِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ"^(٦)، ولأنها فضيلة جليلة كان فرح عائشة بها عظيماً، ودل ذلك سقوط رأسها في حجرها من شدة الضحك، فهي أمنيّة كل مؤمن ومؤمنة أن يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم له.

الثانية عشرة: كَمَالُ عَقْلِهَا وَصِحَّةُ رَأْيِهَا مَعَ صِغَرِ سِنِّهَا: ظهرت عبقريتها منذ نعومة أظفارها في كل ما يصدر عنها من أعمال وأقوال وحركات، تنبؤ عن مستقبل باهر ودور عظيم، ومن ذلك ما رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا^(٧) سِتْرٌ؛ فَهَبْتُ رِيحٌ فَكَشَفْتُ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعِبَ؛ فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟" قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرْسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ؛ فَقَالَ: "مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ؟" قَالَتْ: فَرَسٌ. قَالَ: "وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟" قَالَتْ: جَنَاحَانِ. قَالَ: "فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟" قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكْتُ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ^(٨) ويظهر لك من خلال هذه المشاهد أنك أمام شخصية حاذقة ماهرة.

(١) - انظر: تحفة الأحوذى (٢٦١/١٠).

(٢) - ومثال ذلك أفضلية موسى بالجملة على الخضر الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى، ومع هذه الأفضلية للخضر فلا نجد من يقول بأفضليته بالجملة على موسى، وانظر: تفسير ابن كثير (١٨١/٥).

(٣) - وَاحْتَجَّ مَنْ فَضَّلَ خَدِيجَةَ بِأَنَّهَا أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا، وَيَأْنُ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ تُسَلِّي رَسُولَ اللَّهِ وَتَبْدُلُ دُونَهُ مَا لَهَا فَأَذْرَكَتْ غُرَّةَ الْإِسْلَامِ، وَاحْتَمَلَتْ الْإِدَاءَ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَكَانَتْ تُصَرِّفُهَا لِلرَّسُولِ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ فَلَهَا مِنْ ذَلِكَ مَا لَيْسَ لغيرها. وَلَأنَّ عَائِشَةَ أَقْرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ السَّلَامَ مِنْ جِبْرِيلَ، وَخَدِيجَةَ أَقْرَأَهَا جِبْرِيلُ السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ فَهِيَ أَفْضَلُ، ولقوله صلى الله عليه وسلم: "وَاللَّهُ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا"، وانظر: الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة على الصحابة (٦٤/١)، والروض الأنف (٤١٤/١)، وغاية السؤل في خصائص الرسول (٥٥/١)، ومن جزم بأفضلية خديجة الذهبي، وانظر: سير أعلام النبلاء (١٤٠/٢).

(٤) - سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مِنْ فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم (٣٨١٥)، وَقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٥) - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم (٣٤٨٨).

(٦) - انظر: صحيح ابن حبان، كتاب إخباره عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم، باب ذكر مغفرة الله جل وعلا ذنوب عائشة وما تقدم منها وما تأخر، حديث رقم (٧١١١)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، وقال الألباني: حسن، وقال الهيثمي في المجمع: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة، وانظر: مجمع الزوائد، كتاب المناقب حديث رقم (١٥٣٢٧).

(٧) - بُيِّنَتْ صَغِيرٌ مُنْحَدِرٌ فِي الْأَرْضِ قَلِيلًا شَبِيهِ بِالْمَخْدَعِ، وَقِيلَ هُوَ شَبِيهِ بِالرِّفِّ وَالطَّاقِ يُوضَعُ فِيهِ الشَّيْءُ: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤٦٣/١٠).

(٨) - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب فِي اللَّعِبِ بِالْبَنَاتِ، حديث رقم (٤٩٣٤).

ومن العجب أن تحوز عائشة كل هذه الفضائل والمناقب قبل وفاة النبي أي قبل أن تبلغ ثمانية عشرة سنة، ومعنى هذا أننا نتحدث عن امرأة صغيرة في عمرها كبيرة في شخصيتها، ثم هي تحتل كل هذه المساحة في حياة الرسول تقول رضي الله عنها: "كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِيَ؛ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعَنَّ مِنْهُ فَيُسْرِئُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِيَ" ^(١) وتأملها وهي تلعب مع البنات الصغيرات في بيت أشرف الخلق، ومع هذه الطفولة تتميز بكل تلك المميزات.

وحين تقرأ نقاشها مع رسول الله ومع والديها، حول قضية الإفك يغيب عنك أن المتحدثات إنما هي فتاة بنت اثني عشرة سنة، وتوفي عنها النبي وهي ما زالت في مقتبل العمر، وحين خير الرسول نساءه، قَالَ لعائشة: إِيَّيْ ذَاكَرٍ لَكَ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ" ^(٢)، قالت عائشة: "حشي حادثة سني" ^(٣)، ولكنها اختارته صلى الله عليه وسلم دون مشاورة، وفي هذا مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لعائشة وَبَيَّانٌ كَمَالُ عَقْلِهَا وَصِحَّةُ رَأْيِهَا مَعَ صِغَرِ سِنِّهَا ^(٤)، ويؤيد هذا المعنى قول رسول الله حين تخاصمت زينب وعائشة فقال: "إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ" وهذه إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى كمال فهمها وحسن نظرها ^(٥)، وحادثة سنها يُفسر لنا كثيراً من تصرفات النبي معها، لأن الحكمة تقتضي أن يُراعى السن في المعاملات بين الناس، و"العاقل إذا خلا بزوجاته وإيمائه ترك العقل في زاوية، وداعب ومزاح وهازل ليعطي النفس والزوجة حقهما، وإن خرج لأطفاله خرج في صورة طفل" ^(٦)، ولنا في معاملة رسول الله لعائشة أسوة حسنة؛ فقد روت أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ فِي سَفَرٍ. قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي؛ فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: "هَذِهِ بَيْتُكَ السَّبَقَةِ" ^(٧) وهذا يدل على كمال أخلاقه صلى الله عليه وسلم، وحسن عشرته لأهله.

ثالثاً: أخلاقها

فقد اتصفت رضي الله عنها بأخلاقها الحسنة، حتى لا تكاد تفوقها حلة أو صفة ممدوحة، ومن بعض تلك الصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة:

الحياء: اشتهرت رضي الله عنها بحيائها وورعها. قالت: قَالَتْ: كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي فَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَّ اللَّهُ مَا دَخَلْتُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَى ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ ^(٨) وبها من صفة حميدة تُزَيِّنُ بها المرأة وبها من منقبة كريمة فهي من فرط حيائها تحتجب من الأموات بل وكانت تحتجب من الحسن والحسين، في حين أن دخولهما على أزواج

(١) - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الإنسباط إلى الناس، حديث رقم (٥٦٦٥).

(٢) - انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله "وَأَنْ كُنْتُ تُرِذُّنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْأَخِرَةُ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا".

(٣) - انظر: الدر المنثور في التاويل للمأثور (١٥٢/٨)، النكت والعيون (٣٧١/٣).

(٤) - انظر: فتح الباري (٣٢٢/١٣).

(٥) - انظر: شرح النووي (٢٠٧/١٥).

(٦) - انظر: الآداب الشرعية (٣٩٢/٣).

(٧) - سنن أبي داود، كتاب الجهاد، حديث رقم (٢٢١٤)، وقال الألباني: صحيح، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢٥٤/١)، حديث رقم (١٣١).

(٨) - مسند أحمد (١٣٧/٥٢)، حديث رقم (٢٤٤٨٠).

النبي حل لهما^(١). قالت عائشة: جاء عمي من الرضاعة يستأذن علي فأبيت أن آذن له حتى استأمر رسول الله فلما جاء رسول الله قلت: إن عمي من الرضاعة استأذن علي فأبيت أن آذن له فقال رسول الله: " فليج عليك عمك " فقلت: إنما أرضعتني المرأة! ولم يرضعني الرجل، فقال: "إنَّه عمُّك فليج عليك"^(٢) لقد كانت رضي الله عنها قوية في دين الله تعالى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتغضب من أجل الله عز وجل تقول أم علقمة بنت أبي علقمة: رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها فشقته عائشة عليها وقالت: أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها. **الكرم:** كانت رضي الله عنها كريمة؛ فيروى أن "أم ذرة" كانت تزورها، فقالت: بُعث إلى السيدة عائشة بمال في وعاءين كبيرين من الخيش: ثمانين أو مائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسم بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك المال درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلومي إبطاري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا لحمًا بدرهم فنفطر به. فقالت: لا تُعنِّفني، لو كنتِ ذكَّرتيني لفعلت^(٣) والشواهد على جودها وكرمها كثيرة.

وعن محمد بن عمرو بن عطاء العامري قال: كانت بيوت النبي التي فيها أزواجه وإن سودة بنت زمعة أوصت بيبتها لعائشة وإن أولياء صفية بنت حيي باعوا بيتها من معاوية بن أبي سفيان بمائة وثمانين ألف درهم، قال بن أبي سبرة: فأخبرني بعض أهل الشام أن معاوية أرسل إلى عائشة أنت أحق بالشفعة وبعث إليها بالشرء واشترى من عائشة منزلها ، يقولون بمائة وثمانين ألف درهم ، ويقال بمائتي ألف درهم ، وشرط لها سكنها حياتها وحمل إلى عائشة المال فما رامت من مجلسها حتى قسمته ويقال اشتراه بن الزبير من عائشة بعث إليها ، يقال خمسة أجمال بخت تحمل المال فشرط لها سكنها حياتها فما برحت حتى قسمت ذلك فقيل لها: لو خبأت لنا منه درهما، فقالت عائشة: لو ذكروني لفعلت .^(٤)

الصبر: ولها رضي الله عنها في الصبر باع طويل ذلك أنما شاركت النبي صلى الله عليه وسلم في حياته التي يملؤها الجد والاجتهاد، والزهد والتقشف، تقول رضي الله عنها لعروة ابن أختها: "إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ، فَقَالَ: يَا خَالَةُ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا"^(٥).

ومن شواهد هذا الصبر ما رواه البخاري عن عائشة قالت: دَخَلْتُ امْرَأَةً مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ مَرَّةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ

(١) -انظر: الخلاصة (٦٨/١)، والفتنة في عهد الصحابة (٣٤٨/١).

(٢) -رواه البخاري برقم (٢٦٤٤) ، ومسلم (١٤٤٥) .

(٣) -انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد(١٨١/١)، والزهد لهناد بن السري (٣٣٧/١)، والطبقات الكبرى (٦٧/٨).

(٤) -الطبقات الكبرى (١٦٥/٨) .

(٥) -صحيح البخاري، كتاب الرِّقَاقِ، بَابُ كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَتَحْلِيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، حديث رقم (٥٩٧٨).

عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ؛ فَقَالَ: "مَنْ اثْبَتِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ"^(١)، فكل ما عندها تمرة، ثم تجود بها لتلك المرأة، فترى فيها قول الله سبحانه: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} {الحشر: ٩}.

الزُّهْد: روى البخاري عن عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَلَيْهَا دِرْعُ قِطْرِ (غليظ القطن) ثَمَّ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ؛ فَقَالَتْ: ارْفَعِ بَصْرَكَ إِلَى جَارِيتِي، وَانْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّهَا تُرْهَى (تتكبر) أَنْ تَلْبَسَهُ فِي الْبَيْتِ، وَقَدْ كَانَ لِي مِنْهُنَّ دِرْعٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ فَمَا كَانَتْ امْرَأَةً تُقَيُّ (تزين) بِالْمَدِينَةِ إِلَّا أَرْسَلْتُ إِلَيَّ تَسْتَعِيرُهُ"^(٢) وفي الحديث دليلٌ على تَوَاضُعِ عَائِشَةَ، فهي تلبس ما يأبى الخدم أن يلبسوه، وأمَرُهَا فِي التَّوَاضُعِ مَشْهُورٌ، وَفِيهِ حِلْمٌ عَائِشَةَ عَنْ خَدَمِهَا وَرَفُفَهَا فِي الْمَعَاتِبَةِ، وَإِيَّازُهَا بِمَا عِنْدَهَا مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ"^(٣).

وقال عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَقْسِمُ سَبْعِينَ أَلْفًا وَهِيَ تُرْفَعُ دِرْعُهَا"^(٤) فأَيُّ زهد أبلغ من هذا، يجتمع المال بين يديها فتنفقه، ثم تكتفي بثوب مرقع؛ وهي رضي الله عنها "لَا تُمَسِّكُ شَيْئًا مِمَّا جَاءَهَا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ إِلَّا تَصَدَّقَتْ"^(٥) ويروى "أَنَّهَا سَافَتْ بَدَنَتَيْنِ فَضَلَّتَا؛ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ بَدَنَتَيْنِ مَكَانَهُمَا فَنَحَرَتْهُمَا، ثُمَّ وَجَدَتِ الْأُولَتَيْنِ فَنَحَرَتْهُمَا أَيْضًا، ثُمَّ قَالَتْ: هَكَذَا السُّنَّةُ فِي الْبُذْنِ"^(٦).

الإِيشَار: لما طعن أمير المؤمنين عمر، وآلت حاله إلى ما آلت إليه، قال لابنه عبد الله: "انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ؛ فَسَلِّمْ - أي عبد الله - وَاسْتَأْذِنْ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي؛ فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ؛ فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَأَوْثَرَنَ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي؛ فَلَمَّا أَقْبَلَ - أي ابنه - قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ. قَالَ: ارْفَعُوْنِي؛ فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَذِنْتُ. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا فَضِيتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ"^(٧) فَإِنْ أَذِنْتُ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّيْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ"^(٨).

فيا له من إيتار، أَنْ تَخْصُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا سَأَلَ مِنَ الدَّفْنِ عِنْدَ النَّبِيِّ"^(٩) لم وتترك نفسها، وهو فضيلة سامية اتصفت بها أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ إِيْمَانِهَا وَحَسَنِ طَوِيعَتِهَا وَرَفْعَةِ أَخْلَاقِهَا، وَطَهَارَةِ قَلْبِهَا، وَكَرَمِ شِيمِهَا، وَلَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي هَذَا الْمِيدَانِ مَشَاهِدُ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِأَنَّهُ أَعْلَاهَا وَأَعْظَمُهَا.

(١) - صحيح البخاري، كِتَابُ الرِّكَازِ، بَابُ اثْبَتُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَيْءٍ تَحَرَّ وَانْقِلَبَ مِنَ الصَّدَقَةِ، حديث رقم (٢٣١/٥).

(٢) - صحيح البخاري، كِتَابُ الْحَيَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّخْرِيطِ عَلَيْهَا، بَابُ الْإِسْتِعَارَةِ لِلْعُرُوسِ عِنْدَ الْبَنَاءِ، حديث رقم (٢٤٣٥).

(٣) - انظر: فتح الباري (١٢٨/٨)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (١٤٦/٧).

(٤) - انظر: الزهد لأبي داود (٣٤٧/١)، وكتاب الزهد لابن حنبل (١٦٥/١).

(٥) - صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ مَنَاقِبِ قُرَيْشٍ، حديث رقم (٣٢٤٣).

(٦) - انظر: السنن الكبرى (٢٨٩/٩)، وسنن الدارقطني (٢٤٢/٢)، وصحيح ابن خزيمة (٢٩٨/٤)، وقال الأعظمي: إسناده صحيح.

(٧) - إِنَّمَا أَوْصِي أَنْ يُسْتَأْذِنَ بَعْدَ مَوْتِهِ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الْإِذْنُ فِي الْإِسْتِئْذَانِ الْأَوَّلِ فِي حَيَاتِهِ حَيَاءً مِنْهُ وَأَنْ تَرْجِعَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ لَا يَكْرِهَهَا فِي ذَلِكَ، فَرَحِمَ اللَّهُ فَارُوقَ الْأُمَّةِ، مَا أَعْدَلَهُ، وَمَا أَحْسَنَهُ، وَمَا أَرْوَحَهُ، وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٢٦/٢٤).

(٨) - البخاري، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ قِصَّةِ الْبَيْعَةِ وَالْإِتِّفَاقِ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَفِيهِ مَقْتُلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حديث رقم (٣٤٢٤).

(٩) - وردت رواية عن عائشة فيمن يُدْفَنُ فِي حَجَرَتِهَا، قالت: "رَأَيْتُ كَأَنَّ ثَلَاثَةَ أَقْمَارٍ سَقَطَتْ فِي حَجَرَتِي؛ فَسَأَلْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنْ تَصَدَّقَ رُؤْيَاكَ يَدْفَنُ فِي بَيْتِكَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ؛ فَلَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ وَدْفَنَ، قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ: يَا عَائِشَةُ، هَذَا خَيْرُ أَقْمَارِكَ، وَهُوَ أَحَدُهَا" رواه

عبادتها: وهي رضي الله عنها الصّوامة القوّامة فعن عُرْوَةَ : أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَصُومُ الدَّهْرَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وعنه قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها؛ فغدوت يوما فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ "فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم"، وتدعو وتبكي وتردها؛ فقامت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي^(١)، ودخل عليها عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهِيَ صَائِمَةٌ وَالْمَاءُ يُرَشُّ عَلَيْهَا؛ فَقَالَ لَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفْطِرِي؛ فَقَالَتْ: أَفْطِرُ؟ وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: "إِنَّ صَوْمَ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ الْعَامَ الَّذِي قَبْلَهُ"^(٢).

الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم، وانظر: المستدرک علی الصحیحین، کتاب المغازی والسرایا (٦٢/٣)، حديث رقم (٤٤٠٠).

(١) -انظر: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي (٣٠١/٤)، ومسنند ابن راهويه (٣٩/٢).

(٢) -انظر: صفة الصفوة (٣١/٢).

(٣) -مسند الإمام أحمد بن حنبل (٤٣٨/٤١)، حديث رقم (٢٤٩٧٠)، وقال الهيثمي: رواه أحمد، وعطاء لم يسمع من عائشة، بل قال ابن معين: لا أعلمه لقي أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وبقيّة رجاله رجال الصّحيح، وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤٣٥/٣).

البحث الرابع: مناقشة الإشكاليات المطروحة حول عمر السيدة عائشة، وزواج النبي منها وهي صغيرة.

تمهيد: بالنسبة لموضوع التعدد فإن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم قد عددوا الزوجات ووصل الأمر بهم إلى الزواج من مئة مثل داود الذي لم يكتف بتسع وتسعين حتى تزوج تمام المئة بعد موت زوجها، وسليمان كانت له ثلاثمائة زوجة وأربعمائة جارية كما في العهد القديم مصدر التشريع الأول عند النصارى (ما جئت لأنقص بل لأكمل)، وكافة نصوص العهد القديم تأذن بالتعدد وتبيحه للأفراد رسالاً أو بشراً، ولم يرد نص واحد يحرم التعدد في النصرانية وقد تأثر النصارى بالبلاد التي نشروا فيها النصرانية، ففي أفريقيا يأذنون بالتعدد ويبيحون الزواج للقساوسة، وفي أوروبا يحرمون التعدد ويحرمون الزواج على القساوسة ويبيحون الصداقة.

والنص الخاطيء الذي يستشهد به النصارى على تحريم التعدد هو (أما علمتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكراً وأنثى وقال لهذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فما جمعه الله لا يفرقه إنسان). فجعلوا من ضمير الأفراد في قوله: "امراته" أن الرجل لا يتزوج إلا بامرأة واحدة. والنص قد فهم على غير وجهه، فالمسيح حين سئل "أيحل لأحدنا أن يطلق امرأته لأي علة كانت..." كانت إجابته كما سبق. فإجابة المسيح أن الإجابة لا صلة لها بالتعدد بل بالنهي عن الطلاق لا التزوج، والمسيحية تأذن بالتعدد بالتتابع ولكنها ترفضه بالجمع وينتهي التعدد عند الرابعة متتابعاً حتى لا يكون الإنسان غاوياً، وتسمح بالخلة والصديقة بدون حد ولا عد، أما العرب يجمعون بين أربعين امرأة في وقت واحد كدليل على الرجولة وطلب للولد.

أولاً: بدأ التعدد في سن الثالثة والخمسين من عمر النبي ﷺ فهل هذا دليل الشهوة؟! ومن يشته هل يتزوج الشابات وأمهات الأولاد والأرامل، كيف وقد عرض عليه خيرة بنات قريش فأبى! والثابت المشهور من سيرته أنه لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر. ومن الثابت كذلك في سيرته الشخصية صلى الله عليه وسلم اشتهاره بالاستقامة والتعفف عن الفاحشة والتصريف الشائن الحرام للشهوة، رغم امتلاء المجتمع الجاهلي بشرائح من الزانيات اللاتي كانت لهن بيوت يستقبلن فيها الزناة ويضعن عليها "رايات" ليعرفها طلاب المتع المحرمة، ومع توفر أسباب الانحراف والسقوط في الفاحشة في مجتمع مكة، لم يُعرف عن الرسول إلا التعفف والطهارة بين جميع قرنائته؛ ذلك لأن عين السماء كانت تحرسه وتصرف عنه كيد الشيطان.

ثانياً: حين بلغ الخامسة والعشرين ورغب في الزواج لم يبحث عن "البكر" التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة، وإنما تزوج امرأة تكبره بحوالي خمسة عشر عاماً، ثم إنها ليست بكراً بل هي ثيب، ولها أولاد كبار أعمار أحدهم يقترب من العشرين؛ وهي السيدة خديجة وفوق هذا كله فمشهور أنها هي التي اختارته بعد ما لمست بنفسها من خلال مباشرته لتجارها من أمانته وعفته وطيب شمائله ﷺ .

ثالثاً: إنه ﷺ بعد زواجه منها دامت عشرته بها طيلة حياتها ولم يتزوج عليها حتى مضت عن دنياه إلى رحاب الله. وقضى معها زهرة شبابه وكان له منها أولاده جميعاً إلا إبراهيم الذي كانت أمه السيدة "مارية" القبطية.

رابعاً: أنه ﷺ عاش عمره بعد وفاتها محباً لها يحفظ لها أطيب الذكريات ويعدد مآثرها وهي مآثر لها خصوص في حياته وفي نجاح دعوته فيقول في بعض ما قال عنها: صدقتني إذ كذبتني الناس وأعانتني بما لها، بل كان ﷺ لا يكف عن الثناء عليها والوفاء لذكرها والترحيب بمن كن من صديقاتها، حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة رضي الله عنها، وكان عُمرُ النبي ﷺ في أول زواج له بعد وفاة خديجة تجاوز الخمسين وهي السن التي تنطفئ فيها جذوة الشهوة وتنام الغرائز الحسية بدنئاً، وتقل فيها الحاجة الجنسية إلى الأنثى وتعلو فيها الحاجة إلى من يؤنس الوحشة ويقوم بأمر الأولاد والبنات اللاتي تركتهم خديجة وفيما يلي بيان هذا الزواج وظروفه.

سودة بنت زمعة: كان رحيل السيدة خديجة مثير أحزان كبرى في بيت النبي وفي محيط الصحابة إشفاقاً عليه من الوحدة وافتقار من يرعى شئونه وشئون أولاده. ثم تصادف فقدانه عمه أبا طالب نصيره وظهره وشمى العام الذي رحل فيه نصيره خديجة وأبو طالب عام الحزن. في هذا المناخ: مناخ الحزن والوحدة وافتقار من يرعى شئون الرسول وشئون أولاده سعت إلى بيت الرسول واحدة من المسلمات تُسمى خولة بنت حكيم السلمية وقالت: له يا رسول الله كأني أراك قد دخلت لك خلّة لفقد خديجة ثم قالت يا رسول الله: ألا أخطب عليك؟ وتم زواج النبي من السيدة سودة وكانت زوجة للسكران بن عمرو وتوفي عنها زوجها بمكة فلما حلّت تزوجها الرسول ﷺ وكانت أول امرأة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد خديجة، وعجب المجتمع المكي لهذا الزواج لأن "سودة" هذه ليست بذات جمال ولا حسب ولا تصلح أن تكون خلّاً لأم المؤمنين خديجة التي كانت عند زواج الرسول ﷺ بها جميلة وضيئة وحسبية تطمح إليها الأنظار. وهنا أقول للمرجفين الحاقدين: هذه هي الزوجة الأولى للرسول بعد خديجة، فهي مؤمنة هاجرت الهجرة الأولى مع من فرّوا بدينهم إلى الحبشة وقد قبل الرسول زواجها حماية لها وجبراً لخاطرها بعد وفاة زوجها إثر عودتهما من الحبشة. وليس الزواج بها سعار شهوة للرسول ولكنه كان جبراً لخاطر امرأة مؤمنة خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفي زوجها وتركها امرأة تحتاج هي وبنوها إلى من يرعاهم.

السيدة عائشة بنت أبي بكر الذي يقول عنه الرسول: "إن من آمن الناس علىّ في ماله وصحبته أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذ أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام..". وقال عنه الرسول ﷺ متحدثاً عن عطائه للدعوة " ما نفعتني مالٌ قط ما نفعتني مال أبي بكر "، ولم يدهش مكة نبأ المصاهرة بين أعز صاحبين؛ بل استقبلته كما تستقبل أمراً متوقعاً؛ ولذا لم يجد أي رجل من المشركين في هذا الزواج أي مطعن وهم الذين لم يتركوا مجالاً للطعن إلا سلّكوه ولو كان زوراً وافتراءً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زواج الرسول ﷺ بفتاة بينه وبينها أكثر من أربعين عاماً ليس بدعاً ولا غريباً لأن هذا الأمر كان مألوفاً في ذلك المجتمع. لكن المستشرقين ومن تحمل قلوبهم الحقد من بعض أهل الكتاب على محمد ﷺ جعلوا من هذا الزواج اتّهاماً للرسول وتشهيراً به بأنه رجل شهواني غافلين بل عامدين إلى تجاهل ما كان واقعاً في ذلك المجتمع من زواج الكبار بالصغيرات كما في هذه النماذج. فقد تزوج عبد المطلب جد الرسول ﷺ من هالة بنت عمّ أمية التي تزوجها أصغر أبنائه عبد الله. والد الرسول ﷺ. وتزوج عمر بن الخطاب ابنة على بن أبي طالب وهو أكبر سنّاً من أبيها. وعرض عمر على أبي بكر أن يتزوج ابنته الشابة " حفصة " وبينهما من

فارق السن مثل الذي بين المصطفى ﷺ وبين " عائشة " (١) كان هذا واقع المجتمع الذي تزوج فيه الرسول ﷺ بعائشة لكن المستشرقين والممثلة قلوبهم حقاً من بعض أهل الكتاب لم تر أعينهم إلا زواج محمد بعائشة والتي جعلوها حدث الأحداث- على حد مقولاتهم- أن يتزوج الرجل الكهل بالطفلة الغريرة العذراء (٢).

رد عام على فرية أن هذا الزواج هو زواج شهواني جمع بين الكهولة والطفولة

من المفروغ منه أنه وإذا سقطت طهارة مُبلَّغ هذا الدين سقطت عفة وطهارة الدين الذي أرسل به، وهذه الشبهة حديثة نسبياً، فرغم تهجمهم المتواصل على الإسلام لم ينتقدوا أبداً النبي لزواجه من السيدة عائشة، بل كانوا ينتقدونه بسبب تعدد الزوجات، حتى جاء ما يسمى بعصر النهضة بمفاهيمه الحديثة فأضافوا هذه الشبهة التي تتلاءم مع توجهاتهم الثقافية!! ولا تتوقف أهداف الليبراليين والنصارى من هذه الشبهة عند محاولة تشكيك المسلمين في أكمل البشر وسيدها فقط، بل عندهم ما هو أهم وأولى، ألا وهو صدّ أبناء دينهم عن الدخول في هذا الدين بتشويه صورة مُبلَّغه صلى الله عليه وسلم، ومحاولة إبعاد النظر عن فضائح كتابهم المقدس الجنسية، فهم يعملون بمبدأ: "رمتني بدائها وانسلت"!!.

وهي شبهة واهية لعدة أسباب:

١- لم يكن الرسول الكريم هو أول الخاطبين لها، بل كانت مخطوبة "الجبير بن المطعم"، مما يدل على اكتمال النضج والأنوثة عندها، أو ظهور علاماتها.

٢- لم تكن خطبته صلى الله عليه وسلم لها ليست برغبة شخصية منه، وإنما كانت باقتراح "الخولة بنت الحكيم" على الرسول وذلك لتوطيد الصلة مع أحب أصحابه وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وحينما اقترحتها كانت تعتقد أنها تصلح للزواج وسدّ الفراغ بعد موت السيدة خديجة رضي الله عنها.

٣- من المعروف طبيياً أن البلوغ في المناطق الحارة يكون أسرع منه في المناطق الأقل حرارة. وقد يصل سن البلوغ عند الفتيات في المناطق الحارة إلى ٨ أو ٩ سنوات، كما تقول الدكتورة "دوشني" -وهي طبيبة أمريكية-: "إن الفتاة البيضاء في أمريكا قد تبدأ في البلوغ عند السابعة أو الثامنة، والفتاة ذات الأصل الإفريقي عند السادسة. ومن الثابت طبيياً أيضاً أن أول حيضة والمعروفة باسم (الميناركه menarche) تقع بين سن التاسعة والخامسة عشرة".

٤- تزوج الرسول بعائشة، وهي بنت ست أو سبع سنوات، ودخل بها وهي بنت تسع سنوات، ففي الصحيحين: عن الأسود عن عائشة قالت: «تزوجها رسول الله وهي بنت ست، وبنى بها، وهي بنت تسع، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة»، فلماذا انتظر ثلاث سنوات كاملة ليدخل بها؟!

هذا دليل على أنه لم يدخل بها أو يجامعها أبداً، وهي غير قادرة أو مؤهلة لذلك.

(١) -تراجم لسيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطئ: ص ٢٥٠ وما بعدها عن حقائق الاسلام الشبهة ٥١.

(٢) -المصدر السابق.

٥- زواج الرجل من فتاة صغيرة ليس بدعًا في ذلك العصر، ولا في العصور التالية له، خاصة في البلاد التي تقوم على النظام القبلي، ولا أدلّ على ذلك من زواج "عبد المطلب" الشيخ الكبير في السن من "هالة" بنت عمّ "أمنة" في اليوم الذي تزوّج فيه "عبد الله" أصغر أبنائه من صبيّة هي في سنّ هالة، وهي آمنة بنت وهب. ومن التجني في الأحكام أن يُوزن الحدث منفصلاً عن زمانه ومكانه وظروف بيئته، فكيف يحاكمونه بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام من ذلك الزواج، فيُهدرون فروق العصر والإقليم، ويطيّلون القول فيما وصفوه بأنّه الجمع الغريب بين الكهولة والطفولة، وقيسون بعين الهوى زواجًا عُقد في مكّة قبل الهجرة بما يحدث اليوم في بلاد الغرب؛ حيث لا تتزوّج الفتاة عادة قبل سنّ الخامسة والعشرين، في الوقت نفسه الذي تمارس فيه الجنس دون العاشرة.

٦- ألم تكن قريش أوّلَ بالطعن على رسول الله إذا كان ما فعله بالزواج من عائشة مستهجنًا في هذا الوقت، وهم الذين يعادونه ويسعون للقضاء عليه وإبعاد الناس عن الانخراط في دعوته، و ينتظرون له زلة أو سقطلة ليشنّوا عليه.... فمن أعظم الأدلة والبراهين على أن الزواج بعائشة كان أمرًا طبيعيًا من الناحية الاجتماعية ولا عيب فيه، إقرار كفار قريش به وعدم التعرض له، مع حرصهم على رميه بكل بهتان ليس موجود فيه أصلاً مثل قولهم: شاعر أو مجنون.

٧- كانت عائشة في تلك السن التي يكون فيه الإنسان أفرغ بالاً، وأشد استعدادًا لتلقي العلم. فزوجات الحبيب المصطفى كنّ كبيرات في السن، ولا شك أن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر، وهناك الكثير من الأمور الدينية الخاصة بالنساء، أو بعلاقة الرجل بزوجه وأهل بيته، والتي تحتاج لحافظة واعية تستطيع أن تبّلغ هذا العلم لغيرها، وهذا ما حدث منها رضي الله عنها، ويظهر ذلك جليًا في قول الإمام الزهري: "لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل"، ويقول عطاء بن أبي رباح: "كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة".

٨- أشد ما يدعو للعجب هو رفض النصارى لزواج الرسول وكان عمرها ٩ سنوات وعمره يربو على الخمسين، في حين لا يرون غضاضة أن تكن مريم العذراء مخطوبة ليوسف النجار، وهي ابنة ١٢ عامًا، وهو يزيد عن التسعين، أي أن الفارق بينهما كان أكثر من ثمان وسبعين سنة، كما ذكرت الموسوعة الكاثوليكية. كما لا يوجد في كتابهم "المقدس" عبارة واحدة تحرم زواج الفتيات في سن التاسعة، أو حتى جملة واحدة تحدد فيها سن الزواج.

ألم يتزوج عندكم آحاز وهو ابن ١٠ سنين، وأنجب وهو ابن ١١ سنة، فقد ورد في ٢ ملوك ٢: ١٦: «كان آحاز ابن عشرين سنة حين ملك، وملك ١٦ سنة في أورشليم. وورد في ٢ ملوك ٢: ١٨: «في السنة الثالثة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل، ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا. كان ابن ٢٥ سنة حين ملك، وملك ٢٩ سنة في أورشليم». فيكون عمر آحاز ٣٦ سنة. فإذا ملك ابنه وعمره نحو ٢٥ سنة يكون أبوه قد رزق به وعمره نحو ١١ سنة.

وذكر قسمهم منيس عبد النور في كتابه شبهات حول الكتاب المقدس: "لا مانع من أن يكون بينه وبين أبيه ١١ سنة"، وأخذ يضرب الأمثلة التاريخية على ذلك، ومن المعروف أن سنّ نضوج الإناث يقل عن سن

نضوج الذكور المتوطنين في نفس الإقليم، فهذا يعني أن زوجته ربما كانت في التاسعة أو العاشرة مثله، بل وكانت صالحة لتنجب في ذلك السن، فلماذا تنكرون الزواج من عائشة في مثل هذا السن، وكتابكم لا ينكره. كيف ينكرون الزواج على الحبيب المصطفى في الوقت الذي يؤمنون فيه بأن الأنبياء ارتكبوا الموبقات والفواحش من زنا المحارم؛ كادعائهم زنا لوط عليه السلام بابنتيه، وزنا داود بزوجة جندي بجيشه، بل يأمر قائد الجيش بالانكشاف عنه حال الحرب ليقبله الأعداء، ولا يجدون غضاضة في أن يوصف سليمان عليه السلام بالكفر، وأنه عبء الأوثان؛ لأجل إرضاء زوجاته الوثنيات.^(١)

وهذا نقاش علمي قانوني اجتماعي.

أولاً: التعريف العلمي للبلوغ: هو فترة نمو جسدي وجنسي يستطيع عندها الإنسان القدرة على الإنجاب^(٢) ثانياً: سن الزواج القانوني اليوم في ولايات أمريكا وبعض دول العالم المتحضّر! نبدأ من ولاية ماستشوستيس فلم تضع حداً أدنى لسن الزواج وتركت الموضوع لموافقة الوالدين أو القاضي^(٣)، أما سن زواج الفتاة في ولاية نوهامشر ١٣ سنة^(٤) ثالثاً: متوسط سن البلوغ في الولايات المتحدة ١٢ أو ١٣ عاماً^(٥)، وهذا رابط لبحث طبي عرضته مجلة الغارديان أنه من الطبيعي أن تبلغ الفتاة في سن ٨ أو ٩ سنوات.^(٦) رابعاً: الفتيات يبلغن أسرع كلما كانوا أقرب لخط الاستواء و سنّ البلوغ في سن تسع سنوات طبيعي جداً وهذه أرقام الصفحات والمصادر العلمية وهي خمسة مصادر علمية.^(٧)

(١) - المصدر: لواء الشريعة، محمد عبد العزيز الهواري ،

(٢) <https://www.merckmanuals.com/home/women-s-health-issues/biology-of-the-female-reproductive-system/puberty-in-girls>

(٣) <http://1.usa.gov/1FyS0am>

(٤) <http://bit.ly/1CqMbLZ>

(٥) <http://bit.ly/1de0JYD>

<http://bit.ly/1MEc5lu>

(٦) <http://bit.ly/1KBA4SI>

وهذا رابط الدراسة:

http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:ApeGmOGIZjgJ:www.columbia.edu/itc/hs/medical/residency/peds/new_compeds_site/pubertyrevised.doc+&cd=4&hl=en&ct=clnk&gl=uk

(٧) - الصفحة ٤٢٩ من كتاب

C. Northrup, Mother Daughter Wisdom (Random House Publishing Group, 2006).

الصفحة ١٩١ من كتاب

John Bancroft, Human Sexuality and Its Problems (Churchill Livingstone/Elsevier, 2009).

الصفحة ٤٠١ من كتاب

M.A. Fritz, and L. Speroff, Clinical Gynecologic Endocrinology and Infertility (Wolters Kluwer Health/Lippincott Williams & Wilkins, 2011).

الصفحة ١٦ من كتاب

خامسا: لنرى كيف كان البشر يعيشون من الملوك إلى العوام، ونبدأ بالملوك: فكان سن أوراكا ملكة قشتالة وليون وقت الزواج في سن ثمانية سنوات ^(١)، وسن جوانا ملكة صقلية، وسن أميرة ويلز جوان، وسن إيزابيلا ملكة إنجلترا وقت الزواج عشر (١٠) سنين ^(٢).

سادسا: للجماعة الذين يدعون التنور والتحرر والدفاع عن حقوق المرأة وبعيدا عن أمور الزواج القانوني أو الشرعي كان سن الزنى بالتراضي في قانون نابليون ١١ سنة ثم تم رفعه بعد ذلك إلى سن ١٣ سنة ^(٣)، وسن الزنى بالتراضي في ولاية مينيسوتا ^(٤)، وسن الزنى بالتراضي في بعض بلدان أوروبا اسبانيا (١٣ سنة)، ألمانيا وإيطاليا والنمسا (١٤ سنة) فرنسا والسويد والدنمارك (١٥ سنة) ^(٥)، سن الزنى بالتراضي في ولاية ديلاوير حتى عام ١٨٨٥ هو سبع سنين!! ^(٦)، سن الزنى بالتراضي في أكثر من نصف الولايات الأمريكية حتى عام ١٨٨٥ يساوي (١٠ سنين) ^(٧). وتم تعديل القانون الانجليزي بخصوص سن الزنا بالتراضي من سن ١٢ سنة إلى سن ١٠ سنوات ^(٨)، ويرصد هيرشفيلد سن الزنى في خمسين دولة في بدايات القرن العشرين وكان سن ١٢ سنة في ١٥ دولة و ١٣ سنة في سبع دول و ١٤ سنة في خمس دول و ١٥ سنة في ٤ دول ^(٩)

سابعا: كان سن الزواج في الطبقة العامة المتعارف عليه عند سن البلوغ ومن تتأخر يتم تنبيهها وتذكيرها، حتى أشهر قصة حب بين روميو وجوليت كانت جوليت عمرها ١٣ سنة أو ١٤ سنة وفي نص حوار دار بين الأم وجوليت تقول لها والدتها التي تزوجت في سن صغيرة: إذاً فكري بالزواج فإنه هنا في فيرونا سيدات أصغر

A.E. Aronson, and Diane M. Bless, Clinical Voice Disorders (Thieme, 2009).

الصفحة ٩٩٢ من كتاب

J.S. Berek, and E. Novak, Berek & Novak's Gynecology (Lippincott Williams & Wilkins, 2007).

(١) -صفحة ١٦١ من كتاب

T. Earenfight, Queenship in Medieval Europe (Palgrave Macmillan, 2013).

(٢) -صفحتا ٢٤٠ و ٢٤٦ من كتاب

C. Hartley, A Historical Dictionary of British Women (Taylor & Francis, 2013).

صفحة ٣١ من كتاب

K. Green, and C. Mews, Virtue Ethics for Women 1250-1500 (Springer Netherlands, 2011).

(٣) - <http://bit.ly/1GxrQFB> ، <http://bit.ly/1FySBsl>

(٤) - <http://bit.ly/1ByOr90>

(٥) - <http://bit.ly/1J2r7Aq>

(٦) - <http://bit.ly/1ByOx0b>

(٧) -صفحة ٤ من كتاب

R.C. Engs, The Progressive Era's Health Reform Movement: A Historical Dictionary (Praeger, 2003).

(٨) -صفحة ٥٤ من كتاب

Marshall Cavendish Corporation, Sex and Society (Marshall Cavendish, 2010).

(٩) -صفحة ٣٧ من كتاب

V.L. Bullough, Adolescence, Sexuality, and the Criminal Law: Multidisciplinary Perspectives (Taylor & Francis, 2014).

منك ومن طبقات رفيعة صرن أمهات وإني إذا لم أخطأ الحساب فقد كنت أمّاً في مثل هذا السن الذي ما زلت أنت فيه عذراء^(١) ، ونذهب إلى قصة قريبة ليست بالبعيد ريفكا ستانيسكو أصغر جدة في رومانيا فحملت في سن ١١ سنة وابنتها حملت في سن ١٠ سنين فيمكنكم حساب متى تزوجت على أقل تقدير^(٢).

وإن تصريحات خافيير فاجاردو حول سن الزواج في إسبانيا ١٤ سنة، وقال إن انخفاض سن الزواج في إسبانيا ليس بالغريب وقال إن المرأة التي ينظر إليها كطفلة في سن ١٤ كانت من قرن امرأة عاملة لها أولاد ومسؤولة عن أسرة^(٣)، ويقول آرثر سيكان عن سن الزواج قديماً على مستوى العالم يتم في سن البلوغ والأمر خاضع للأعراف القبلية أو عادات الأسرة^(٤).

ثامناً: هذه إحصائية من موقع ويكيبيديا لإحصائية عن المدن التي دخلت مبكراً في سن البلوغ (List of youngest birth mothers) وفيها قائمة عن عشرات الأمهات الصغيرات التي تبدأ من سن ٥ سنوات إلى سن ١٠ سنوات كحد أقصى معظمهم في الدول العلمانية الليبرالية ذات التقدم الحضاري التي يمجدها المفترون، ومعظمهم تعرضوا للاغتصاب وأتموا الولادة بعد فترة حمل كاملة، إذ حملت فتاة بالغة بعمر ٦ سنوات من جدّها الذي بعمر ٧٠ سنة بشكل غير شرعي وقانوني^(٥)، إن سن الزواج من أكثر من ١٤٠٠ سنة طبيعى وقانوني وشرعي في مجتمع بسيط، وكما يقول ديورانت في قصة الحضارة : ، وهم يتعاملون خبثاً عن حماية الغرب لحالات الزنا وإقرارها في نفس الفترة العمرية التي هم معترضون عليها لزواج النبي من عائشة ، فهم لا يريدون للرجل أن يتحمل مسؤوليته أمام الله والقضاء والناس في الزواج الشرعي لكن يسمحون بحالات الزنا لأمراض نفسية مزاجية وعلى الفتاة أن تدبر حياتها وشقاءها فهي المسؤولة عما فعلت!.

تاسعاً: إن الشرق والغرب كانوا يتزوجون عندما تصل الفتاة للبلوغ وهذا الاعتراض لا ينم إلا عن حقد وجهل، أضف أن طبيعة سكان الصحراء تختلف كثيراً عن طبيعة الحضر والمدن، فأهل الصحراء ذو بنية تختلف كلياً عن بنية أهل الحضر لقساوة المناخ، فصاحب البنية الضعيفة يموت في تلك الأجواء، فلدينا امرأة وليست طفلة وهي بالغة وذات بنية جسدية تختلف عن البنية التي نراها اليوم لذات العمر في زمننا، إلى الآن أهل القرى والتي تعتبر أفضل حالا من الصحراء ذوي بنيات جسدية أقسى وأضخم من أهل المدينة، فمن الناحية العلمية والجسدية لا يوجد مشكلة إن كانت بالغة حتى مشركو قريش لم ينكروا هذا الزواج ولم يشنعوا ويشغبوا لأن الأمر طبيعى ولو فيه شيء بسيط من الغلط لأمسكو عليه هذا الغلط ورموه به.

عاشراً: إن مصطلح قاصر أو طفل للذي يكون تحت ١٨ سنة لم يحدد إلا في القرن العشرين فمثلاً في نيوزيلاندا في عام ١٩٧٣ حددت مفهوم الطفل تحت العشرين^(٦)، وهكذا باقي الدول رفعت مفهوم ومعنى

(١) - <http://bit.ly/1JgrRVs> ، <http://bit.ly/1fx9qPE>

(٢) - ريفكا ستانيسكو أصغر جدة، <http://huff.to/1CqMMNM>

(٣) - <http://bit.ly/1GELBhF>

(٤) - <http://bit.ly/1Mf2BRe>

(٥) - https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_youngest_birth_mothers

(٦) - <http://www.legislation.govt.nz/act/public/1970/0137/latest/DLM396495.html>

الطفل والقاصر لما بين سن ١٨ - ٢٠^(١)، أي أنهم يصنعون قانون حديث يخالف الأعراف والعادات والشرائع كي يصبح الجيل لا أخلاقي وشاذ ثم يقولون عنا أنا متخلفون، بينما هم خرجوا عن الطبيعي والسائد لقرون بين البشر، فقبل هذا التاريخ كان المتعارف عليه ما إن يبلغ الفتى يصبح رجلاً وما إن تبلغ الفتاة تصبح امرأة ولا تعامل معاملة الأطفال، نخلص فنقول:

امرأة بالغة عاقلة تزوجت وهي موافقة وأهلها موافقون ووجدت أن هذا الرجل مناسب لها ولن تجد خيراً من رسول الله ﷺ لتتزوج فوافقت ووافق أهلها والموضوع من جميع النواحي الطبية والاجتماعية والقانونية والجدلية سليم فعلى أي أساس يستند المرجفون.

تحقيق في عمر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما تزوجها النبي ﷺ

افتعلت ضجة كبيرة بعد خروج مقال "صحفي شاب يصحح للأئمة الأعلام خطأ ألف عام" ويتلخص ما ورد بالمقال في النقاط الآتية: ١. قضية أن الرسول قد تزوج بأم المؤمنين عائشة في سن السادسة وبنى بها في سن التاسعة بناء على ما جاء في البخاري هو خطأ والخطأ في تحديد عمر السيدة عائشة آنذاك.

٢. أنه من خلال بحث المصادر التاريخية (بحسب قول كاتب المقال) تبين أن العمر الحقيقي للسيدة عائشة حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ١٨ سنة وليس ٩ سنين.

٣. وأن هذا الخطأ قد فات على جميع علماء الأمة ولم يكتشفه إلا هذا الصحفي، ولم يقنع الباحث بأن يفند ذلك بمنطق الأرقام ومراجعة التواريخ، ولكنه أيضاً نقد سند الروايات التي روي بها أشهر الأحاديث الذي جاء في البخاري ومسلم.

أولاً: تحديد سن عائشة رضي الله عنها حين عقد النبي صلى الله عليه وسلم عليها بـ (ست سنين)، وحين بنى بها بـ (تسع سنين) لم يكن اجتهاداً للعلماء حتى ينظر في صوابه من خطئه، وإنما هو نقل تاريخي ثبت بما يؤكد صحته وضرورة التسليم به، وذلك من أوجه:

١ - ورد من قول صاحبة الشأن نفسها وليس من كلام أحد عنها، ولا من وصف مؤرخ أو محدث، بل في سياق حديثها عن نفسها رضي الله عنها حيث قالت: تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوعكت فتمرق شعري فوفى جميمة، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعني صواحب لي، فصرخت بي فأتيته لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج، حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر. فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين^(٢)

وعنها رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله إذا دخل يتقمعن [أي: يتخفين] منه فيسربهن إلي فيلعبن معي^(٣)

(١) - <https://www.cga.ct.gov/2013/rpt/2013-R-0382.htm>

(٢) - رواه البخاري (٣٨٩٤) ومسلم (١٤٢٢).

(٣) - رواه البخاري (٧١٣٠) ومسلم (٢٤٤٠).

وعنها رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي. ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان. قال: فرس له جناحان؟! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه^(١).

قال الحافظ: "قال الخطابي: وإنما أرخص لعائشة فيها [أي: اللعب] لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ. قلت: وفي الجزم به نظر لكنه محتمل لأن عائشة كانت في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة إما أكملتها أو جاوزتها أو قاربتها. وأما في غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعا فيترجح رواية من قال في خيبر "وخيبر كانت سنة سبع. وعن عائشة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت سبع سنين، وزفت إليه وهي بنت تسع سنين، ولعبها معها، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة،^(٢) قال النووي: "المراد هذه اللعب المسماة بالبنات [العرائس] التي تلعب بها الجواري الصغار، ومعناه التنبيه على صغر سنها".

وفي هذه لرواية قالت: (وأنا بنت سبع سنين) وفي أكثر الروايات: (بنت ست) والجمع بينهما: أنها كان لها ست وكسر، فمرة اقتصرت على السنين، ومرة عدت السنة التي دخلت فيها. أفاده النووي في شرح مسلم. وقد نقل ابن كثير أن هذا أمر متفق عليه بين العلماء، ولم يذكر عن أحد منهم خلافا، فقال: "قوله: تزوجها وهي ابنة ست سنين، وبني بها وهي ابنة تسع مما لا خلاف فيه بين الناس - وقد ثبت في الصحاح وغيرها - وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة"^(٣).

ومن المعلوم أن الإجماع معصوم من الخطأ؛ فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة)^(٤).

٢ - بالنسبة لحديث عائشة رضي الله عنها الأول ورد في صحيح البخاري ومسلم، وقد جاءت الرواية عن عائشة رضي الله عنها من طرق عدة، وليس من طريق واحدة فقط كما يدعي بعض الجاهلين:

- فالطريق المشهورة هي من رواية هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، وهي من أصح الروايات، فعروة بن الزبير من أعرف الناس بعائشة، لأنها خالته رحمه الله.

- وطريق أخرى من رواية الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة عند مسلم (١٤٢٢).

- وطريق أخرى من رواية الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: تزوجها رسول الله صلى

الله عليه وسلم وهي بنت ست، وبني بها وهي بنت تسع، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة^(٥).

- وطريق أخرى عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة رضي الله عنها^(٦).

(١) - رواه أبو داود (٤٩٣٢)

(٢) - رواه مسلم (١٤٢٢)

(٣) - البداية والنهاية (٣ / ١٦١)

(٤) - رواه الترمذي (٢١٦٧)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (١٨٤٨).

(٥) - رواه مسلم (١٤٢٢) وصححه الألباني في "آداب الزفاف" (ص ٢٠٣).

(٦) - رواه أبو داود (٤٩٣٧).

وقد جمع الشيخ أبو إسحاق الحويني أسماء المتابعين لعروة بن الزبير، وهم: الأسود بن يزيد، والقاسم بن عبد الرحمن، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعمرة بنت عبد الرحمن، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، كما جمع أسماء المتابعين لهشام بن عروة في رواية هذا الحديث، وهم: ابن شهاب الزهري، وأبو حمزة ميمون مولى عروة. ثم سمي الرواة عن هشام بن عروة من أهل المدينة، ليعلم القارئ أن هذا الحديث مما حدث به هشام في المدينة أيضاً، وهم: أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، وابنه عبد الرحمن بن أبي الزناد، وعبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة. ومن أهل مكة سفيان بن عيينة. وجريز بن عبد الحميد الضبي من أهل الري. ومن أهل البصرة: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ووهيب بن خالد وغيرهم^(١).

وهذا التعداد كله من أجل دفع شبهة بعض الجاهلين أن هشام بن عروة تفرد بروايته، وعلى فرض التسليم بأن هشاماً اختلط في آخر عمره، ولكن الصواب أن هذه التهمة لم يقل بها إلا أبو الحسن بن القطان في "بيان الوهم والإيهام"، وقد أخطأ فيها: يقول الذهبي:

"هشام بن عروة، أحد الأعلام، حجة إمام، لكن في الكبر تناقص حفظه، ولم يختلط أبداً، ولا عبرة بما قاله أبو الحسن بن القطان من أنه وسهيل بن أبي صالح اختلطا، وتغيرا، نعم الرجل تغير قليلاً ولم يبق حفظه كما هو في حال الشيب، فنسى بعض محفوظه أو وهم، فكان ماذا! أهو معصوم من النسيان! ولما قدم العراق في آخر عمره حدث بجملة كثيرة من العلم، في غضون ذلك يسير أحاديث لم يجودها، ومثل هذا يقع لمالك ولشعبة ولو كيع ولكبار الثقات، فدع عنك الخطب، وذو خلط الأئمة الأثبات بالضعفاء والمخلطين، فهشام شيخ الإسلام، ولكن أحسن الله عزاءنا فيك يا ابن القطان، وكذا قول عبد الرحمن بن خراش: كان مالك لا يرضاه، نقم عليه حديثه لأهل العراق"^(٢).

٣ - كما روى قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من عائشة وهي بنت تسع سنين غير عائشة رضي الله عنها، ممن أدركوها وكانوا أعرف بما من غيرهم: فقد روى الإمام أحمد عن محمد بن بشر، قال حدثنا محمد بن عمرو، قال ثنا أبو سلمة ويحيى قالوا: لما هلك خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يا رسول الله! ألا تزوج. قال: من؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً. قال: فمن البكر؟ قالت: ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك: عائشة بنت أبي بكر....^(٣) وذكر تفاصيل القصة، وفيها أنها كانت بنت ست سنين عند العقد، ثم بنت تسع عند البناء.

٤ - وهذا الذي تحكيه عائشة عن نفسها، ويحكيه الرواة عنها، هو ما أطبقت عليه المصادر التاريخية التي ترجمت لعائشة رضي الله عنها، ليس بينها اختلاف في ذلك، ولم يكن الأمر فيها محل اجتهاد، فليس بعد كلام المرء عن نفسه اجتهاد لأحد.

(١) - انظر ذلك في محاضرة ألقاها الشيخ أبو إسحاق الحويني حفظه الله في تبين جهالة كاتب المقال الوارد في السؤال، والجواب عليه، وهذا رابطها:

http://www.islamway.com/?iw_s=Lesson&iw_a=view&lesson_id=86106

والرابط الآتي أيضاً: http://www.islamway.com/?iw_s=Lesson&iw_a=view&lesson_id=86495

(٢) - "ميزان الاعتدال" (٣٠١/٤ - ٣٠٢).

(٣) - مسند أحمد (٢١١/٦).

٥ - وقد اتفقت المصادر التاريخية أيضا أن عائشة رضي الله عنها ولدت في الإسلام، بعد المبعث بأربع سنين أو خمس سنين، يقول الإمام البيهقي في تعليقه على حديث: (لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين) "وعائشة رضي الله عنها ولدت على الإسلام؛ لأن أباهما أسلم في ابتداء المبعث، وثابت عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي ابنة ست، وبنى بها وهي ابنة تسع، ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة، لكن أسماء بنت أبي بكر ولدت في الجاهلية ثم أسلمت بإسلام أبيها... وفيما ذكر أبو عبد الله بن منده حكاية عن ابن أبي الزناد أن أسماء بنت أبي بكر كانت أكبر من عائشة بعشر سنين، وإسلام أم أسماء تأخر، قالت أسماء رضي الله عنها: قدمت علي أُمي وهي مشركة. في حديث ذكرته، وهي قتيلة، من بني مالك بن حسل، وليست بأم عائشة، فإن إسلام أسماء بإسلام أبيها دون أمها، وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فكأنه كان بالغاً حين أسلم أبواه، فلم يتبعهما في الإسلام حتى أسلم بعد مدة طويلة، وكان أسن أولاد أبي بكر" (١).

ويقول الذهبي رحمه الله: "عائشة ممن ولد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بثمانين سنين، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين" (٢).

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "ولدت-يعني عائشة-بعد المبعث بأربع سنين أو خمس" (٣) وعليه يكون عمرها عام الهجرة ثمانين سنين أو تسع سنين، وهذا ما يتفق مع حديثها السابق عن نفسها. ٦ - وقد اتفقت المصادر التاريخية أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وعائشة عمرها (١٨) سنة، فتكون في أول الهجرة لها (٩) سنوات.

٧ - كما تروي كتب السيرة والتاريخ والتراجم أن عائشة رضي الله عنها ماتت وعمرها (٦٣) سنة، وذلك عام (٥٧هـ)، فيكون عمرها قبل الهجرة (٦) سنوات، فإذا جبرت الكسور - كما هي عادة العرب في حساب السنين - أنهم يجبرون كسور السنة الأولى والأخيرة، فيكون عمرها عام الهجرة (٨) سنوات، ويكون عمرها عند زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها بعد الهجرة بثمانية أشهر (٩) سنوات.

٩ - وما سبق يتوافق أيضا مع ما ينقله العلماء عن الفرق بين عمر أسماء بنت أبي بكر، وعائشة رضي الله عنها، فقد قال الذهبي رحمه الله: "وكانت-يعني أسماء-أسن من عائشة ببضع عشرة سنة" (٤).

وعائشة ولدت بعد المبعث بأربع أو خمس سنين، وقد قال أبو نعيم في "معجم الصحابة" عن أسماء أنها ولدت: "قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين"، فيكون الفرق بين عمر عائشة وأسماء أربع عشرة أو خمس عشرة سنة. وهو قول الذهبي السابق: "كانت-يعني أسماء-أسن من عائشة ببضع عشرة سنة".

١٠ - ونحن وإن كنا ننقل هذه الأرقام المثبتة في كتب السيرة والتاريخ والتراجم، غير أن اعتمادنا في الأساس على ما ينقل بالسند الصحيح، وليس ما نجده في الكتب منقولا من غير سند، ولكن هذه النقول كلها جاءت

(١) - السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٣/٦) .

(٢) - سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٩/٢) .

(٣) - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٦/٨) .

(٤) - سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٨/٢) .

متوافقة مع ما ذكرناه في بداية الجواب من أحاديث بأسانيد صحيحة كالشمس، ولذلك أوردنا ما يؤيدها من كتب التاريخ.

ثانياً: أما الجواب عن استدلال كاتب المقال المتعدي بما ورد في بعض المراجع أن الفرق بين سن أسماء وعائشة عشر سنين فنقول: إن ذلك لم يثبت من حيث السند، ولو ثبت سنده فيمكن فهمه بما يتوافق مع الأدلة القطعية السابقة، أما من حيث السند، فقد ورد ذلك عن عبد الرحمن بن أبي الزناد أنه قال: (كانت أسماء بنت أبي بكر أكبر من عائشة بعشر سنين) .

وردت هذه الرواية من طريقين عن الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد: الطريق الأول: رواه ابن عساكر ^(١) قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد المالكي، أنا أحمد بن عبد الواحد السلمي، أنا جدي أبو بكر، أنا أبو محمد بن زبر، نا أحمد بن سعد بن إبراهيم الزهري، نا محمد بن أبي صفوان، نا الأصمعي، عن ابن أبي الزناد قال: فذكره.

والطريق الثاني: رواه ابن عبد البر ^(٢) قال: أخبرنا أحمد بن قاسم، حدثنا محمد بن معاوية، حدثنا إبراهيم بن موسى بن جميل، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا نصر بن علي، حدثنا الأصمعي قال: حدثنا ابن أبي الزناد، قال: قالت أسماء بنت أبي بكر، وكانت أكبر من عائشة بعشر سنين أو نحوها. وإذا تأمل الباحث المنصف في هذا الأثر ظهر له أن الأخذ بظاهره وهدم جميع ما ثبت من أدلة بخلافه جناية على العلم والتحقيق، وذلك لما يلي:

١ - انفرد عبد الرحمن بن أبي الزناد (١٠٠هـ - ١٧٤هـ) بتحديد الفرق بين عمري أسماء وعائشة رضي الله عنهما بعشر سنين، وأما الأدلة السابقة فهي أدلة كثيرة جاءت عن غير واحد من التابعين، ومعلوم أن الكثرة تقدم على القلة.

٢ - تضعيف أكثر أهل العلم لعبد الرحمن بن أبي الزناد نفسه: فقد جاء في ترجمته ^(٣) قول الإمام أحمد فيه: مضطرب الحديث. وقول ابن معين: ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث. وقول علي بن المديني: ما حدث بالمدينة فهو صحيح، وما حدث ببغداد أفسده البغداديون، ورأيت عبد الرحمن -يعني ابن مهدى- خطط على أحاديث عبد الرحمن بن أبي الزناد، وكان يقول في حديثه عن مشيختهم، ولقنه البغداديون عن فقهاءهم، عدهم، فلان وفلان وفلان. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي: لا يحتج بحديثه. وقال أبو أحمد بن عدي: وبعض ما يرويه، لا يتابع عليه، أما توثيق الترمذي له في سننه ^(٤) فهو معارض بالجرح المفسر السابق، وهو مقدم على التعديل، خاصة حين ينفرد عبد الرحمن بن أبي الزناد بكلمة يخالف فيها المعروف في كتب السنة والتاريخ.

(١) - في " تاريخ دمشق " (١٠/٦٩)

(٢) - في " الاستيعاب في معرفة الأصحاب " (٦١٦/٢)

(٣) - في " تهذيب التهذيب " (١٧٢/٦)

(٤) - تحت حديث رقم: (١٧٥٥)

٣ - قوله في رواية ابن عبد البر: (وكانت أكبر من عائشة بعشر سنين أو نحوها) ، وهذه الرواية أصح من رواية ابن عساكر، لأن نصر بن علي الراوي عن الأصمعي في سند ابن عبد البر ثقة حافظ^(١) أما محمد بن أبي صفوان الراوي عن الأصمعي في سند ابن عساكر لم يوثقه أحد. فقوله في رواية ابن عبد البر (أو نحوها) دليل على أنه لم يضبط التحديد بعشر سنوات، وهذا يضعف روايته، ولا يجوز للباحث المنصف رد الأدلة السابقة لأجل هذا الشك.

٤ - ثم إن من الممكن التوفيق بين هذه الرواية وباقي الروايات بأن يقال: إن مولد أسماء كان قبل البعثة بست سنوات أو خمس سنوات، وعائشة بعد البعثة بأربع سنوات أو خمس سنوات، ولما توفيت أسماء عام (٧٣هـ) كان عمرها إحدى وتسعين سنة أو اثنتين وتسعين سنة، وهو ما ذكره الذهبي: " قال ابن أبي الزناد: كانت أكبر من عائشة بعشر سنين قلت-أي الذهبي:- فعلى هذا يكون عمرها إحدى وتسعين سنة، وأما هشام بن عروة فقال: عاشت مائة سنة ولم يسقط لها سن"^(٢).

٥ - كما يحتمل أن يقال إن أسماء ولدت قبل البعثة بنحو أربع عشرة سنة-وذلك ما يقرره الكاتب نفسه في مقاله السابق-وكان عمرها عام الهجرة سبعة وعشرين عاما، وعمرها عند وفاتها عام (٧٣هـ) مائة سنة، ليتفق ذلك مع ما اتفقت عليه المصادر التاريخية بالنسبة لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، أن وفاتها في العام الذي قتل فيه ابنها عبد الله بن الزبير (٧٣هـ) ، وأنها توفيت وعمرها مائة عام: قال هشام بن عروة عن أبيه: بلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل^(٣).

أما كونها ولدت قبل البعثة بعشر سنين فهذا إنما قاله أبو نعيم الأصبهاني، بعبارة يقول فيها: "كانت-يعني أسماء-أخت عائشة لأبيها، وكانت أسن من عائشة، ولدت قبل التأريخ بسبع وعشرين سنة، وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين، وولدت ولأبيها الصديق يوم ولدت أحد وعشرون سنة، توفيت أسماء سنة ثلاث وسبعين بمكة بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بأيام، ولها مائة سنة وقد ذهب بصرها"، فكان أبا نعيم يقصد أن مدة الفترة المكية بلغت (١٧) عاما، وهذا قول بعض أهل السيرة، وهو قول ضعيف، ولكن ينبغي التنبيه له عند محاولة فهم كلام أبي نعيم^(٤).

ثالثا: كاتب المقال المذكور أوقعه جهله وتعصبه لقوله الباطل في كثير من الكذب والتدليس، يريد بذلك أن ينصر باطله، فمن ذلك مثلا: ما ذكره عن ابن كثير في البداية والنهاية أنه قال عن الذين سبقوا بإسلامهم: "ومن النساء: أسماء بنت أبي بكر وعائشة وهي صغيرة فكان إسلام هؤلاء في ثلاث سنين"، وهذا كذب غير مذكور في الكتاب وإنما قال ابن كثير: "فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار: أبو بكر الصديق.

(١) - كما في " تهذيب التهذيب " (٤٣١/١٠).

(٢) - سير أعلام النبلاء (٣٨٠/٣)

(٣) - وهذه أسماء المراجع التي ذكرت ذلك: " حلية الأولياء " (٥٦/٢) ، و " معجم الصحابة " لأبي نعيم الأصبهاني، " الاستيعاب " لابن عبد البر

(٤) (١٧٨٣/٤) ، " تاريخ دمشق " لابن عساكر (٨/٦٩) ، " أسد الغابة " لابن الأثير (١٢/٧) ، " الإصابة " لابن حجر (٤٨٧/٧) ، " تهذيب

الكمال " (١٢٥/٣٥).

(٥) - راجع موقع الإسلام سؤال وجواب مسألة رقم ١٢٤٤٨٣ ومسألة ١٢٢٥٣٤.

ومن الغلمان: علي بن أبي طالب. ومن النساء: خديجة بنت خويلد^(١)، ولم يذكر أسماء ولا عائشة رضي الله عنهما، وعائشة رضي الله عنها إنما ولدت بعد النبوة بنحو أربع سنين فكيف يقول ذلك!!.

ومن ذلك أيضا قوله: "وكما ذكرت جميع المصادر بلا اختلاف أنها-يعني أسماء-أكبر من عائشة بـ ١٠ سنوات"، والأمر ليس كذلك، فقد ذكر الذهبي كما مر آنفا: "أن أسماء كانت أسن من عائشة ببضع عشر سنة"^(٢)، والبضع في العدد ما بين ثلاثة والعشر.

وأخيرا ليس في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها وهي تسع سنوات شيء يستنكر كما مر في البحث السابق، فمن المعلوم أن سن بلوغ المرأة يختلف حسب العرق وحسب المناخ، ففي المناطق الحارة تبلغ الجارية مبكرا، بينما في المناطق القطبية الباردة قد يتأخر البلوغ حتى سن ٢١ سنة.

قال الترمذي: قالت عائشة: إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة^(٣)، وقال الإمام الشافعي: "رأيت باليمن بنات تسع يحضن كثيرا"^(٤)، وروى البيهقي (١٥٨٨) عن الشافعي قال: "أعجل من سمعت به من النساء يحضن، نساءً بتهمامة يحضن لتسع سنين".

وقال الشافعي أيضا: "رأيت بصنعاء جدة بنت إحدى وعشرين سنة، حاضت ابنة تسع وولدت ابنة عشر، وحاضت البنت ابنة تسع وولدت ابنة عشر"^(٥)، فعلى هذا؛ فقد دخل الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها وهي بالغة أو قد قاربت البلوغ.

وحسب امرئ من الشر أن يخترع قولاً لم يقل به أحد من العلماء على مدار مئات السنين، وهذا دليل على خطأ هذا القول، قال ابن تيمية: "فكل قول ينفرده المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم فإنه يكون خطأ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام"^(٦).

خاتمة البحث، حكم زواج النبي من عائشة.

من فضائل السيدة عائشة رضي الله عنها أنه ما نزل الوحي في لحاف امرأة غيرها، وكانت من أحب الخلق إلى النبي ونزلت براءتها من فوق سبع سماوات، وكانت من أفقه نسائه وأعلمهن، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق، وكان الأكابر من أصحاب النبي يرجعون إلى قولها ويستفتونها.

تزوج صلى الله عليه وسلم بعد خديجة بسودة، وكانت مسنة، ولم تكن ذات جمال، وإنما تزوجها مواساة لها، حيث توفي زوجها، وبقيت بين قوم مشركين، وبعد أربع سنوات تزوج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها، وكان عمره صلى الله عليه وسلم فوق الخمسين، ولعل من الحكم في زواجه ما يلي:

(١) - انظر البداية والنهاية لابن كثير: (٢٥/٣).

(٢) - سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٢٢/٣).

(٣) - سنن الترمذي (٤٠٩/٢).

(٤) - سير أعلام النبلاء (١٠ / ٩١).

(٥) - السنن الكبرى للبيهقي (١ / ٣١٩).

(٦) - مجموع الفتاوى (٢٩١/٢١).

أولاً: أنه رأى رؤيا في زواجه صلى الله عليه وسلم منها، فقد ثبت في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: (أريتك في المنام مرتين أرى أنك في سرقة من حرير ويقال: هذه امرأتك، فاكشف عنها فإذا هي أنت فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه) ^(١).

ثانياً: ما رآه صلى الله عليه وسلم في عائشة رضي الله عنها من أمارات ومقدمات الذكاء والفطنة في صغرها، فأحب الزواج بها لتكون أقدر من غيرها على نقل أحواله صلى الله عليه وسلم وأقواله، وبالفعل فقد كانت رضي الله عنها مرجعاً للصحابه رضي الله عنهم في شؤونهم وأحكامهم.

ثالثاً: كانت عائشة في تلك السن التي يكون فيه الإنسان أفرغ بالاً، وأشد استعداداً لتلقي العلم. فزوجات الحبيب المصطفى كنّ كبيرات في السن، ولا شك أن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر، وهناك الكثير من الأمور الدينية الخاصة بالنساء، أو بعلاقة الرجل بزوجته وأهل بيته، والتي تحتاج لحافضة واعية تستطيع أن تبليغ هذا العلم لغيرها، وهذا ما حدث منها رضي الله عنها، ويظهر ذلك جلياً في قول الإمام الزهري: "لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل"، ويقول عطاء بن أبي رباح: "كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة".

ثالثاً: محبة النبي صلى الله عليه وسلم لأبيها أبي بكر رضي الله عنه، وما ناله رضي الله عنه في سبيل دعوة الحق من الأذى الذي صبر عليه، فكان أقوى الناس إيماناً، وأصدقهم يقيناً على الإطلاق بعد الأنبياء.

ويلاحظ في مجموع زواجه صلى الله عليه وسلم أن من بين زوجاته الصغيرة، والمسنة، وابنة عدو لدود، وابنة صديق حميم، ومنهن من كانت تشغل نفسها بتربية الأيتام، ومنهن من تميزت على غيرها بكثرة الصيام والقيام.... إنهن نماذج لأفراد الإنسانية، ومن خلالهن قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين تشريعاً فريداً في كيفية التعامل السليم مع كل نموذج من هذه النماذج البشرية.

وإذا تأملت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غير عائشة رضي الله عنها، وكل زوجاته سبق لهن الزواج قبله زال عنك ما يشيعه أكثر الطاعنين من أن زواج النبي صلى الله عليه وسلم مبعثه الأساسي هو الشهوة والتنعم بالنساء، إذ من كان هذا مقصده فإنه لا يتخير في كل زوجاته أو معظمهن من توفرت فيها صفات الجمال والترغيب من كونها بكراً فائقة الجمال، ونحو ذلك من المعايير الحسية الزائلة، ومثل هذه المطاعن في نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم تدل على تمام عجز الطاعنين في أن يطعنوا في الشرع والدين الذي جاء به من عند الله تعالى، فحاولوا أن يبحثوا عن مطاعن لهم في أمور خارجة، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

(١) - رواه البخاري برقم ٣٦٨٢، وراجع تعليق ابن حجر على رؤية النبي هل هي على ظاهرها أم لها تأويل.

الفصل الثاني: مساهمة أم المؤمنين عائشة في الحياة الإسلامية

إنَّ من أعظم مناقبها رضي الله عنها مساهمتها الكبيرة في الحياة الإسلامية، وفي نشوء المجتمع الإسلامي، وهي من الأوائل الذين شاركوا في بناء أسس وقواعد الأمة الإسلامية، فقد شاهدت منذ نعومة أظفارها تفاصيل الحركة الإسلامية الناشئة وتفاعلت معها، ثم ترقّت في مساهماتها ومشاركاتها بعد زواجها من رسول الله، وكمال نضوجها العقلي والجسمي، ممّا أهلها بسبب تلك العوامل الذاتية والموضوعية لمساهمة أكبر وأوسع كان لها التأثير الواضح في تاريخ الإسلام وحتى يومنا هذا.

وحجم المساهمة في هذه الحياة يعتمد على قدرات الشخص ومؤهلاته، والحقيقة التي لا ريب فيها أنّ السيدة عائشة كانت على مستوى شامخ من العلم والمعرفة يسعها في ذلك ذاكرة حادة وذكاء لامع، فهي على جانبٍ عظيم من الدراية بأسرار الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى معرفتها بالأمور الاجتماعية والسياسية، وأهم من ذلك أنّها تربّت في بيئة ساعدتها على القيام بتلك المساهمات الجليلة، سواءً وهي في بيت أبيها، أو وهي في بيت زوجها رسول الله فاجتمع لها المؤهلات والقدرات والبيئة المناسبة، قال عطاء: (كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً)^(١).

لذلك كانت مساهماتها في كلّ مناحي الحياة الإسلامية، ومن ذلك مشاركتها في الغزوات، روى البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمَّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْفُزَانِ (تسرعان في نقل) الْقُرْبَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْفُزَانِ الْقُرْبَ عَلَى مُتَوَحِّمَيَا ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَأَانِ، ثُمَّ تَبْحَثَانِ فُتُورَ عَائِشَةَ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ^(٢)، فهي رضي الله عنها مساهم أساسي في البناء الاجتماعي الإسلامي، فهي أكثر من روى في شؤون الأسرة والحياة الزوجية، لكنّها مع كل تلك المساهمات الجليلة اشتهرت، بالمساهمة العلمية، والمساهمة السياسية.

البحث الأول: مساهمتها العلمية.

البحث الثاني: حول دعوى فساد مرويات السيدة عائشة رضي الله عنها، ومكانتها العلمية.

البحث الثالث: ملامح المنهج النبوي في تكوين الملكة والصناعة الفقهية لدى أم المؤمنين عائشة.

البحث الرابع: مساهمتها السياسية.

البحث الخامس: هل خروج عائشة على علي تبرج منها ومخالفة لأمر الله {وقرن في بيوتكن}.

البحث السادس: هل فعل طلحة والزبير ما يوجب النار وهو استباحة قتل المسلم؟! وكيف بشرا بالجنة؟

(١) -المستدرک علی الصحیحین، ج ٤/ ١٥.

(٢) -صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال حديث رقم: ٢٦٦٧.

البحث الأول: مساهمتها العلمية

حازت السيدة عائشة علماً غزيراً صافياً من نبع النبوة الذي لا ينضب، فكانت "من أكبر فقهاء الصحابة وأحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية. روي لها (٢٢١٠ حديث)، اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ومسلم بثمانية وخمسين. روت عن خلق من الصحابة وروى عنها جماعات من الصحابة والتابعين قريب من المائتين"^(١) وتخرج من مدرسة أم المؤمنين عائشة عدد كبير من سادة العلماء ومشاهير التابعين، ومسند الإمام أحمد بن حنبل يضم في طياته أكبر عدد من مروياتها رضي الله عنها. وكانت بحراً زاحراً في الدين، وخزانة حكمة وتشريع، وكانت مدرسة قائمة بذاتها، وكبيرة محدثات عصرها، ونابعته في الذكاء والفصاحة والبلاغة، فكانت عاملاً كبيراً ذا تأثير عميق في نشر تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) فقد ورد عن أبي موسى أنه قال: "مَا أَشْكَلُ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ حَدِيثُ قُطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْماً"^(٣) وقيل: أنها أفقه النساء مطلقاً^(٤) بلا نزاع في ذلك بين أهل العلم، يقول الذهبي: "ولا أعلم في أمه محمد صلى الله عليه وسلم، بل ولا في النساء مطلقاً، امرأة أعلم منها"^(٥).

وقال هشام بن عروة عن أبيه قال: لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة ولا بشعر ولا أروى له ولا بيوم من أيام العرب ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طب منها فقلت لها: يا خالة، الطب من أين علمت؟ فقالت: كنت أمرض فينعت لي الشيء ويمرض المريض فينعت له وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه.^(٦)

عن مسروق أنه قيل له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض^(٧) وذكر أبو عمر بن عبد البر: أنها كانت وحيدة عصرها في ثلاثة علوم: علم الفقه وعلم الطب وعلم الشعر وعن عروة بن الزبير قال: ما رأيت أحداً أعلم لفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها.

توفي رسول الله ولعائشة ثمانية عشر عاماً وعاشت بعده قريباً من خمسين سنة، فأكثر الناس الأخذ عنها، ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئاً كثيراً حتى قيل أن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها وعن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة قال: كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله وعن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: ما كان أصحاب رسول الله يشكون في شيء إلا سألوا عنه عائشة فيجدون عندها من ذلك علماً.

(١) -عمدة القاري (١٠٠/١)، وانظر: الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة على الصحابة (٤٠/١)، و سير أعلام النبلاء (١٣٩/٢).

(٢) -انظر: نواسخ القرآن (١٠٤/١).

(٣) -سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب من فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (٣٨١٨).

(٤) -انظر: سلسلة الأحاديث الواهية وصحح حديثك (٢٦/١).

(٥) -انظر: سير أعلام النبلاء (١٤٠/٢).

(٦) -"حلية الأولياء" (٤٩/١ ، ٥٠).

(٧) -أخرجه الدارمي في سننه (٣٤٢/٢) ، والحاكم في مستدركه (١١/٤) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٦٦/٨) .

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: ما رأيت أحدا أعلم بسنن رسول الله ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه ولا أعلم بآية فيما نزلت ولا فريضة من عائشة وكان أزواج النبي يحفظن من حديث النبي كثيرا ولا مثالا لعائشة وأم سلمة وكانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت يرحمها الله، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن.

استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى أن ماتت يرحمها الله ^(١) وأسند الزبير بن بكار عن أبي الزناد قال: ما رأيت أحدا أروى لشعر من عروة، فقليل له ما أرواك فقال: ما روايتي في رواية عائشة ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا.

وعن مسروق قال: نخلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله يسألون عائشة عن الفرائض. وعن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة يا أمّنا لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله وابنة أبي بكر ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس لكن أعجب من علمك بالطب قال فضربت على منكبه وقالت أي عروة إن رسول الله كان يسقم في آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن.

استقلت بالفتوى وحازت على هذا المنصب الجليل المبارك منذ وفاة النبي وأصبحت مرجع السائلين ومأوى المسترشدين، وبقيت على هذا المنصب في زمن الخلفاء كلهم إلى أن وافاها الأجل، وشهد بعلمها كبار الصحابة ^(٢) فهذا علي يقول: "لقد علم أولوا العلم من آل محمد، وعائشة بنت أبي بكر فسألوها أنّ أصحاب ذي النديّة ملعونون على لسان النبي الأمي" ^(٣)، وكان الصحابة إذا أشكل الأمر عليهم من الدين، استفتوها فيجدون علمه عندها ^(٤).

شهد لها أهل التحقيق بالتقدم والإصابة ^(٥)، يقول الإمام الزهري: "لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل" ^(٦) وقال عطاء بن أبي رباح: "كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأيا في العامة" ^(٧) وقيل لمسروق: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ فقال: "والذي نفسي بيده لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض" ^(٨) وعن موسى بن طلحة قال: "ما رأيت أحدا أفصح من عائشة" ^(٩).

(١) - الطبقات الكبرى (٢/ ٣٧٥).

(٢) - الطبقات الكبرى (٢/ ٣٧٥)، وتغذيب الكمال (٢٣/ ٤٣١)، وأنساب الأشراف (١/ ١٨٥).

(٣) - قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات، وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ٣٥٩).

(٤) - انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٠٥).

(٥) - انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (٢/ ٣٧٦).

(٦) - موطأ الإمام مالك، أبواب الصلاة، باب وقوت الصلاة، (١/ ٤٥).

(٧) - انظر: أسد الغابة (١/ ١٣٨٤).

(٨) - المعجم الكبير (٢٣/ ١٨١)، حديث رقم (٢٩١)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن، وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٣٨٨).

(٩) - سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله حديث رقم (٣٨١٩)، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب.

ومن الجدير ذكره أنّ كثيراً من الأحكام الشرعية التي عرفناها من رسول الله وخاصة تلك التي تخص النساء إنما عُرفت من أحاديث روتها السيدة عائشة فلأم المؤمنين دورٌ مميّز في هذا المجال لأنّ النساء حين يسألن النبي عليه الصلاة والسلام عن موضوعاتٍ تخصّ حالهنّ يسألنه غالباً وهو في بيته وبين نساؤه، وأفضل من ينقل تلك الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا كان لها دورٌ كبير في الدعوة.

ولم تكتفِ رضي الله عنها بما عرفت من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما اجتهدت في استنباط الأحكام للوقائع التي لم تجد لها حكماً في الكتاب أو السنة، فكانت إذا سئلت عن حكم مسألة ما بحثت في الكتاب والسنة، فإن لم تجد اجتهدت لاستنباط الحكم، حتى قيل: إنّ ربع الأحكام الشرعية منقولة عنها^(١).

ولو لم يكن لعائشة إلاّ هذه المنقبة العظيمة لكفاها فخراً ولجعلها تتبوأ المقام السامي والمنزلة الرفيعة؛ فكم من مسلمٍ نعتت وكم من مفسدةٍ درأت بنشرها ذلك العلم الجليل وهذا ما جعل ابن القيم حين عقد مفاضلة بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهنّ أن يقول: "وإن أريد بالتفضيل التفضل بالعلم؛ فلا ريب أنّ عائشة أعلم وأنفع للأمة وأدت إلى الأمة من العلم ما لم يؤد غيرها واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها"^(٢).

وفي هذا تأكيدٌ لدور المرأة في المعرفة والعلم والحياة وهي دعوة للتأسي بأئم المؤمنين وهي التي كانت تقول: "رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن"^(٣) فدعوة المرأة للعلم ليست دعوة للانحلال والسفور وإتّما هي دعوة لما يُعينها على النهوض بوظيفتها في هذه الحياة ويجعلها أقدر على القيام بمسؤولياتها وفي هذا مفخرة للدين الذي خرج هذا النموذج الباهر^(٤).

ولعل أهم الأسباب التي ساعدت أم المؤمنين على اكتساب هذا العلم ما يلي:

الذكاء وقوة الحفظ: امتازت أم المؤمنين عائشة بالذكاء الوقاد، وقوة الحفظ والاستذكار مما ساعدتها على حفظ كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله وفقههما، وعلمها بالعربية وفنونها وأشعارها فقد كانت عالمة بالعربية وفروعها وأشعار العرب ونوادرهم، فصيحة اللسان مما ساعدها على فهم القرآن و تفسيره وقد تعلمت من والدها الصديق البلاغة والفصاحة فقد كان الصديق علامة العرب في ذلك، وكذلك نشأتها في بيت النبوة فشاهدت أحوال النبي واطلعت على أخباره فتعلمت حكمته وكل شؤونه وخاصة ما يتعلق بأحكام النساء، إضافة لحرص النبي على تعليمه: فقد كان ﷺ حريصاً على تعليمها لما لمسه من ذكاء وفطنة، فكان عليه الصلاة والسلام يحدثها ويفقهها بالدين، وإن نزول الوحي في فراشها ولم ينزل على رسول الله الوحي في فراش امرأة سواها أعطاهها ثقة بحالتها وتميزها عن غيرها من زوجات النبي عليه الصلاة والسلام

وقد أخذ عنها كثير من الصحابة، والتابعين وخلق كثير، وروي عنها (٢٢١٠) حديث ولها آراء فقهية كثيرة واجتهادات عديدة وتخرج من مدرسة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عدد كبير من سادة العلماء و

(١) -انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري(٧٠/١)، وتحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي (٢٥٥/١٠)، ونساء حول الرسول (١٥/١).

(٢) -بدائع الفوائد (٦٨٣/٣).

(٣) -انظر: جامع بيان العلم وفضله (١٧٥/١) والاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار (٢٩٣/١) وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١٥٦/١).

(٤) -ومن أراد الاطلاع على محاوراتها ومناقشاته مع الصحابة فليرجع إلى كتاب "الإجابة لإيزاد ما استدركت عائشة على الصحابة" للإمام بدر الدين الزركشي.

مشاهير التابعين، و كان لأُم المؤمنين السيدة عائشة تلاميذ كثر من التابعين الذي أخذوا العلم عنها ونشروه في الأمصار الإسلامية فصاروا أئمة يُقتدى بهم في العلم والعمل ومن أشهر هؤلاء عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ومسروق بن الأجدع وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية عليهم رحمة الله تعالى أجمعين، وكان هؤلاء التلاميذ النجباء يتلقون العلم في غرفة قصية البناء مبنية من جريد عليه طين من حجارة مرضونة وسقفها من جريد^(١)، وكانت رضي الله عنها تضع حجاباً بينها وبين طلاب علمها النبوي الشريف.

منهجها العلمي المميز وأبرز ما فيه من خصائص:

تلقت الوحيين مشافهة من فم رسول الله واتكأت على القياس وإلحاق النظير بالنظير فكانت بحراً زاخراً من العلم امتاز منهجها العلمي بعدة ميّزات وخصائص أهمها:

الأولى: الحياء ليس مانعاً من موانع العلم: ودلّ على هذا قولها: "نِعَمَ النِّسَاءُ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ"^(٢) وعن عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: اخْتَلَفَ رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّونَ: لَا يَجِبُ الْغُسْلُ إِلَّا مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجِبَ الْغُسْلُ. قَالَ أَبُو مُوسَى: فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأُذِنَ لِي؛ فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمّاهُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكَ؛ فَقَالَتْ: لَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتُ سَائِلاً عَنْهُ أُمّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا أُمّكَ قُلْتُ: فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلُ؟ قَالَتْ: عَلَى الْحَبِيرِ سَقَطَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانُ فَقَدْ وَجِبَ الْغُسْلُ"^(٣) والشواهد كثيرة واقتصر على ما يكفي للدلالة على منهجها.

الثانية: الأسلوب الاستدلالي^(٤) ويكفي أن أسوق مثالا واحدا للدلالة على قدرتها الفائقة في جمع الأدلة واستنباط الأحكام منها بأسلوب دقيق وفهم عميق فقد روى الترمذي عن مسروقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَكَيِّفًا عِنْدَ عَائِشَةَ؛ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفُرْيَةَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفُرْيَةَ عَلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: "لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"، وَمَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ"، وَكُنْتُ مُتَكَيِّفًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: يَا أُمّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرْنِي وَلَا تُعْجِلْنِي، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}، {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ}. قَالَتْ: أَنَا وَاللَّهِ أَوَّلُ مَنْ سَأَلَ عَنْ هَذَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِنَّمَا ذَاكَ جَبْرِيْلُ مَا رَأَيْتُهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي خُلِقَ فِيهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرْتَيْنِ رَأَيْتُهُ مِنْهُبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفُرْيَةَ عَلَى اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي عَدِيٍّ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفُرْيَةَ عَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَقُولُ: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} ^(٥).

(١) -البداية النهاية لابن كثير ج ٣/٣/٢٢٠.

(٢) -سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة وسنننها، باب في الخائض كيف تغتسل، حديث رقم (٦٣٤).

(٣) -صحيح مسلم، كتاب الخيض، باب نضح الماء من الماء ووجوب الغسل بالبقاء الختانين، حديث رقم (٥٢٦).

(٤) -انظر: عائشة معلمة الرجال والأجيال (٨٥).

(٥) -سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٢٩٩٤)، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

الثالثة: الأسلوب الاستفهامي وهو أسلوب يدلّ على ذكاء صاحبه وكانت رضي الله عنها تتمتع بحسن السؤال والاستفسار والمحاورة ومن ذلك قولها: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: "لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ" (١). وَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ" فَأَيُّنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "عَلَى الصِّرَاطِ" (٢) والناظر في أسئلتها يدرك أنّ ميزات هذه الشخصية الواعية المدركة، وتأمل حوارها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة الحساب والعرض حين سمعته قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ". قَالَتْ: "أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا" فَقَالَ: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ" (٣) وفي الحديث دلالة على ذكاء عائشة وفيه جواز المناظرة ومُقَابَلَةُ السُّنَّةِ بِالْكِتَابِ (٤).

الرابعة: القياس والمنطق العقلي

والمنطق عندها ليس متحرراً من القرآن والسنة، بل مبنيّ عليهما، ومثال ذلك أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهَا أَنَّ مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ؛ فَقَالَتْ: "شَبَّهْتُمُونَا بِالْحَمِيرِ وَالْكَالِبِ، وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مُضْطَجِعَةً، فَتَبَدُّو لِي الْحَاجَةُ فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ فَأُوذِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْسَلُ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ" (٥) فالمنطق العقلي يأبى أَنْ تُشَبَّهَ الْمَرْأَةُ بِالْحَمِيرِ وَالْكَالِبِ (٦).

وَذَكَرَ عِنْدَهَا رضي الله عنها قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ: الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ؛ فَقَالَتْ: "رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَحْفَظْهُ، إِنَّمَا مَرَّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ وَهُمْ يَبْكُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَنْتُمْ تَبْكُونَ وَإِنَّهُ لَيُعَذَّبُ" (٧) أَيْ "إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِحُطْبَيْتِهِ وَذَنْبِهِ، وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ" (٨) وهذا منطق سليم، لأنّ البكاء عمل الآخرين، والله سبحانه يقول: "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى".

ولما سمعت يقول أبي هريرة "من غسل ميتا اغتسل ومن حمله توضأ"، قالت رضي الله عنها: "أَوَجَّسَ مَوْتِي الْمُسْلِمِينَ؟ وما عَلَى رَجُلٍ لَوْ حَمَلَ عوداً" (٩) وهذا الكلام منها يعتمد المنطق والقياس وكأَنَّهَا تقول: إِنَّ الْمُنْطِقَ يَأْبَى نَجَاسَةَ الْمُسْلِمِ وَلَا يَوْجِبُ غَسْلًا لِحَمَلِ عود، وفي ختام هذا المبحث المختصر جداً أَنَّبَهُ عَلَى أَنِّي أَتَحَدَّثُ عَنْ

(١) - سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ، حديث رقم (٣٠٩٩).

(٢) - صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَاب فِي الْبُعْثِ وَالنُّشُورِ وَصِفَةِ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم (٤٩٩٩).

(٣) - صحيح البخاري، كتاب الْعِلْمِ، بَاب مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَاغَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ، حديث رقم (١٠٠).

(٤) - انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/١٦٨).

(٥) - صحيح البخاري، كتاب الصَّلَاةِ، بَاب مَنْ قَالَ لَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ شَيْءٌ، حديث رقم (٤٨٤).

(٦) - والحديث عن تشبيه المرأة بالحمير والكلاب خطير على الدعوة في هذه الأيام، لما فيه من انتقاص من قدر المرأة وتحقيرها، ومثل ذلك يُقال بمن يُفني بالوضوء من لمس المرأة، وفي حديث عائشة الذي رواه البخاري "فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ عَمَرَ رَجُلِي فَقَبَضْتُهَا" ردّ عليهم.

(٧) - صحيح مسلم، كتاب الجنائز، بَاب الْمَيِّتِ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، حديث رقم (١٥٤٦).

(٨) - صحيح البخاري، كتاب الْعَمَازِي، بَاب قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ، حديث رقم (٣٦٨١).

(٩) - انظر: الإجابة لإيراد ما استدلّ به عائشة على الصحابة (١/١٢٢).

فقيهة الأمة، فهي راوية كبيرة للحديث، ومفسرة للقرآن، وأديبة خطيبة فصيحة، وما نُقِلَ عنها من علم أكثر من أن يُحصى، ولكنني ذكرْتُ لِحْجَةً موجزةً منه للدلالة على منقبة من مناقبها الجليلة. ^(١)

الخامسة توثيق المسائل:

كانت رضي الله عنها إذ تحرص على تتبع توثيق المسائل بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله عن يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرّة بنت عبد الرحمن، أنها أخبرته أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة أن عبد الله بن عباس قال: من أهدى هدياً حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر الهدي وقد بعثت بهديي فاكتبي إليّ بأمرك، قالت عمرّة: فقالت عائشة: ليس كما قال ابن عباس، " أنا فتلت قلائد هدي رسول الله بيدي، ثم قلدها رسول الله بيديه، ثم بعث بها مع أبي، فلم يحرم على رسول الله شيء أحله الله له حتى نحر الهدي. ^(٢)

السادسة الورع عن الكلام بغير علم: كانت رضي الله عنها تتورع عن الكلام بغير علم، ومن مثل هذا ما قال شريح بن هانئ قال: أتيت عائشة أسأله عن المسح على الخفين فقالت: عليك بابن أبي طالب فسله فإنه كان يسافر مع رسول الله فسألناه فقال جعل رسول الله ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم ^(٣)

السابعة الجمع بين الأدلة و فهم مقاصد الشريعة: كانت رضي الله عنها تعتمد على الجمع بين الأدلة و فهم الشريعة وعلوم العربية و من ذلك ما رواه عروة عن عائشة قال قلت : أرأيت قول الله عز وجل { إن الصفا و المروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما } قال قلت : فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما ، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أخي إنها لو كانت على ما اولتها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لِمَنَاءَ الطاغية التي كانوا يعبدون عند المشلل وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا و المروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا و المروة في الجاهلية ، فأُنزل الله عز وجل: { إن الصفا و المروة من شعائر الله إلى قوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما } قالت عائشة ثم قد سن رسول الله الطواف بهما ، فليس ينبغي لأحد أن يدع الطواف بهما (^(٤).

الثامنة معرفتها بأدب الحوار: كانت رضوان الله عليها على معرفة عميقة وتامة بأداب الحوار وكل ما يلزم ذلك كيف لا وهي التي تربت وتعلمت في بيت النبوة، عن عروة بن الزبير قال: كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع ضربها بالسواك تسنن فقلت: يا أبا عبد الرحمن أعتمر النبي في رجب؟ قال: نعم، فقلت: أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟! قالت: وما يقول؟ قلت: يقول أعتمر النبي

(١) -عن بحث د. قاسم توفيق قاسم خضر بعنوان (مآثرُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَدَّم في دعوة علمية عن طريق أوقاف طولكرم

(٢) -رواه الشيخان البخاري في صحيحه ج ٢ / ٥٦٤ ومسلم في صحيحه ج ٢ / ٨٩٥.

(٣) -أخرجه مسلم ج ١ / ٢٣٢.

(٤) -أخرجه مسلم في صحيحه، ٢ / ٩٢٩.

في رجب فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمرى ما اعتمر في رجب، وما اعتمر من عمرة إلا و إنه لَمَعَهُ قال وابن عمر يسمع فما قال لا ولا نعم سكت^(١)

التاسعة الدقة في نقل الموروث النبوي: وكانت أم المؤمنين دقيقة جدا في نقل الموروث النبوي أمانة في النقل وورعاً وخوفاً من الله سبحانه وتعالى عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها أخبرت أنه سمعت عائشة وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول إن الميت ليعذب ببكاء الحي، فقالت عائشة يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ إنما مرّ رسول الله على يهودية يبكي عليها أهلها فقال إنهم ليكون عليها وإنها لتعذب في قبرها^(٢).

العاشره اختبار المحدث: وكانت عائشة إذا لم تكن تعرف الحديث اختبرت قائله، فإن ضبطه قبلته، وهذا الأسلوب اتبعه نقاد الحديث فيما بعد في نقد نقل الرجال. عن عروة بن الزبير قال قالت لي عائشة يا ابن أخي بلغني أن عبد الله بن عمرو ما زلنا بنا إلى الحج فآلَقَهُ فَسَأَلُهُ فإنه قد حمل عن النبي علماً كثيراً، قال: فلقيته فسألته عن أشياء يذكرها عن رسول الله قال: (إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعاً ولكن يقبض العلماء، فيرفع العلم معهم ويبقى في الناس رؤوساً جهالاً يفتونهم بغير علم فيضلون و يضلون) قال عروة فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته قالت أحدثك أنه سمع النبي يقول هذا، قال عروة حتى إذا كان قابل قالت له: إن ابن عمرو قد قدم فآلقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم، قال: فلقيته فسألته فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى قال عروة فلما أخبرتها بذلك قالت ما أحسبه إلا قد صدق أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص^(٣).

عدم الإسراع في الكلام والثاني في سرد الأحاديث: فقد اتبعت أم المؤمنين أسلوب النبي في التحدث والتعليم، فكانت رضي الله عنها تتكلم بتأني دون كلل ولا تكثر في الكلام والتحدث عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له: ألا يعجبك أبو هريرة جاء فجلس إلى جنب حجرتي يحدث عن النبي يسمعي ذلك وكنت اسبح، فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله لم يكن يسرد الحديث كسردكم^(٤).

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢/٩١٦.

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه، ج ١/٤٣٣ ومسلم في صحيحه، ج ٢/٦٤٣.

(٣) - أخرجه مسلم قال الإمام النووي قوله (إن عائشة قالت في عبد الله بن عمرو ما أحسبه إلا قد صدق أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص) ليس معناه أنها اتهمته لكنها خافت أن يكون اشتبه عليه أو قرأه من كتب الحكمة فتوهمه عن النبي فلما كرره مرة أخرى وثبت عليه، وفي هذا الحديث الحث على الحفاظ العلم وأخذه عن أهله واعترف العلم للعالم بالفضيلة (شرح النووي، ج ١/٢٢٥).

(٤) - أخرجه مسلم في صحيحه وقال الإمام النووي: قولها: (لم يكن يسرد الحديث كسردكم) أي يكثره ويستعجل فيه (شرح النووي، ج ١/٥٤).

البحث الثاني: حول دعوى فساد مرويات السيدة عائشة ومكانتها العلمية^(١).

فقد روت ألفين ونيفا من الأحاديث، ولم يتحقق هذا لغيرها من زوجات النبي وفي هذا ما يدعو للشك فيما روته كما يزعمون أنها خالفت رواية الصحابة عن النبي في بعض الأمور منها: «إنما الماء من الماء»، وانفردت برواية: «إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل» مما يؤكد فساد مروياتها

ملخص الجواب: لقد كانت السيدة عائشة تتمتع بكثير من الإمكانات العلمية والقدرات التي ميزتها عن غيرها من أمهات المؤمنين، مما أهلها للراوية عنه صلى الله عليه وسلم بكثرة ولقد صدقت السيدة عائشة ولم تخالف أحدا إذ إن رواية «الماء من الماء» رواية منسوخة بما ذكرته السيدة عائشة عن رسول الله «إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل»، وفي رواية مسلم «ومس الختان الختان فقد وجب الغسل»، وتبين أن الحق في قولها ولذا أجمع عليه العلماء، وهذا من استدراقات السيدة عائشة على بعض الصحابة.

أولا. أسباب كثرة روايتها عن النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تتمتع بكثير من القدرات والإمكانات التي لم تحظ بها غيرها من أمهات المؤمنين، فقد كانت رضي الله عنها أدكى أمهات المؤمنين وأحفظهن، بل كانت أعلم من كثير من الرجال، فقد كان كبار علماء الصحابة يسألونها عن بعض الأحكام التي تشكل عليهم فتفتيهم بما سمعته أو رأته من النبي ومما روي في ذلك عن أبي موسى الأشعري أنه قال: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما»^(٢). وقال عروة بن الزبير: ما رأيت امرأة أعلم بطب ولا فقه، ولا شعر من عائشة^(٣).

ومما يدل على مكانتها من رسول الله مع فطنتها ما رواه الشيخان، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قال لي رسول الله: إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبي، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا، ورب محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا، ورب إبراهيم، قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهرج إلا اسمك»^(٤)، في هذا الحديث جزم الرسول برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها اسمه الشريف وسكوها، واستدل على كمال فطنتها وقوة ذكائها بتخصيصها إبراهيم عليه السلام دون غيره؛ لأنه أولى الناس به كما في التنزيل، فلما لم يكن لها بد من هجر اسمه الشريف، أبدلته بمن هو منه بسبيل، وقولها رضي الله عنها: «والله يا رسول الله ما أهرج إلا اسمك» هذا الحصر في غاية اللطف في الجواب؛ لأنها أخبرت أنها إذا كانت في غاية الغضب الذي يسلب العاقل اختياره، لا يغيرها عن

(١) -التلوس: الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة، د. عبد القادر محمد عطا صوفي، دار أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، جيهان رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

(٢) -صحيح: أخرجه الترمذي (بشرح تحفة الأحوذ)، رقم (٤١٣٤). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٨٨٣).

(٣) -سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، (٢/ ١٨٣) بتصرف.

(٤) -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، (٩/ ٢٣٧) رقم (٥٢٢٨). صحيح مسلم (بشرح النووي)، (٨/ ٣٥٦٦)، رقم (٦١٦٨).

كمال المحبة المستغرقة ظاهرها وباطنها، الممتزجة بروحها، وإنما عبرت عن الترك بالهجران لتدل به على أنها تتألم من هذا الترك الذي لا اختيار لها فيه^(١).

وفي هذا دليل واضح على قرب السيدة عائشة من النبي وقربه منها، كما يدل على رجاحة عقلها وذكاؤها، وسلامة منهجها، فكيف لا نثق بعد ذلك فيما روته عنه ﷺ؟! وسأل عمرو بن العاص النبي صلى الله عليه وسلم ذات مرة: «أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال: قال: أبوها...»^(٢). وهكذا فقد كانت رضي الله عنها من أشد المقربين إلى النبي ومن أحب زوجاته إليه، وقد أخذت منه ونقلت عنه أحاديث كثيرة، وما ذلك إلا لشدة قربها منه وملازمتها له، فقد كان من المنح الإلهية لعائشة رضي الله عنها أن وهبها الله تعالى ذكاء وذاكرة قوية وحفظا سريعا، فقد نشأت في بيت أبي بكر، وعاشت في بيت النبوة، ونهلت من المعين النبوي الصافي، وقد عرفت بالتطلع الواسع إلى العلم والمعرفة، فكانت كثيرة السؤال والاستفسار، شديدة التمحيص والتنقيب، وقد شهد لها بذلك الأكابر، فعن ابن أبي مليكة: «أن عائشة كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه...» الحديث^(٣).

فلقد كانت رضي الله عنها وهي صبية تسمع الآية من القرآن فتحفظها وتضبط مكان نزولها ووقت النزول، وقد جمعت إلى حفظ القرآن معرفة معانيه وتفسيره، فأصبحت من كبار المفسرين للقرآن الكريم، وساعدها على ذلك معرفتها باللغة العربية وأشعارها وآدابها، فعن الشعبي: أن عائشة قالت: رويت للبيد نحو من ألف بيت، وكان الشعبي يذكرها، فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة^(٤).

وقد كانت رضي الله عنها من كبار المحدثين وحفاظ السنة، وقد امتازت عن غيرها من الصحابة أنها سمعت تلك الأحاديث مشافهة من النبي لذلك انفردت برواية أحاديث لم يروها عنه غيرها لمكانتها عنده، ولذلك يرجع الفضل إليها في نقل قسم كبير من السنة النبوية ونشرها بين الناس، ولا سيما في الأمور التي تتعلق بتصرفات النبي في بيته ومع أهله، والتي لو لم تنقلها؛ لضاع قسم كبير منها.

وقد كان حفظها لحديث رسول الله وإتقانها له مرجعا للصحابة فيما اختلفوا فيه من الأحاديث للتحقيق من سماعها له من فم النبي فيجدون عندها الجواب الشافي الذي يحسم الخلاف ويرد الشك^(٥) فهذا أبو هريرة يحدث بحديث سمعه ابن عمر فينكره عليه، فيذهب به إلى عائشة، وقد كان من عادة أبي هريرة الجلوس إلى حجرة عائشة يسمعها ما يحدث به الناس، ثم يقول: «اسمعي يا ربة الحجرة، اسمعي يا ربة الحجرة»^(٦) وكان من شك في رواية أتى عائشة سائلا، ومن كان بعيدا كتب إليها يسألها^(٧).

(١) -فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (٩/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) -صحيح البخاري، (بشرح فتح الباري)، (٧/ ٢٢)، رقم (٣٦٦٢). صحيح مسلم (بشرح النووي)، (٨/ ٣٥١٨)، رقم (٦٠٦٠). وراجع: الحديث النبوي والتأريخ، د. أحمد جمال العمري، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص٤٢٤: ٤٢٦ بتصرف.

(٣) -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العلم، باب: من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه، (١/ ٢٣٧)، رقم (١٠٣).

(٤) -سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، (٢/ ١٩٧).

(٥) -الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة على الصحابة، بدر الدين الزركشي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م، ص٢٣.

(٦) -صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الزهد والرقائق، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، (٩/ ٤٠٨٩)، رقم (٧٣٧٤).

(٧) -دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، آمال قرداش بنت الحسين، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ص٤٩: ٥٢ بتصرف.

لقد شاء الله تعالى أن تقف السيدة عائشة ومعها بعض الصحابة حراساً أمناء على سنة رسول الله يكشفون أخطاء الرواية، ويقومون مسارها على طريقها الصحيح، وقد سار توثيق السيدة عائشة للسنة من ناحية ضبط رواتها، أو ما يسمى بالتوثيق الخارجي للحديث جنباً إلى جنب مع التوثيق الداخلي للحديث بالتأمل في متنه، وكونه ملائماً لأن يصدر عن رسول الله ومن هنا فقد استدركت السيدة عائشة على بعض الصحابة بعض الأحاديث، وهذا يدل على سعة علمها بالسنة وكثرة روايتها.

ولا ريب أن السيدة عائشة بهذا الصنيع قد أرست أسساً سار عليها العلماء فيما بعد، لينفوا عن سنة رسول الله ما هو دخيل أو غير صحيح، لأن رواته لم يضبطوه، وقام على أساس ذلك علم علل الحديث، وعلم الجرح والتعديل. ورغم اجتهداها هذا؛ فإنها لم تنسب الكذب إلى أحد من أصحاب النبي ولكنها كانت تقول: «إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا مكذبين، ولكن السمع يخطئ»^(١) وهذا بعض ما استدركته السيدة عائشة على بعض الصحابة:

١. روى عمر أن رسول الله قال: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، وعندما ذكر الحديث للسيدة عائشة رضي الله عنها أنكرت ذلك، وقالت: والله ما قال رسول الله قط: إن الميت يعذب ببكاء أحد، ولكنه قال: إن الكافر يزيد الله ببكاء أهله عذاباً، وإن الله هو أضحك وأبكى، ولا تزر وازرة وزر أخرى، قال القاسم بن محمد: لما بلغ عائشة قول عمر وابن عمر، قالت: إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا مكذبين، ولكن السمع يخطئ»^(٢)، وفي رواية: «يرحم الله عمر: لا والله ما حدث رسول الله: إن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد، ولكن قال: إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه»^(٣).

٢. قال ابن عباس: «أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم»^(٤)، قالت عائشة: «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلقه ساداً ما بين الأفق»^(٥).

٣. «سئل ابن عمر: كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربعاً، إحداهن في رجب، فقالت عائشة: يرحم الله أبا عبد الرحمن، ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده، وما اعتمر في رجب قط»^(٦).

٤. بلغ عائشة أن ابن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، فقالت: «يا عجباً لابن عمرو هذا!، يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، أفلا يأمرهن أن يجلقن رؤوسهن، لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله من إناء واحد، ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات»^(٧).

(١) - صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الجنائز، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، (٤/ ١٥٢٧)، رقم (٢١١٥).

السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، جيهان رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٨٣، ٨٤ بتصرف.

(٢) - صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الجنائز، باب: الميت يعذب ببكاء أهله، (٤/ ١٥٢٧)، رقم (٢١١٥).

(٣) - صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، (٣/ ١٨٠)، رقم (٢٨٤). صحيح مسلم (بشرح النووي)، (٤/ ١٥٢٨)، رقم (٢١١٧).

(٤) - صحيح: أخرجه الحاكم رقم (٢١٦). وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم (٤٤٢).

(٥) - صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين، (٦/ ٣٦١)، رقم (٣٢٣٤).

(٦) - صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العمرة، باب: كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم، (٣/ ٧٠١)، رقم (١٧٧٦).

(٧) - صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الحيضة، باب: حكم ضفائر المغتسلة، (٢/ ٨٧٨)، رقم (٧٣١).

٥. روى البخاري عن أبي هريرة قال: «من أدركه الفجر جنباً فلا يصم، فسئلت عائشة وأم سلمة عن ذلك فقالتا: كان النبي يصبح جنباً من غير حلم، ثم يصوم»^(١).

ثانياً. نسخ رواية "الماء من الماء" برواية إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل:

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها ألزم الناس لرسول الله لذلك حفظت عنه كثيراً من الأحاديث التي لم توجد إلا عندها، ليس هذا فحسب، بل إنها استدركت بفطنتها وقوة ذاكرتها على بعض الصحابة بعض الأحاديث، وهذا يدل على سعة علمها بالسنة، فالسيدة عائشة رضي الله عنها عارضت ما كان يرويه بعض الصحابة، فقد كانت تروي آخر ما كان يفعله النبي ولم يبلغ الصحابة.

أما القول بأن عائشة قد خالفت كبار الصحابة فهو قول باطل، كما دلت على ذلك الأدلة والبراهين، وباستعراض استدراكات السيدة عائشة ورواياتها يتبين لنا ذلك، فعن عبيد بن رفاعه عن أبيه قال: إني لجالس عند عمر بن الخطاب إذ جاء رجل فقال: يا أمير المؤمنين، هذا زيد بن ثابت يفتي الناس في الغسل من الجنابة برأيه فقال عمر: أعمجل علي به، فجاء زيد، فقال عمر: قد بلغني من أمرك أنك تفتي الناس بالغسل من الجنابة برأيك في مسجد النبي فقال له زيد: أما والله يا أمير المؤمنين، ما أفتيت برأيي، ولكني سمعت من أعمامي شيئاً فقلت به فقال: من أي أعمامك؟ فقال: من أبي بن كعب، وأبي أيوب، ورفاعة بن رافع. فالتفت إلي عمر فقال: ما يقول هذا الفتى؟ قال: قلت: إنا كنا لنفعله على عهد رسول الله ثم لا نغتسل قال: أفسألتهم النبي عن ذلك؟ فقلت: لا. قال: علي بالناس، فاتفق الناس أن الماء لا يكون إلا من الماء، إلا ما كان من علي ومعاذ بن جبل، فقالا: إذا جاوز الختان الختان، فقد وجب الغسل. فقال: يا أمير المؤمنين لا أجد أحداً أعلم بهذا من أمر رسول الله من أزواجه، فأرسل إلى حفصة فقالت: لا علم لي، فأرسل إلى عائشة فقالت: «إذا جاوز الختان الختان، فقد وجب الغسل»^(٢)؛ فتحطم^(٣) عمر، وقال: لئن أخبرت بأحد يفعله، ثم لا يغتسل لأنفكته عقوبة (أي لما لنت في عقوبته)^(٤).

وفي رواية: تذاكر أصحاب رسول الله عند عمر بن الخطاب الغسل من الجنابة، فقال بعضهم: "إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل"، وقال بعضهم: "إنما الماء من الماء". فقال عمر: قد اختلفتم علي، وأنتم أهل بدر، فكيف بالناس بعدكم؟ فقال علي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين، إن أردت أن تعلم ذلك، فأرسل إلى أزواج النبي فسلهن عن ذلك، فأرسل إلى عائشة فقالت: "إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل"؛ فقال عمر عند ذلك: لا أسمع أحداً يقول "الماء من الماء"^(٥).

زاد الإمام الطحاوي مؤكداً أن رأي السيدة عائشة هو الأصوب، فقال: فهذا عمر، قد حمل الناس على هذا، بحضرة أصحاب رسول الله فلم ينكر ذلك عليه منكر^(٦)، وحدير بالذكر أن "الماء من الماء" أي لا يجب

(١) - صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، (٤/ ١٦٩، ١٧٠) رقم (١٩٢٥، ١٩٢٦). صحيح مسلم (بشرح النووي)، رقم (٢٥٤٨).

(٢) - صحيح: أخرجه الترمذي (بشرح تحفة الأحوذ)، رقم (١٠٩). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (١٠٩).

(٣) - فتحطم: أي: تلظى وتوقد غيظاً، من الحطمة: النار.

(٤) - شرح معاني الآثار، الطحاوي، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مطبعة الأنوار المحمدية، مصر، د. ت، (١/ ٥٩).

(٥) - شرح معاني الآثار، الطحاوي، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مطبعة الأنوار المحمدية، مصر، د. ت، (١/ ٥٩).

(٦) - شرح معاني الآثار، الطحاوي، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مطبعة الأنوار المحمدية، مصر، د. ت، (١/ ٥٩).

الغسل إلا بالإنزال في الجماع، كان في أول الإسلام ثم نسخ هذا، ولم يكن يعلم بعض الصحابة بالنسخ، فكان يفتي به حتى علم الجميع بالنسخ، وأصبح وجوب الغسل بدون الإنزال إجماعاً^(١).

ومما يؤكد ذلك أيضاً ما ذكره النووي رحمه الله إذ يقول: "اعلم أن الأمة مجتمعة الآن على وجوب الغسل بالجماع، وإن لم يكن معه إنزال، وعلى وجوبه بالإنزال، وكان جماعة من الصحابة على أنه لا يجب إلا بالإنزال، ثم رجع بعضهم وانهقد الإجماع بعد الآخرين. وأما حديث «الماء من الماء» فالجمهور من الصحابة ومن بعدهم قالوا: إنه منسوخ"^(٢).

هذا وقد عقد الإمام الترمذي صاحب السنن باباً كاملاً عن نسخ قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الماء من الماء»، فقد روى عن أبي بن كعب قال: «إنما كان الماء من الماء رخصة في أول الإسلام، ثم نهي عنها»^(٣)، وقال: حديث حسن صحيح، ثم قال: وإنما الماء من الماء في أول الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك، وهكذا روى غير واحد من أصحاب النبي منهم: أبي بن كعب، ورافع بن خديج، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، على أنه إذا جامع الرجل امرأته في الفرج، وجب عليهما الغسل، وإن لم ينزلا؛ ثم يؤكد ذلك بما رواه عن ابن عباس يوضح هذا اللبس، أنه قال: "إنما الماء من الماء في الاحتلام".

ثم يعلق صاحب تحفة الأحوذى على ذلك بقوله: "لا شك أن حديث أبي بن كعب المذكور صريح في النسخ، على أن حديث الغسل وإن لم ينزل أرجح من حديث الماء من الماء لأنه بالمنطوق، وترك الغسل من حديث الماء من الماء بالمفهوم أو بالمنطوق أيضاً لكن ذلك أصرح منه.

أما قوله في الحديث الآخر: "إنما الماء من الماء في الإسلام" يعني أن حديث الماء بالماء محمول على صورة مخصوصة، وهي ما يقع في المنام من رؤية الجماع، وهو تأويل يجمع بين الحديثين من غير تعارض، قال الشيخ عبد الحق الدهلوي: يمكن أن يقال: إن قول ابن عباس هذا ليس تأويلاً للحديث، وإخراجاً له بهذا التأويل من كونه منسوخاً، بل غرضه بيان حكم المسألة بعد العلم بكونه منسوخاً، وحاصله أن عمومته منسوخ، فبقي الحكم في الاحتلام"^(٤).

وفي هذا دلالة صريحة على صحة مروياتها رضي الله عنها بل ثبت أنها الأصح؛ إذ عرفت رضي الله عنها ما نسخ من الأحاديث، وما هو معمول به، ولم يعرف ذلك غيرها من الصحابة، بل احتكموا إليها حال الاختلاف بينهم، وعملوا بقولها وأخذوا بروايتها، وهذا عمر يتوعد من يخالفها، فهل هذا حجة عليها أم لها؟! وهل بعد ذلك نحكم بفساد روايتها أم صحتها؟!

(١) - السيدة عائشة وتوثيقها للسنة، جيهان رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م، ص ١٥٩.

(٢) - شرح صحيح مسلم، النووي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط ٢، ٢٠٠١ م، (٤ / ٣٦).

(٣) - صحيح: أخرجه الترمذي (بشرح تحفة الأحوذى)، (١ / ٣٠٨)، رقم (١١٠). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (١١٠).

(٤) - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، (١ / ٣٠٩، ٣١٠).

البحث الثالث: ملامح المنهج النبوي في تكوين الملكة والصناعة الفقهية لدى أم

المؤمنين عائشة (١)

يختص هذا البحث بكشف كيفية مساهمة المناخ العام السائد إبان العهد النبوي في صناعة شخصيات فقهية؟ وهل اقتصر المنهج النبوي على تعليم الأحكام الفقهية أم تعداه إلى فتح باب التطبيق من خلال الاجتهاد في تلك الأحكام؟ وما معالم المنهج النبوي في صناعة الفقهية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع ربطه بكيفية استثمارها رضي الله عنها لتلك المعالم؟

إنّ المناخ العام السائد إبان العهد النبوي مناخ قائم على شحذ الطاقات العقلية واستثمارها في مجال الأحكام الفقهية، وأنّ النبي لم يقتصر على الحث النظري على التفكير في مجال الأحكام الفقهية بل فتح المجال أمام الصحابييات للاجتهاد. أما بخصوص أم المؤمنين عائشة فهي شخصية فقهية متميزة مستقلة نشأت في ظلال المدرسة النبوية، وسنرى بعض معالم المنهج النبوي في تكوين الشخصية الفقهية لأم المؤمنين عائشة من خلال ثلاثة نماذج في ثلاثة أحاديث؛ الأول: قوله: "لَوْلا أَنَّ قَوْمَكَ..."، والثاني: قوله عليه الصلاة والسلام "مَنْ حُوسِبَ عُذْبٌ،" والثالث: قوله: "إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَةِ" فنعرض لمعالم المنهج المستقى من هذه الأحاديث وكيفية استثمار أم المؤمنين عائشة لتلك المعالم من خلال تحليل ما صدر عنها من أقوال وفتاوى.

المناخ العام مناسب للصناعة الفقهية وتكوين ملكتها.

إنّ المتأمل في نصوص آي القرآن، والمنهج النبوي في التعليم؛ يظهر له أن المناخ العام السائد مناخ قائم على الدعوة الصريحة إلى شحذ طاقات التفكير، فحين نتأمل منهج القرآن الكريم في تنمية العقل؛ نجد أنه قد اهتمّ بالتفكير من خلال اهتمامه بالعقل ونشاطاته المختلفة، وقد عبّر عنها بتعبيرات كثيرة، دعت بمجموعها إلى إعمال العقل والإدراك والنظر والتدبر والتأمل؛ للوصول إلى الحقائق التي ينبغي على العقل السليم أن يصل إليها بنفسه، وهو نفسه منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تربية العقل وتوجيه تفكيره متوافقاً مع منهج القرآن الكريم، ومن ذلك عدم اقتصاره عليه الصلاة والسلام على تعليم أصحابه وتلقينهم المسائل الفقهية فقط؛ بل نجده صلى الله عليه وسلم ربي علماء ومجتهدين إذ ظهرت آثار هذه التربية بوضوح في مواقف أصحابه بعد وفاته عليه الصلاة والسلام؛ من حادثة الردة وجمع القرآن واتخاذ السجون وغير ذلك من المسائل التي اجتهد فيها الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم. (٢)

إنّ المتأمل لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في مجال الصناعة الفقهية؛ يجد أنّه عليه الصلاة والسلام كان كثيراً ما يُنوّع في أسلوب تناوله للقضايا والمسائل، ولا يكتفي بتلقين المسلمين أمور دينهم، بل يُحفّزهم على التفكير والتأمل والوصول بأنفسهم إلى النتائج؛ ومن أمثلة الأحاديث التي استخدم فيها النبي عليه الصلاة والسلام أسلوب التأمل والاستدلال العقلي المنطقي المتسلسل حديث أبي هريرة: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

(١) - هذا البحث ملخص عن: ملامح في المنهج النبوي في صناعة المرأة الفقهية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أمّودجاً د. حمزة عبد الكريم حماد كلية الشريعة والقانون، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، بحث مقدم للمشاركة في مؤتمر المرأة في السيرة النبوية والمرأة المعاصرة: ١٨/٥/٢٠٠٥-١٤٣٣هـ

(٢) - محمد بن عبد الله الدويش، "لقطات من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم"، منشور في موقع: مداد

الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَمَا أَلَوْنُهَا؟" قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: "هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزُقٍ؟" ^(١) قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوَزُقًا، قَالَ: "فَأَتَى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِرْقُ نَزَعَهَا. قَالَ: "وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقُ نَزَعُهُ"، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الْإِنْتِفَاءِ مِنْهُ. ^(٢)

ومن المواقف النبوية الأخرى حديث ابن عَبَّاسٍ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أُخْتِي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ وَإِنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ: "لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتُ قَاضِيَهُ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَاقْضِ اللَّهَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ". ^(٣) وورد كذلك عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتُ تَقْضِيهِ؟" قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: "فَدَيِّنِ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ". ^(٤) ونلاحظ هنا أَنَّ النَّبِيَّ يَفْعَلُ القِيَّاسَ الْأَصُولِيَّ تَدْرِيبًا وَتَعْلِيمًا لِلصَّحَابَةِ فَضْلًا عَنْ عَدَمِ إِجَابَتِهِ عَلَى السُّؤَالِ مُبَاشَرَةً، بَلْ يَجْعَلُ السَّائِلَ يَصِلُ إِلَى الْجَوَابِ بِنَفْسِهِ، وَهَذَا إِعْمَالٌ لِلْعَقْلِ، بَدَلًا مِنْ تَلْقِي الإِجَابَةِ الْجَاهِزَةِ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى نَلْمَحُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّمَا جُعِلَ الْإِسْتِثْنَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ"، ^(٥) تَدْرِيبَ الصَّحَابَةِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْعِلَّةِ وَمَنَاطِ الْحُكْمِ.

إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ فَالْتَّبِي عِنْدَمَا أَوْصَى أَصْحَابُهُ فِي خُطْبَةِ حِجَّةِ الْوَدَاعِ قَالَ: "فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ، فَإِنَّهُ رَبُّ مُبَلِّغٍ يُبَلِّغُهُ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ..." ^(٦) وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: "نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، قَرُبَ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَمَاعٍ". ^(٧) فَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى حِرْصِ النَّبِيِّ عَلَى تَوْصِيَةِ الْمُسْلِمِينَ بِضُرُورَةِ إِعْمَالِ الْعَقْلِ، وَمَحَاوَلَةِ فَهْمِ كُلِّ مَا يَصْلُهُمْ مِنْ مَعْرِفَةٍ، وَفِيهِ أَيْضًا: "أَنَّهُ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَنْ يَكُونُ لَهُ مِنَ الْفَهْمِ فِي الْعِلْمِ مَا لَيْسَ لِمَنْ تَقْدَمُهُ". ^(٨) وَهَذِهِ دَعْوَةٌ صَرِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَةِ التَّفَكُّيرِ وَالتَّحْلِيلِ، وَسِرِّ الْمَعَانِي لِاِكْتِشَافِ الْعُلُومِ وَالْحَقَائِقِ.

مِمَّا سَبَقَ نَلْحَظُ أَنَّ الْمَنَاحَ الْعَامَّ مَنَاحٌ قَائِمٌ عَلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَاسْتِثْمَارِ طَوَاقَاتِ الْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ لَا سِيَّمَا فِي مَجَالِ الْأَحْكَامِ الْفَقْهِيَّةِ، وَإِذَا انْتَقَلْنَا بِالْحَدِيثِ إِلَى الْمَنَاحِ الْفِكْرِيِّ وَالْفَقْهِي الْخَاصِّ بِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ فَنَلْحَظُ أَنَّ الْبَيْئَةَ النَّبَوِيَّةَ كَانَتْ بَيْئَةً أَمْنَةً فِكْرِيَّةً مِمَّا شَجَّعَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ عَلَى تَحْلِيلِ الْمَعْلُومَاتِ وَالسُّؤَالِ عَنْهَا، فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، وَرَدَّ عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَائِشَةُ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "يَعْرِضُونَ الْكُعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسِّفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، قَالَتْ: فُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخَسِّفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟" قَالَ: يُخَسِّفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ". ^(٩) وَوَرَدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ وَهْبٍ الْهَمْدَانِيُّ أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَا

(١) - الْأَوْزُقُ: الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ لَيْسَ بِحَالِكٍ.

(٢) - صحيح البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: مَنْ شَبَّهَ أَصْلًا مَعْلُومًا بِأَصْلٍ مُبَيَّنٍّ قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ حُكْمَهُمَا، حديث رقم: ٧٣١٤

(٣) - البخاري. صحيح البخاري، كتاب: الأيمان والنذور، باب: مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ نَذْرٌ، حديث رقم: ٦٦٩٩.

(٤) - صحيح مسلم، كتاب: الصيام، باب: قضاء الصيام عن الميت، حديث رقم: ١٥٥- (١١٤٨)، ٤٤٢.

(٥) - البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: الاستئذان من أجل البصر، حديث رقم: ٦٢٤١، ص ١٢٠٢.

(٦) - صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبُّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَمَاعٍ، حديث رقم: ٦٧، ص ٣٨.

(٧) - جامع الترمذي، كتاب: العلم، باب: مَا جَاءَ فِي الْحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ، حديث رقم: ٢٦٥٧، قَالَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٨) - ابن حجر العسقلاني. فتح الباري، ٥٧٦/٣.

(٩) - البخاري، صحيح البخاري، كتاب: البيوع، باب: مَا ذَكَرَ فِي الْأَسْوَاقِ، ص ٣٩٩، حديث رقم: ٢١١٨.

وقلوبهم وجلة {المؤمنون: ٦٠} قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرُيُونَ الْحَمَرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ {أولئك يسارعون في الخيرات} {المؤمنون: ٦١} ^(١) وما يؤيد أثر السؤال في تنمية الملكات أنه لما قيل لابن عباس: أتى أصبت هذا العلم؟ قال: لساناً سئولاً وقلباً عقولاً، ^(٢) ونلاحظ أن النبي لم يوبخ أو ينهر أم المؤمنين عائشة لسؤالها بل اهتم بما عرضته وشجعها عليه.

وقوع الاجتهاد من الصحابييات زمن النبي صلى الله عليه وسلم

ثمة أمثلة تطبيقية لوقوع الاجتهاد من الصحابييات ^(٣) في حياة النبي؟ هذه بعض الأمثلة، ورد عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -حِينَ تُوُفِّيَتْ ابْنَتُهُ- فَقَالَ: "اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَعْتُمْ فَأَذِّنِي،" فَلَمَّا فَرَعْنَا آذَنَاهُ فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ، فَقَالَ: "أَشْعِرْنَهَا إِنِّي أَه". تَعْنِي إِزَارَهُ. ^(٤)

يتوجه النبي عليه الصلاة والسلام بالخطاب إلى السيدة أم عطية ^(٥) رئيسة النسوة القائمات على تغسيل ابنته السيدة زينب رضي الله عنها، ثم يعمم الخطاب للنسوة القائمات معها على التغسيل بقوله: "إِنْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ"، ورأيت بمعنى الرأي، أي: إن احتجتن إلى أكثر من ثلاث أو خمس، فالنبي فوض أمر حكم شرعي ألا وهو الغسل إلى مجموعة صحابييات، بأن يخترن عدد مرات الغسل أكثر من ثلاث أو خمس بناء على اجتهادهن حسب الحاجة وفق تقديرهن، ونلاحظ من هذا الحديث الإذن باجتهاد الصحابييات فضلاً عن وقوعه وإقرار النبي له بل إنّه من طلب من الصحابييات الاجتهاد في هذا الأمر، والقيام به وفق اجتهادهن. ^(٦)

ويمكن الاستشهاد بمثال آخر حيث ورد عن أم هانئ ابنة أبي طالب قَوْلُهَا: دَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَامَ الْفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: "مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ" فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ قَامَ، فَصَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيٌّ أَنَّهُ قَاتِلُ رَجُلٍ قَدْ أَجَزْتُهُ فَلَا بُدَّ مِنْ هَبِيرَةٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "قَدْ أَجَزْنَا مَنْ أَجَزْتَ يَا أُمَّ"

(١) - جامع الترمذي، كتاب: تفسير القرآن الكريم، باب: ومن سورة المؤمنين، ص ٥٠٤، حديث رقم: ٣١٧٥. وقال عنه الألباني: صحيح.

(٢) - أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة، مكة المكرمة: ط ١، جامعة أم القرى، ١٩٨٣م، ٢ / ٩٦١، رقم: ١٨٧٧.

(٣) - عرض أ.د. بندر السويلم، عدداً من الأمثلة التطبيقية لوقوع الاجتهاد من الصحابة في حياته انظر: بندر بن فهد السويلم، منهج الفقه في عصر النشأة، ص ٢٨ وما بعدها: <http://www.islamfeqh.com/Nawazel/NawazelItem.aspx?NawazelItemID=695>

(٤) - صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، حديث رقم: ١٢٥٣، صحيح مسلم، كتاب: الجنائز، حديث رقم: ٣٦- (٩٣٩).

(٥) - أم عطية الأنصارية، اسمها نسيبة بنت الحارث، وقيل: نسيبة بنت كعب، كانت من كبار نساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكانت تغزو كثيراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرض المرضى وتداوي الجرحى. ترجمتها في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، دار الأعلام، ترجمة رقم: ٣٥٤، وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، دار الكتب العلمية، ترجمة رقم: ٧٥٤١.

(٦) - انظر: ابن حجر العسقلاني. فتح الباري، ٣ / ١٢٩. وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيبي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ٨ / ٥٨-٥٩. والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، عمان، ٢٠٠٠م، ص ٦٠٣. ومرواة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الكتب العلمية، ٤ / ١٠٢-١٠٣. وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، ص ٣٦٩.

هَانِيٍّ".^(١) فقد اجتهدت الصحابية أم هانئ^(٢) وصدر عنها حكم شرعي فقد أمنت وأجارت حريباً، وقد أجاز النبي هذا الاجتهاد فقد أقر أمان النساء وإجارتهم، وأمضى ما وقع منها، ومن أمنتها؛ حرم قتله.^(٣)

والأمر ذاته يقال في إجارة السيدة زينب لأبي العاص إذ ورد عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ: أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهَا زَوْجَهَا أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ أَنَّ خُذِي لِي أَمَاناً مِنْ أَبِيكَ فَخَرَجَتْ فَأَطْلَعَتْ رَأْسَهَا مِنْ بَابِ حُجْرَتِهَا وَالتَّبِيُّ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَقَالَتْ: أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَمْ أَعْلَمْ بِهَذَا حَتَّى سَمِعْتُمُوهُ أَلَا وَإِنَّهُ يُحِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَذْنَاهُمْ".^(٤)، إضافة إلى ذلك فيمكن الاستشهاد بما ورد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَغْثَبَ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ؟" قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "اقْبَلِ الْحَدِيثَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقاً".^(٥) جاءت جميلة بنت أبي ابن سلول^(٦) زوجة ثابت بن قيس^(٧) إلى رسول الله تطلب فراق زوجها ومخالعته، معللة ذلك بأنها تكره الكفر في الإسلام؛ أي تخشى إذا بقيت معه أن تقع فيما يقتضي الكفر، إذ قد تحملها شدة كراهتها له على إظهار الكفر لينفسخ نكاحها منه، وهي كانت تعرف أن ذلك حرام لكن خشيت أن تحملها شدة البغض على الوقوع فيه، ويحتمل أن تريد بالكفر كفران العشير إذ هو تقصير المرأة في حق الزوج، ويحتمل أن يكون في كلامها إضمار، أي إكراه لوازم الكفر من المعادة والشقاق والخصومة. وهنا يسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم أتردين عليه حديثه؟ أي بستانه إذ إن مهرها كان حديقة نخل، فاجتهدت وأجابت بالموافقة؛ فأقر النبي هذا الاجتهاد وأمر زوجها بمفارقتها، وأفاد هذا الاجتهاد بكونه أول خلع حدث في الإسلام.^(٨)

ويمكن الاستئناس بما ورد أَنَّ رَجُلًا تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى نَعْلَيْنِ قَالَ فَأَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ ذَاكَ لَهُ، فَقَالَ: أَرْضَيْتِ مِنْ نَفْسِكَ وَمَالِكَ بِنَعْلَيْنِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ شُعْبَةُ: فَقُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ أَجَارَ ذَلِكَ، قَالَ: كَأَنَّهُ أَجَارَهُ، قَالَ شُعْبَةُ: ثُمَّ لَقِيتُهُ فَقَالَ: أَرْضَيْتِ مِنْ نَفْسِكَ وَمَالِكَ بِنَعْلَيْنِ؟ فَقَالَتْ: رَأَيْتُ ذَاكَ، فَقَالَ: وَأَنَا أَرَى

(١) - صحيح البخاري، كتاب: الجزية والموادعة، باب: أمان النساء وجوارهن، رقم: ٣١٧١. وصحيح مسلم، رقم: ٨٢ - (٣٣٦).

(٢) - هي أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب، أخت علي بن أبي طالب، اختلف في اسمها؛ فقيل: هند، وقيل: فاختة، كانت تحت هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن مخزوم، أسلمت عام الفتح. انظر ترجمتها في الاستيعاب، ترجمة: ٣٥٨٦. وأسد الغابة، ترجمة: ٧١٦٥.

(٣) - ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ص ٤٦٩، وج ٦، ص ٢٧٣. والعيني، عمدة القاري، ج ١٥، ص ١٢٧. وابن بطال، شرح البخاري، ج ٥، ص ٣٤٩-٣٥٠. والنووي، المنهاج، ص ٤٩٩. والقرطبي، المفهم، ج ٤، ص ٧٩. الأمير الصنعاني، سبل السلام، ج ٤، ص ٩٦.

(٤) - البيهقي، في السنن الكبرى، حديث رقم: ١٨١٧٧. والحاكم، في المستدرک، حديث رقم: ٥١٠٣. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٨١٩.

(٥) - البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الطلاق، باب: الخلع وكيف الطلاق فيه، ص ١٠٤٤، حديث رقم: ٥٢٧٣.

(٦) - جميلة بنت أبي ابن سلول، وكانت تحت حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها ثابت بن قيس ثم تزوجها بعده خبيب بن أساف.

(٧) - هو ثابت بن قيس بن شماس بن ظهير، يكنى أبا محمد بابنه وقيل يكنى أبا عبد الرحمن، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد وقتل يوم اليمامة شهيداً.

(٨) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٩ / ٣٩٥ وما بعدها. والعيني، عمدة القاري، ج ٢٠ / ٣٧٤-٣٧٥.

ذَآكَ. ^(١) فهذه الصحابية قد اجتهدت في حكم شرعي ألا وهو مقدار المهر وأدى بها اجتهادها إلى قبول المهر المعروف عليه، ولما سألت النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته برضاها، أيد هذا الأمر. ^(٢)

الشخصية الفقهية لأم المؤمنين عائشة ^(٣) رضي الله عنها

إنَّ العناية الأسرية والعناية العقلية من خلال مدرسة النبوة أثمرت شخصية فقهية متميزة، ومن خلال تتبع الشهادات التي قيلت في حق أم المؤمنين عائشة؛ يمكن أن نبلور معالم شخصيتها الفقهية في النقاط الآتية:

- كانت أم المؤمنين عائشة من كبار علماء الصحابة المجتهدين المكثرين من الفتوى، فقد قال ابن قيم الجوزية في إعلام الموقعين: الذين حُفِظَتْ عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وقال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخمة. ^(٤)

- تميزها في الصناعة الفقهية، وتقدمها على الصحابة في العلم والأحكام والحلال والحرام، فيكاد لا يتجاوز قولها، فقد قال عروة بن الزبير: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطلب ولا بشعر من عائشة. ^(٥) وَقَالَ عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة. ^(٦) وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء؛ لكان علم عائشة أفضل. ^(٧) وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة. ^(٨)

- مدرسة علمية مستقلة، فقد ورد عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى أن ماتت يرحمها الله. ^(٩) وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه ولا أعلم بآية فيما نزلت ولا فريضة من عائشة. ^(١٠)

(١) - رواه أحمد والترمذي رقم: ١١١٣، وقد اختلف في حكم هذا الحديث فقد حكم عليه الترمذي بأنه حسن صحيح، في حين ضعفه الألباني والأرنؤوط في مسند الإمام أحمد تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، بيروت، ط ١، حديث رقم: (١٥٦٧٩) والألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، حديث رقم: ١٩٢٦.

(٢) - انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الفكر، د.ت، ٤/ ٢٥٠-٢٥١.

(٣) - انظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ٣/ ١٠٥ وما بعدها. وسعيد فايز الدخيل، موسوعة فقه عائشة أم المؤمنين، حياتها وفقها، دار النفائس، ص ٨٧ وما بعدها. ومحمد سعيد مبيض، موسوعة حياة الصحابيات، ص ٥٦٢ وما بعدها.

(٤) - ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، الدمام، ط ١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ، ٢/ ١٨.

(٥) - المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ترجمة رقم: ٧٨٨٥. وابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٩٢٠، ترجمة رقم: ٣٣٨٧.

(٦) - المزني، تهذيب الكمال، ترجمة رقم: ٧٨٨٥. ابن عبد البر، الاستيعاب، ترجمة رقم: ٣٣٨٧. ابن الأثير، أسد الغابة ترجمة: ٧٠٩٣.

(٧) - انظر: المزني، تهذيب الكمال، ترجمة رقم: ٧٨٨٥. وابن عبد البر، الاستيعاب، ٩٢٠، ترجمة رقم: ٣٣٨٧.

(٨) - انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ٧/ ١٨٩، ترجمة رقم: ٧٠٩٣. وابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٣٩.

(٩) - محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبير، تحقيق: د. علي محمد عمر، القاهرة، ط ١، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م، ٢/ ٣٢٣.

(١٠) - ابن سعد، الطبقات الكبير، ٢/ ٣٢٣.

-مرجعية علمية في الفقه والفرائض، فقد ورد عن مسروق قوله: رأيت مشيخة من أصحاب رسول الله الأكاير يسألونها عن الفرائض.^(١) وعن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة قال: كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكاير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.^(٢) عن أبي موسى عن أبيه قال: ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشكون في شيء إلا سألوا عنه عائشة فيجدون عندها من ذلك علماً.^(٣)

معالم البناء النبوي الفقهي وتكوين الملكة الفقهية في قوله: "لَوْلَا أَنْ قَوْمُكَ..."

قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تهدمت أجزاء من الكعبة نتيجة سيل ماء اجتاحت مكة، وترتب على ذلك أن تداعى زعماء قريش إلى ضرورة إعادة بناء الكعبة، وتم ذلك الأمر غير أن الأموال التي جمعت لهذا الغرض لم تكن كافية لإعادة البناء على القواعد الأصلية للكعبة؛ لذا فقد انفصل جزء من الكعبة وهو ما يعرف بحجر إسماعيل عن البناء الأصلي، وعندما قام النبي بفتح مكة سنة ٨هـ، تنبه إلى هذا الأمر، وأراد أن يعيد البناء على القواعد الأساسية؛ لكنه لم يفعل، وأخبر سبب ذلك لزوجته أم المؤمنين عائشة حيث ورد عن الأسود قال: قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا فَمَا حَدَّثْتَنِي فِي الْكَعْبَةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ: يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِكُفْرٍ - لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ".^(٤) وفي رواية الإمام مسلم: عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْجُدَرِ أَمِنْ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَلِمَ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: إِنَّ قَوْمَكَ قَصَرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ، قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفَعًا؟ قَالَ: فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكَ لِيَدْخُلُوا مِنْ شَاءُوا وَيَخْرُجُوا مِنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ لَنَظَرْتُ أَنْ أُدْخِلَ الْجُدَرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْزِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ.^(٥)

إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب أم المؤمنين عائشة مؤسساً لعدد من المنطلقات التشريعية والمرتكزات التي يستند عليه الفقيه خلال نظره في المسائل الفقهية؛ منها أن الإمام قد يترك المصلحة؛ لأمن الوقوع في المفسدة، ويترك إنكار المنكر؛ خشية الوقوع في أنكر منه، فعلى الإمام أن يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم، ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرماً. ثم نجد كذلك أن الإمام قد يترك شيئاً من الأمر بالمعروف إذا خشي منه أن يكون سبباً لفتنة قوم ينكرونه ويسرعون إلى خلافه واستبشاعه، فالنفوس يجب أن تساس بما تأنس إليه في دين الله من غير الفرائض، ويرفع على الناس ما ينكرون منها". ومن جهة أخرى، فيمكن أن يؤخذ من رواية الإمام مسلم أنه إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بُدئ بالأهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن نقض الكعبة وردّها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم عليه السلام مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهو خوف فتنة من أسلم قريباً؛ ذلك لما كانوا يعتقدون من فضل الكعبة ويرون تغييرها عظيماً، فتركها النبي صلى الله عليه وسلم لأجل ذلك.

(١) -ابن عبد البر، الاستيعاب، ترجمة رقم: ٣٣٨٧. المزني، تهذيب الكمال، ترجمة: ٧٨٨٥. ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ترجمة: ٧٠٩٣.

(٢) -ابن سعد، الطبقات الكبير، ٢/ ٣٢٢.

(٣) -ابن سعد، الطبقات الكبير، ٢/ ٣٢٢.

(٤) -صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه حديث رقم: ١٢٦، ص ٥٠.

(٥) -مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: جدر الكعبة وبابها، حديث رقم: ١٣٣٣، ص ٥٢٨.

نخلص إلى أن هذا النص يعدّ لبنة من أسس تكوين فقه الأولويات، ووجه ذلك تقديم الحكم بالمنع في إعادة بناء البيت على الجواز لتحقيق مفسدة في المنع تربو على مصلحة الجواز، فضلاً عن التأسيس لفقه الموازنات بين المصالح والمفاسد، ويستفاد منه أيضاً ضرورة النظر إلى مآلات الأفعال، حيث تقرر لدى الفقهاء لاحقاً أن النظر في المآلات أمر معتبر ومقصود شرعاً.^(١)

ويمكن أن نلاحظ أثر هذه المرتكزات في مجموعة من الآثار والفتاوى الصادرة عن عائشة رضي الله عنها؛ منها: ما ورد عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لَوْ أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخَذَتْ النِّسَاءُ لَمَنْعَهُنَّ كَمَا مَنَعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قُلْتُ لِعَمْرَةَ: أَوْمِنِينَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ." (٢) إذ إنها رضي الله عنها استثمرت تلك المرتكزات الفقهية في الفتوى بمنع النساء من الخروج للمساجد؛ لما في ذلك من مفسدة أكبر من مصلحة خروجهن، وفيه إعمال لمبدأ سد الذرائع، فضلاً عن الاعتماد على كون الحكم يدور مع علته حيث دارت، فإذا وجد الفساد والتبرج ونحوه؛ فتمنع النساء من الخروج للمساجد، وإن انتفى ذلك، سمح لهن بالخروج.^(٣)

جوابها عن حكم الحفاف، أي إزالة الشعر من الوجه، فلمّا سئلت عن الحفاف أجابت رضي الله عنها بقولها: "إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتضعيهما أحسن مما هما فافعلي"،^(٤) فلنحظ أنها رضي الله عنها عملت بقاعدة جلب المصلحة مقدم على درء المفسدة حيث إنها أذنت للنساء بحف الوجه إذا كان الغرض منه التزين للزوج والتحبب إليه، فالمرأة مأمورة بأن تتزين لزوجها؛ كي تقصر نظره عليها، وترك الشعر في الجسم والوجه قد يشوه منظرها أمام زوجها ويصرف نظره ورغبته فيها، وهذا ما لا يردّه الإسلام؛ إذ إن من مقاصد الزواج غرض البصر وحفظ الفرج،^(٥)

تعليل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لترتيب نزول آي القرآن الكريم حيث ورد عن يُوسُفُ بْنُ مَاهَكَ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ... قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: أَرَبِنِي مُصْحَفَكَ. قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُولِفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ.^(٦) قَالَتْ: وَمَا يَصْرُكَ أَيُّهُ قَرَأَتْ قَبْلُ، إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ

(١) -ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٨/ ٢٢٥. وابن بطال، شرح صحيح البخاري، ضبط نصه وعلق عليه: ياسر إبراهيم، الرياض، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ١/ ٢٥. والنووي، المنهاج، ص٨٣٢-٨٣٣. ونادية رازي، "فقه الأولويات ودوره في الحكم على القضايا السياسية المعاصرة"، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠٠٦م، ص٣٠.

(٢) -صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: انتظار الناس قيام الإمام العالم، ١٧٦، رقم: ٨٦٩.

(٣) -العيني، عمدة القاري، ٦/ ٢٢٧-٢٢٨. وبشر بن فهد البشر، "أثر عائشة أم المؤمنين في نشر العلم"، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٥م، ص٩٧. والدخيل، موسوعة فقه عائشة، ص٥٦٩-٥٧٠. أسماء بنت عبد الله الموسى، المنهج الأصولي لأم المؤمنين عائشة وأثره في الأحكام الشرعية إزاء المرأة، مجلة البحوث الفقهية، (ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤٢٧هـ ١٤٢٨هـ)، ع: ٨٠ ص٣٢٩.

(٤) -ابن سعد. الطبقات، ١٠/ ٧٠.

(٥) -تخاني إبراهيم أبو سعيد، "فقه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بابي الطهارة والصلاة، دراسة مقارنة بين المذاهب الفقهية الأربعة"، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ، ص١٠. والدخيل. موسوعة فقه عائشة، ص٦٨٥.

(٦) -بين ابن حجر في الفتح أن هذا العراقي كان ممن يأخذ بقراءة ابن مسعود، وكان ابن مسعود لما حضر مصحف عثمان إلى الكوفة لم يوافق على الرجوع عن قراءته ولا على إعدام مصحفه، فكان تأليف مصحفه مغايراً لتأليف مصحف عثمان، فلماذا أطلق العراقي أنه غير مؤلف، وهذا كله على أن السؤال إنما وقع عن ترتيب السور. انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٩/ ٤٠.

سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ. لَقَالُوا لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا. وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا؛ لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الزَّنا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَإِنِّي لَجَارِيَةُ اللَّعْبِ {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر} (القمر: ٤٦) وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ. قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ الْمُصْحَفَ فَأَمَلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّورِ.^(١) نلاحظ من تعليل أم المؤمنين عائشة لترتيب نزول آي القرآن الكريم مرتبط بفقهاء الأولويات، حيث إن الأولوية الرئيسة كانت العقيدة قبل أحكام الشريعة، فبدأ بأحكام العقيدة قبل أحكام الشريعة، وفي العبادات بدأ بالصلاة قبل غيرها، مقدماً في كل ذلك الأهم على المهم، والحكم الواحد - كما في تحريم الخمر مثلاً - قد يشرع على مراحل موازنة بين المصالح والمفاسد تهيئة للنفوس بقبول الحكم، ثم يتم الانتقال من التحريم الجزئي إلى التحريم الكلي.^(٢)

معالم البناء الفقهي وتكوين الملكة الفقهية في قول النبي: "مَنْ حُوسِبَ عُذْبٌ"، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوْلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "..."

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ حُوسِبَ عُذْبٌ"، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوْلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فسوف يحاسب حساباً يسيراً} (الانشقاق: ٨) قَالَتْ فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ تُوقَشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ.^(٣) يمكن الاستنتاج من هذا الحديث مدى حرص أم المؤمنين عائشة على التعلم والتحقيق، وقد بَوَّب البخاري لهذا الحديث بقوله: "مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَجَعَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ" مبيناً أن أم المؤمنين عائشة كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، ويستنتج منها أساس من أسس بناء العقلية الفقهية، ألا وهو المقابلة والمناظرة بين الكتاب والسنة.^(٤)

ويمكن أن نرى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد طبقت هذا المبدأ في: مسألة كون الميت يعذب ببكاء أهله عليه، حيث إنها أنكرت هذا الأمر من خلال معارضته لقوله تعالى: {ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى} (الأنعام: ١٦٤) والقصة بكاملها يذكرها ابن عباس حيث قال: كُنَّا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ نَازِلٍ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَقَالَ لِي: اذْهَبْ فَأَعْلَمْ لِي مَنْ ذَاكَ الرَّجُلُ؟ فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ صُهِيبٌ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ أَمَرْتَنِي أَنْ أَعْلَمْ لَكَ مَنْ ذَاكَ، وَإِنَّهُ صُهِيبٌ، قَالَ: مُرْهُ فَلْيَلْحَقْ بِنَا، فَقُلْتُ: إِنَّ مَعَهُ أَهْلَهُ، قَالَ: وَإِنْ كَانَ مَعَهُ أَهْلُهُ، -وَرُبَّمَا قَالَ أَيُّوبُ: مُرْهُ فَلْيَلْحَقْ بِنَا-. فَلَمَّا قَدِمْنَا لَمْ يَلْبَثْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُصِيبَ فَجَاءَ صُهِيبٌ يَقُولُ: وَأَخَاهُ وَصَاحِبَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَمْ تَعْلَمْ، أَوْ لَمْ تَسْمَعْ -قَالَ أَيُّوبُ أَوْ قَالَ: أَوْ لَمْ تَعْلَمْ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ. قَالَ: فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَأَرْسَلَهَا مُرْسَلَةً وَأَمَّا عُمَرُ فَقَالَ يَبْعُضُ، فَقُمْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَحَدَّثْتُهَا بِمَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَطُّ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ قَالَ:

(١) -صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، ص ٩٩٣-٩٩٤، حديث رقم: ٤٩٩٣.

(٢) -ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٩/ ٣٩-٤١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للعسقلاني، ١٣٠٥هـ، ٧/ ٤٥٣. محمد الوكيل، فقه الأولويات، دراسة في الضوابط، هيرندن، ط ١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧م، ص ٦٢.

(٣) -البخاري. صحيح البخاري، ك: العلم، ب: من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، حديث رقم: ١٠٣، ص ٤٥-٤٦.

(٤) -انظر: ابن حجر العسقلاني. فتح الباري، ١/ ١٩٧. والعيني، عمدة القاري، ٢/ ٢٠٨.

إِنَّ الْكَافِرَ يَرِيدُهُ اللَّهُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَذَابًا، {وأنه هو أضحك وأبكى} (النجم: ٤٣) {ولا تزر وازرة وزر أخرى} (الانعام: ١٦٤)^(١) فأم المؤمنين عائشة أنكرت هذه الرواية ونسبتها إلى النسيان والاشتباه عليهما وأنكرت أن يكون النبي قال ذلك واحتجت بقوله تعالى: {ولا تزر وازرة وزر أخرى} (الانعام: ١٦٤) وبيّنت أن النبي قال ذلك في يهودية أنها تعذب وهم يبكون عليها يعني تعذب بكفرها في حال بكاء أهلها لا بسبب البكاء، وقد ذهب الجمهور إلى أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه إذا ما وصّى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم؛ لأنه بسببه ومنسوب إليه، وأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب لقول الله تعالى: {ولا تزر وازرة وزر أخرى} (الانعام: ١٦٤)^(٢)

لم تفرق أم المؤمنين عائشة بين ابن الزنا وغيره في الإمامة في الصلاة، ولا تفضل عليه أحداً مجرد أنه ولد الزنا، بل المرجح في ذلك الأقرأ لكتاب الله تعالى،^(٣) وقد استندت في ذلك على المقابلة على القرآن الكريم، فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه في باب الإمامة في الصلاة أن أم المؤمنين عائشة لما سُئِلَتْ عَنْ وَلَدِ الرَّثَا: "لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةِ أَبِيهِ شَيْءٌ" وَقَرَأَتْ: {ولا تزر وازرة وزر أخرى} (الانعام: ١٦٤)^(٤) وورد عَنْ عُرْوَةَ بِنِ الرَّبِيعِ قَالَ: بَلَغَ عَائِشَةُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "... وَلَدُ الرَّثَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ..." فَقَالَتْ عَائِشَةُ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا هُرَيْرَةَ أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِجَابَةً... وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَلَدُ الرَّثَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ، فَلَمْ يَكُنِ الْحَدِيثُ عَلَى هَذَا إِنَّمَا كَانَ رَجُلًا مِنَ الْمُتَنَافِقِينَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ فُلَانٍ؟ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ مَعَ مَا بِهِ وَلَدُ الرَّثَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: هُوَ شَرُّ الثَّلَاثَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}^(٥)

معالم البناء الفقهي وتكوين الملكة الفقهية في قول النبي: "إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَةِ"

روى الإمام مسلم عن أم المؤمنين عائشة قولها: دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الْأَضْحَى زَمَنَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "ادْخِرُوا ثَلَاثًا ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ الْأَسْقِيَةَ مِنْ ضَحَائِيهِمْ وَيَجْمَلُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ،^(٦) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ لَحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ: "إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَةِ"^(٧) الَّتِي دَفَّتْ فَكُلُوا وَادْخِرُوا وَتَصَدَّقُوا."^(٨)

(١) -مسلم. صحيح مسلم، كتاب: الجنائز، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ص ٣٦٠، حديث رقم: ٢٢- (٩٢٧، ٩٢٩).

(٢) -ابن حجر، فتح الباري، ١٨٩/٣. والنووي، المنهاج، ص ٥٩٨. وعين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة، ص ٤١-٤٢.

(٣) -عن عائشة، قالت: "يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَقْدَمَهُمْ هَجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي ذَلِكَ سِوَاءَ فَلْيُؤْمِهِمْ أَحْسَنَهُمْ وَجْهًا". قال أبو عبيد: لا أراها أرادت إلا حسن السمعة والهدي. انظر: أبو عبيد، فضائل القرآن ومعالجه وآدابه، رقم: ٧٤. والتاريخ الكبير، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت، ٩/ ص ٥٣، رقم: ٤٦٦. ويمكن القول إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تستند في ذلك إلى ما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ وَأَقْدَمَهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سِوَاءَ؛ فَلْيُؤْمِهِمْ أَقْدَمُهُمْ هَجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهَجْرَةِ سِوَاءَ؛ فَلْيُؤْمِهِمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًا وَلَا تَوَمَّسَ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ، وَلَا فِي سُلْطَانِهِ وَلَا تَجْلِسَ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَكَ أَوْ بِإِذْنِهِ". صحيح مسلم، كتاب: المساجد، حديث رقم: ٢٩٠- (٦٧٣).

(٤) -ابن أبي شيبة. المصنف، رقم: ٦١٥١، أبو داود، مسند عائشة، رقم: ٥٣، والدخيل، موسوعة فقه عائشة، ص ٥٣٨.

(٥) -السنن الكبرى للبيهقي، كتاب: الأيمان، باب: ما جاء في ولد الزنا، رقم: ١٩٩٩٠. والحاكم في المستدرک، رقم: ٢٩١٤.

(٦) -أي يذيون الذهن. النووي، المنهاج، ص ١٢٥٤. والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ص ٩٦٥.

(٧) -الدافعة -بتشديد الفاء- قوم يسرون جميعاً سيراً خفيفاً، ودف يذف بكسر الدال ودافة الأعراب من يرد منهم المصير، والمراد هنا من ورد من ضعفاء الأعراب للمواساة. انظر: النووي، المنهاج، ص ١٢٥٤. ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٣٠٨.

(٨) -صحيح مسلم، كتاب: الأضاحي، باب: بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث حديث رقم: ٢٨- (١٩٧١).

هذا النص يؤصل لجملة مبادئ، منها: كون الأحكام تبني على عللها وبواعثها، فإذا وجدت العلة؛ وجد الحكم، وإذا انتفت العلة؛ انتفى الحكم، فضلاً عن تأصيل النص لأهمية مراعاة الظروف الطارئة، إذ إنَّ النبي عليه نهي عن الادخار نظراً لظرف طارئ ألا وهو الدفوف (حضور ضعفاء العرب المحتاجين)؛ لذا فالحكم بني على هذه العلة وعلى هذا الظرف الطارئ؛ فلما زالت العلة؛ عاد الحكم إلى الإباحة الأصلية.^(١)

ويمكن أن نرى تطبيقات هذه المراكز التشريعية من خلال أقوال أم المؤمنين عائشة منها: عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَاحٍ قَالَ زُرْتُ عَائِشَةَ مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ فَسَأَلْنَاهَا عَنِ الْمَجَرَّةِ، فَقَالَتْ: لَا هَجْرَةَ الْيَوْمَ، كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَالْيَوْمَ يَعْبُدُ رَبُّهُ حَيْثُ شَاءَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ.^(٢)

ترتبط أم المؤمنين عائشة بين الحكم وعلته وباعثه، فقد بينت أن "لا هجرة اليوم" أي بعد الفتح، حيث إنَّ علة الهجرة وباعثها هو خوف الفتنة في الدين، والحكم يدور مع علته، وعليه فمن قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت.^(٣)

عن جعفر بن محمد بن محمد بن محمد من ولد علي عن بعض أهل بيته أنه سأل عائشة عن النبيذ فقالت: "يا بني: إن الله لم يحرم الخمر لاسمها وإنما حرمها لعاقبتها وكل شراب يكون عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام كتنحريم الخمر."^(٤) وهنا كذلك ترتبط أم المؤمنين عائشة بين الحكم وعلته، فإذا وجدت العلة؛ وجد الحكم.

(١) - النووي، المنهاج، ص ١٢٥٤. والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، ٣٧٦ / ٥ وما بعدها.

(٢) - صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: من شهد الفتح، ص ٨١٤، حديث رقم: ٤٣١٢.

(٣) - انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٢٢٩ / ٧. القسطلاني، إرشاد الساري، ٤٠١ / ٦.

(٤) - سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، ط ١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٤م، كتاب الأشربة، ٤٦٣ / ٥، رقم: ٤٦٦٩.

البحث الرابع: مساهمتها السياسية

وأقصد بالسياسة هي تلك الإجراءات والنظم التي تؤدي إلى اتخاذ قرارات في شؤون المجتمع الخاضع لها وكيفية تنفيذها^(١) فكل نشاط يؤثر في تلك القرارات هو نشاط سياسي وفي ضوء هذا المفهوم السياسي فإن للمرأة في الإسلام دور سياسي ملحوظ منذ بداية الدعوة، والشواهد على ذلك كثيرة، فقد كانت بيعة النساء^(٢) على عهد النبي إحدى الشواهد الأساسية على دور المرأة المحوري في العمل السياسي؛ فالببيعة ترتبط مباشرة في مسألة الحكم والحاكم والرعية، ولها بعد تعدي يرتبط بالولاء والالتزام والطاعة؛ فهو دور أساسي لا يمكن لأحد أن يتجاهله، وهكذا سار الأمر في بيعة الخلفاء؛ فالنساء كالرجال سواء يبايعن ولي الأمر.

فالحديث عن مساهمة أم المؤمنين في الحياة السياسية ينسجم تماماً مع هذه الرؤية لدور المرأة السياسي في الإسلام ولكن قد يكون الدور مختصراً أو متسعا تبعاً للظروف والأحوال، وسأعرض لبعض أدوارها ومواقفها السياسية والتي تؤكد ومدى تأثيرها الإيجابي في الحياة السياسية الإسلامية، وتؤكد - أيضاً - حقيقة أن المرأة مشارك أساسي في السياسية، وما كان لهذه الشخصية الكبيرة أن تغيب عن مشهد الأحداث وخصوصاً إذا كانت الأحداث حسام، يدفعها إلى ذلك الشعور بالواجب الملقى على عاتقها، ثم الإحساس بالقدرة على التأثير والتغيير والإصلاح يقول صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ". قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"^(٣) والنَّصِيحَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي مُعَاوَنَتِهِمْ عَلَى الْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ فِيهِ وَأَمْرِهِمْ بِهِ وَنَنْهَاهُمْ وَتَذَكِيرِهِمْ وَإِعْلَامِهِمْ بِمَا عَفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغُهُمْ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ^(٤).

دورها السياسي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

المرأة حين تتكامل شخصيتها لا تكتفي بالمهام السهلة ونحن هنا أمام زوجة النبي وأمام زوجة الحاكم الأعلى للدولة؛ فمهمتها ووظيفتها تتناسب مع الموقع الذي تشغله فالراحة النفسية للزوج في بيته أساس في نجاحه وتفوقه وتفرغه للمسؤوليات الملقة على عاتقه وهي رضي الله عنها وقرت هذا الإسناد والشواهد التي ذكرتها في مناقبها كثيرة.

تحكي لنا السيدة عائشة قصة فتاة فتقول: إن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي النبي فجاء رسول الله فأخبرته فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل

(١) - عرفها بعضهم أمّا " الْقَائِدُ الْمُؤَسَّسُ لِرِغَايَةِ الْأَدَابِ وَالْمَصَالِحِ وَانْظِمَامِ الْأُمُورِ "، وانظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢٧٣/١٣).

(٢) - بيعة النساء متعددة الوجوه والأشكال دل على مشروعيتها قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَانٍ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [المتحة: ١٢]، وفي بيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشرة من النبوة كانت النساء حاضرات تُسَبِّحُ بنت كعب أم عُمارة، وأسماء بنت عمرو أم منيع، وبعد الهجرة كن حاضرات، روى مسلم أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: كَانَتْ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُتَخَرَّ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ". قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِحَدِّ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِخَنَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقَرَّ بِدَلِيلٍ مِنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لهنَّ انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُنَّ [صحيح مسلم، كتاب الإمامة، حديث رقم (٣٤٧٠)]، وهكذا كن يبايعن الخلفاء.

(٣) - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، حديث رقم (٨٢).

(٤) - انظر: شرح النووي (١٤٤/١).

الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء^(١).

فطلوع السيدة عائشة على منصة السياسة لدليل على أن نطاق حقوق المرأة المسلمة لا ينحصر فيما يظنه العامة، لقد أصيبت السيدة عائشة بصدمة عنيفة إثر هذا الحادث المفجع، وتألمت كثيرا بما رآته من أوضاع المسلمين وأحوالهم التي وصلت إلى أسوأ درجة، ولا سيما لما عرفت بأنه لا يوجد من ينهض للإصلاح فيما بينهم ويقوم بحل هذه العقدة التي وقعوا فريستها إبان مقتل عثمان وكما نعرف أن أم المؤمنين عائشة كانت ذات جرأة نادرة، رابطة الجأش، ثابتة القلب والنفس، لم تزعزعها شدة المصيبة ولم تهز كيائها المشاكل والمصائب، ومن مظاهر جرأتها العديدة المثال أنها استأذنت من النبي أن تشارك في الجهاد، فقال لها النبي: (جهادكن الحج)^(٢).

وكانت قد شاركت في بعض الغزوات قبل أن ينزل الحجاب، وفي رواية أنها شاركت في غزوة بدر الكبرى كذلك أما في غزوة أحد فكان لها سهم وافر في نصرته المجاهدين، فكانت تسقي الجرحى، وتحمل قرب الماء على عاتقها لتفرغها في أفواه المجاهدين، يقول أنس: (ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم لمشمرتان أرى خدما سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواههم ثم ترجعان فتملأنهما ثم تحيثان تفرغانه في أفواه القوم)^(٣)، وفي غزوة الخندق لما كان المسلمون شبه محصورين نزلت من الحصن الذي وضع فيه النبي صلى الله عليه وسلم النساء والأطفال، وتقدمت إلى الصفوف الأمامية^(٤).

ولا ينكر أحد أن الإمارة والولاية لا تتفق مع تكوين المرأة النفسي والعاطفي والطبيعي، كما أن الشروط اللازمة للإمامة والإمارة لا يمكن أن يتحملها هذا الجنس اللطيف الرقيق، ولذلك لم تكلفها الشريعة بحمل هذا العبء العظيم والثقل الكبير على أكتافها، ولكن لا يحتاج بذلك على عدم جواز توليها وظائف أخرى، ومساهماتها في شتى ميادين السياسة، من القيام بأعمال إصلاحية، وإرشادية في الجمهور، ولا سيما في الأوضاع الطارئة التي تسود فيها نيران الفتن والفساد كل المجتمع، ولا يوجد أحد غيرها يقوم بإخماد هذه النار، والقضاء على تلك الفتن والاضطرابات واجتثاث جذورها من المجتمع البشري.

وقد ذهب الإمام مالك، والطبري وأبو حنيفة في رواية وآخرون إلى جواز منح المرأة الإمارة وولاية القضاء^(٥) وكانت شفاء العدوية قد استعملها عمر على السوق^(٦)، وهذه عائشة ربما اجتمع عندها النساء، فأمتهن وقامت بينهن في الوسط^(٧).

(١) - أخرجه النسائي في سننه باب البكر يزوجه أبوها وهي كارهة برقم ٣٢٦٩، وفي السنن الكبرى ٢٨٤ / ٣ برقم ٥٣٩٠، وابن ماجه في سننه برقم ١٨٧٤ وأحمد في مسنده ١٣٦ / ٦ برقم ٢٥٠٨٧.

(٢) - صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب جهاد النساء، حديث رقم (٢٦٦٣).

(٣) - سبق تخريجه

(٤) - تقول عائشة: خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، فسمعت وئيد الأرض ورائي، فالتفت فإذا أنا يسعد بن معاذ. الحديث أخرجه أحمد مفصلا في مسنده ٦ / ١٤١ برقم ٢٥١٤٠ وابن حبان في صحيحه ١٥ / ٩٧ برقم ٧٠٢٨، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٨٤ / ١.

(٥) - قال الحافظ ابن حجر: قال الخطابي: في الحديث أن المرأة لا تلي الإمارة ولا القضاء، وأجاز الطبري، وهي رواية عن مالك، وعن أبي حنيفة: تلي الحكم فيما تجوز فيه شهادة النساء (فتح الباري ٩ / ٤٦٩).

(٦) - أخرج أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني عن زيد بن أبي حبيب أن عمر (ض) استعمل الشفاء على السوق، قال: ولا نعلم امرأة كهذه (الآحاد والمثاني ٤ / ٦ رقم ٣١٧٩).

دورها السياسي في عهد الشيخين

لم يكن للسيدة عائشة دور سياسي مُميّز عن باقي النساء لا في عهد النبوة، ولا في عهد الشيخين أبي بكر وعمر واقتصر دورها الخاص المميّز في عهد الشيخين في الإجابة عن الاستفسارات الشرعية فيما يخصّ النساء غالباً وبقي الحال على ما هو عليه الشطر الأول من خلافة عثمان رضي الله عنه، وكان الأكابر من أصحاب النبي يرجعون إلى قولها^(٢) وكانوا يجلسون قرب حجرتها بعد وفاة النبي ويستفتونها في الأمور الدينية وكانت السيدة عائشة تفتي وتدرس وتبليغ وهي جالسة في حجرتها التي فيها قبر النبي صلى الله عليه وسلم^(٣).

وبعدما فرغ المسلمون من مراسم دفن الرسول وصار أبو بكر الصديق خليفة المسلمين، أرادت أزواج النبي أن يرسلن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن من رسول الله فقالت لهن عائشة مذكرة إياهن بقول الحبيب المصطفى في حياته: (لا نورث ما تركناه صدقة)^(٤) فلما سمعن ذلك توقفن عنه، والواقع أن النبي لم يخلف شيئاً بعد وفاته حتى يوزع بين الورثة، ففي صحيح البخاري عن عمرو بن الحارث قال: ما ترك رسول الله عند موته درهما ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً^(٥) إلا ما خصه الله تعالى في الفیء، فكانت خالصة لرسول الله وكان ينفق على أهله من هذا المال نفقة سنته، ثم يأخذ ما بقي فيجعله في مال الله، فعمل بذلك رسول الله حياته، فلما توفي الله نبيه، وولي أبو بكر فقبضها وعمل بما عمل به رسول الله وهكذا جرى الأمر في هذا المال طوال الخلافة الراشدة^(٦).

موقفها من بعض سياسات عثمان رضي الله عنه

تتحدث كثير من الروايات وهي في مجموعها تُعطينا حقيقة مؤكدة مفادها أنّ الصحابة اعترضوا على بعض سياسات عثمان وخصوصاً في الشطر الأخير من ولايته عليهم^(٧) ودون الخوض في تفاصيل تلك الاعتراضات كانت عائشة من أولئك المعترضين^(٨) ومن هنا كان أول ظهور سياسي مميز ومهم جداً للسيدة عائشة رضي الله عنها، ولا يُمكن فهم موقف السيدة عائشة السياسي في تلك المرحلة بعيداً عن فهم الفتنة نفسها وأحداثها ورجالها وظروفها، إذ لا يمكن عزلها ومحاکمتها وكأنّها خارج الظرف، وإثماً يجب النّظر لموقف عائشة من خلال الفهم العام للفتنة ولهذا لا يختلف موقف عائشة عن موقف عليّ على وجه الخصوص من عثمان قبل مقتله^(٩) وكذلك بقية أمّهات المؤمنين.

(١) - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣ / ١٣١ برقم ٥١٣٨، وابن أبي شيبة في المصنف ٤٣٠ / ١ برقم ٤٩٥٤، وعبد الرزاق في المصنف ٣ / ١٤١ برقم ٥٠٨٦، ٥٠٨٧، وهو في كتاب الآثار ٤١ / ١ برقم ٢١٢.

(٢) - انظر: زاد المعاد في هُدي خير العباد (١٠٢/١)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٤٢٦/١).

(٣) - انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٢٤/٢٨).

(٤) - صحيح البخاري كتاب المناقب برقم ٣٧١٢ وكتاب الفرائض برقم ٦٧٢٥، وصحيح الإمام مسلم كتاب الجهاد والسير برقم ١٧٥٨.

(٥) - صحيح البخاري كتاب الوصايا برقم ٢٧٣٩، وسنن النسائي كتاب الأحباس برقم ٣٥٩٤.

(٦) - انظر تفصيل الحوار الذي جرى بين علي والعباس وعمر (ض) حول موضوع توزيع الموارث، في صحيح البخاري كتاب الفرائض برقم ٦٧٢٨، وصحيح الإمام مسلم كتاب الجهاد والسير برقم ١٧٥٧، وسنن أبي داود كتاب الخراج والإمارة والفيء برقم ٢٩٦٣.

(٧) - انظر: الصواعق المحرقة على أهل الرّفْض والضلال والزندقة (٣٤١/١)، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤٦٧/١).

(٨) - انظر: أنساب الأشراف (٢٦٤/٢)، والإمامة والسياسة (٣٥/١)، والثقات (٢٥٧/٢)، وتاريخ دمشق (٤١٦/٣٩).

(٩) - انظر: أنساب الأشراف (٢٦٤/٢)، والرياض النضرة في مناقب العشرة (٢٢٤/١)، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٤٥٨/٣).

ولأنها فتنة وجب تحقيق الروايات وردّ المتشابه إلى المحكم فالحكم هو ما أكدته النصوص الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله والتي تشهد بعدالة الصحابة وورعهم وتقواهم، وأن الله رضي عنهم ورضوا عنه، وكذلك أمّ المؤمنين عائشة فهي من تلك الثلة المختارة المشهود لها بالورع والتقوى، بل ويُضاف لها ما ورد في القرآن والسنة بخصوصها من فضائل كما قدمْتُ سابقاً، واستناداً لتلك الحقائق النهائية والمطلقة؛ فإنّ أي رواية تتناقض مع تلك الحقائق هي رواية مردودة، وحين النظر ببعض تلك الروايات تعلم علم اليقين أنّها مكذوبة موضوعة، ومنها تلك الرواية التي تقول أنّ السيدة عائشة أمرت بقتل عثمان؛ وقالت: "اقتلوا^(١) نعثلاً^(٢)" تعني به عثمان، وهي رواية كذبها المحققون^(٣).

موقفها من القصص من قتلة عثمان - حادثة الجمل -^(٤)

ليس هنا مساحة متاحة للحديث عن التفاصيل التي وقعت، ولكنني أحاول تلخيص موقف أمّ المؤمنين السياسي في تلك الفترة، وهو أنّها رأت رأياً مخالفاً لموقف علي رضي الله عنه بخصوص القصص من قتلة عثمان مع إجماعهم رضوان الله عليهم على وجوب القصص من قتلة عثمان، ولكنهم اختلفوا في التوقيت والآليات الممكنة للوصول إلى تلك الغاية، يقول ابن حجر: "وَالْعُذْرُ فِي ذَلِكَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ مُتَأَوِّلاً أَيْ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} هِيَ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، وَكَانَ مُزَادُهُمْ إِيقَاعُ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَأَخَذَ الْقِصَاصَ مِنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكَانَ رَأْيِي عَلَى الْإِجْتِمَاعِ عَلَى الطَّاعَةِ وَطَلَبِ أَوْلِيَاءِ الْمُقْتُولِ الْقِصَاصَ مِمَّنْ يَثْبُتُ عَلَيْهِ الْقَتْلُ بِشُرُوطِهِ"^(٥) وكان تأويلها مقبولاً لأنّ الآية لا تمنع الخروج مطلقاً، كخروجها للحج، وهي هنا - كخروجها للحج - خرجت من أجل الإصلاح بين الناس^(٦).

وقد أخطأت رضي الله عنها في اجتهادها^(٧) كما أخطأ معها طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام وهما من سادة الصحابة، ودلّ على خطأ اجتهادها ما ورد على لسان رسول الله من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أَيُّكُنَّ صَاحِبَةَ الْجَمَلِ الْأَذْبَبِ تَخْرُجَ حَتَّى تَنْبَحَهَا كِلَابُ الْحَوَّابِ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ شِمَالِهَا قَتْلَى كَثِيرَةٌ وَتَنْجُو مِنْ بَعْدِهَا كَادَتْ"^(٨)

(١) - النخل الرجل الأحمق، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١٤/٣١)، ولسان العرب (٦٦٩/١١).

(٢) - أخرجه الطبري في تاريخه ١٢/٣ من طريق سيف بن عمر الضبي، وهو متفق على تضعيفه وقد تفرد به، وعليه فلا يثبت عن عائشة كيف وهي التي روت بعض الأحاديث في فضل عثمان بن عفان وخرجت في وقعة الجمل للمطالبة بدمه، وانظر: فتاوى واستشارات موقع الإسلام اليوم (٣٨٩/١)، ومنهاج السنة النبوية (١٧٨/٤)، وهذا من الكذب الصريح والإفك المبين كان حرياً بإمام من أئمة الإسلام أن يضرب القول عنه صفحاً

(٣) - قال الألوسي: "كذب لا أصل له"، وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠٩/١٦).

(٤) - راجع تفاصيل الحادثة في كتاب سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين السيد سليمان الندوي الحسيني دار القلم ط/١، ص: ١٦٣-١٩٦

(٥) - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٧٥/١١).

(٦) - انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٩١/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤٠٩/٦).

(٧) - ودلّ على هذا ما روي أنّها "لَمَّا أَقْبَلَتْ نَزَلَتْ بَعْضُ مِيَاهِ بَنِي عَامِرٍ تَبَحَّتْ عَلَيْهَا الْكِلَابُ فَقَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: الْحَوَّابِ. قَالَتْ: مَا أَطْنِي إِلَّا رَاجِعَةً، فَقَالَ: لَهَا بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا: بَلْ تَقْدِمِينَ فَيَرَاكَ الْمُسْلِمُونَ فَيُصْلِحُ اللَّهُ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، فَقَالَتْ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: كَيْفَ يَأْخُذُكُنَّ نَبِيحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوَّابِ. وانظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب التاريخ، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، حديث رقم (٦٧٣٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقال ابن حجر: "وَأَخْرَجَ هَذَا أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى وَالتِّرْثَارُ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَسَدَّدَهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ، وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠٧/٢٠).

(٨) - انظر: فتن الباري (١٠٧/٢٠)، وقال ابن حجر: رَوَاهُ التِّرْثَارُ وَرِجَالُهُ يَثْبُتَات.

ويظهر لنا من كلام أم المؤمنين أنها ندمت على موقفها السياسي في كيفية أخذ القصاص من قتلة عثمان، وما تبعه من أحداث مؤلمة ومن ذلك قولها: وددتُ أني لو كنت جلست كما جلس صواحي حين دُكرتُ بيوم الجمل^(١) وكانت إذا قرأت: {وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} بكنت حتى تبلّ خمارها، وتقول: يا ليتني كنت نسيا منسيا، وما ذاك إلا لأنّ قراءتها تذكرها الواقعة التي قتل فيها كثير من المسلمين^(٢) "ولا ريب أنّها ندمت على مسيرها إلى البصرة وحضورها يوم الجمل، وما ظنت أنّ الأمر يبلغ ما بلغ"^(٣).

وفي موقفها السياسي هذا تظهر فضيلتان لهذه السيدة العملاقة وهما: الأولى: الصدق فهي التي روت أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ: "كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبُحُ عَلَيْهَا كِلَابَ الْحَوَّابِ"^(٤) مع أنّ الحديث قد يُشكل لها حرجاً سياسياً ولو شاءت لكتمته وما علم به أحد، الثانية: إظهار التّدم، وهو دليل على مراجعتها لما فعلت وهي منقبة قليل فاعلها فكم من مخطئ مصر على خطأه، يلهث وراء التبريرات والذرائع وخصوصاً في عالم السياسة فهي لا تتردد في إظهار ما يجول في نفسها من الحق.

مقدمات الخروج لحادثة الجمل

خرجت أم المؤمنين من المدينة قاصدة مكة لأداء الحج حسب عادتها وذلك بعد أن غلب الثائرون والغوغاء على المدينة المنورة وحاصر البغاة بيت عثمان وعلمت السيدة عائشة بمقتل عثمان وهي في طريق العودة إلى المدينة، فلما تقدمت لقيها طلحة والزبير هارين من المدينة، فقالت: ما وراءكما؟ فقالا: (وراءنا أنا تحمّلنا بقليتنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب، وفارقنا قوما حيارى، لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً، ولا يمنعون أنفسهم) فقالت عائشة فائتمروا أمراً ثم انخفضوا إلى هذه الغوغاء وتمثلت: ((ولو أن قومي طاوعتني سرائهم... لأنقذتهم من الحبال أو الخبل))^(٥)

ثم عادت إلى مكة المكرمة، ولما علم عامة الناس بهذا الحادث، بدأوا يقصدونها من كل النواحي وجميع الأطراف، وطلبوا منها أن تنهض بعمل إصلاح الأمة ورأب الصدع الذي أحدثه مقتل عثمان في صفوفها، تروي لنا عمرة بنت عبد الرحمن عن أم المؤمنين قولها: (ما رأيت مثل ما رغبت هذه الأمة عنه، من هذه الآية^(٦)) : {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا [الحجرات: ٩]}. لقد أصيبت السيدة عائشة بصدمة عنيفة إثر هذا الحادث المفجع، وتألمت كثيراً بما رآته من أوضاع المسلمين وأحوالهم التي وصلت إلى أسوأ درجة، ولا سيما لما عرفت بأنه لا يوجد من ينهض للإصلاح فيما بينهم ويقوم بحل هذه العقدة التي وقعوا فريستها إبان مقتل عثمان وكما نعرف أن أم المؤمنين عائشة كانت ذات جرأة نادرة، رابطة الجأش، ثابتة القلب والنفس، لم

(١) -انظر: أسد الغابة (١٨٩/٢).

(٢) -انظر: تفسير البحر المحيط (١٦٠/٩)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم (١١/٢٢)، والطبقات الكبرى (٨٠/٨)، وتاريخ بغداد (١٨٥/٩).

(٣) -سير أعلام النبلاء (١٧٧/٢)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٤٥/٦).

(٤) -صحيح ابن حبان حديث رقم (٦٧٣٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقال ابن حجر: "وأخرج هذا أحمد وأبو يعلّى وأبو زرّار وصحّحه ابن جبان وأبو الحاكيم وسنده على شرط الصحيح، وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠٧/٢٠).

(٥) -يراجع: تاريخ الطبري ٣ / ٧

(٦) -موطأ الإمام محمد كتاب التفسير رقم الحديث ١٠٠٣ ص ٣١٥، تعليق وتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط: وزارة الأوقاف القاهرة

تزعزعها شدة المصيبة، ولم تحز كيانها المشاكل والمصائب، ومن مظاهر جرأتها العديمة المثال أنها استأذنت من النبي أن تشارك في الجهاد، فقال لها النبي: جهادكن الحج، وكانت قد شاركت في بعض الغزوات قبل أن ينزل الحجاب، وعلى كل فإن عائشة لما أعلنت نهوضها بأعمال الإصلاح ورفعت رايته لبي ندائها حوالي سبعة أشخاص من الحرم فقط، وتبرع ابن عامر وابن أمية من أغنياء العرب بمئات الآلاف من الدراهم، والبعير، وأناخوا بالأبطح معسكرا، ثم استشاروا في بيت عائشة لتقرير اتجاه مسير العسكر، فأشارت عليهم أن يتجهوا إلى المدينة حيث يوجد السبيون والثوار ولو كانوا اتجهوا إلى المدينة لكان الأمر مختلفا لكن بعد مداولات الآراء ومناقشتها استقام لهم الرأي على أن يتجهوا إلى البصرة، فلما قالوا لها ذلك ولم يكن ذلك مستقيما إلا بها، قالت: نعم.

وقد كان أزواج النبي معها على قصد المدينة. فلما تحول رأيها إلى البصرة تركن ذلك، وانطلق القوم إلى حفصة فقالت: رأيي تبع لرأي عائشة. قال يعلى بن أمية: معي ستمئة ألف، وسبعة مئة بعير فاركوها، وقال ابن عامر: معي كذا وكذا، فتجهزوا به، فنادى المنادي أن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحدثين والطلب بثأر عثمان، ومن لم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز، فهذا جهاز وهذه نفقة، وتجهزوا بالمال ونادوا بالرحيل واستقلوا ذاهبين، فخرجوا في سبعة مئة رجل من أهل المدينة ومكة، ولحقهم الناس حتى وصل عددهم إلى ثلاثة آلاف رجل، وخرج معها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق يودعنها، فودعنها بالدموع والنحيب، ولم ير يوم كان أكثر باكية على الإسلام منه.

ولم تنهيا لشباب بني أمية فرصة أحسن من هذه لإثارة الفتن والغوغاء فكانوا قد لجأوا إلى الحرم المكي فارين هارين محتفين، ولما سمعوا أن أم المؤمنين خرجت تطلب ثأر دم عثمان انضموا معها، وشارك معظم الناس في هذه الجماعة، لأنهم أخبروا أن أم المؤمنين هي التي تقود هذا الجيش، فلحقوا به حتى وصلوا إلى ثلاثة آلاف لما انتهوا إلى المنزل.

هذا ولم يكن الهدف الأساسي لبعض بني أمية من وراء هذه الجهود طلب ثأر دم عثمان، والعمل من أجل الإصلاح، وإنما كان غرضهم الزيادة في مشكلات علي، ولذا فإنهم لما رأوا أن هناك قوة سياسية ثالثة بدأت تنشأ بقيادة السيدة عائشة ويمكن أن تكون هذه القوة حليفهم الثاني، بدأوا ينسجون شبكات من المؤامرات الخفية والدسائس الباطنية في داخل العساكر، وبما أن هذا العسكر كان فيه العديد من مدعي الخلافة، فأول سؤال طرح عن الخليفة، من يتولى الخلافة؟ هل طلحة أو الزبير؟ فقامت عائشة بإنهاء هذه القضية، ثم ثارت فتنة أخرى حول الإمامة، من يؤم الناس؟ ومن هو أحق بالإمامة؟ فقررت عائشة لأبناء كل من طلحة والزبير أن يتناوبوا في الإمامة يوما بعد يوم.

ولما وصلوا مياه بني عامر طرقتهم مياه الحوآب ونبحت الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟ فقالوا: ماء الحوآب، فصرخت فقالت: ما أظن إلا راجعة، أخرج الإمام أحمد هذه القصة بلسان عائشة نفسها أنها أتت على الحوآب وسمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوآب؟ فقال لها الزبير: ترجعين؟ عسى الله عز وجل، أن يصلح بك بين الناس، وفي رواية أخرى: فقال بعض من كان

معها بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم^(١) وهذه الروايات خير دليل على أن مسيرة عائشة كان الغرض الأساسي منها هو الإصلاح بين الناس لا غير، وذكر الطبري أنه شهد خمسون شخصا من القرية أن هذا ليس بماء الحوآب، فاطمأنت عائشة رضي الله عنها^(٢).

أوضاع المسلمين في الكوفة والبصرة:

كانت الكوفة أكبر بلاد المسلمين بعد مكة والمدينة والبصرة، وكان واليها أبو موسى الأشعري، وزعماء الفريقين يحاولون إقناع العامة بما يرونهم، وأرسل علي رضي الله عنه عمارا ومعه الحسن إلى الكوفة، فخطب عمار في جامع الكوفة حول الأوضاع الراهنة، وبين مناقب أم المؤمنين، ثم قال: هذا ابن عم رسول الله إلى زوجة رسول الله وإلى طلحة والزبير، وإني أشهد أنها زوجته في الدنيا والآخرة، فانظروا ثم انظروا في الحق، فقاتلوا معه، ثم قام الحسن بن علي فقال: يا أيها الناس أجيئوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فأجيبوا دعوتنا على ما ابتلينا به وابتليتكم، فسامح الناس وأجابوا ورضوا به، وأثر فيهم هذا الخطاب تأثيرا عجيبا، ونفر معهم تسعة آلاف، فأخذ بعضهم البر وأخذ بعضهم الماء، إلا أن الناس كانوا مترددين إلى أي جانب يميلون ومع من يروحون، لأنهم وجدوا أم المؤمنين وحبية رسول الله في جانب، وابن عم الرسول وصهره في جانب آخر.

روى البخاري وغيره: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث علي عمار بن ياسر وحسن بن علي، فقدما علينا الكوفة، فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن، فاجتمعنا إليه، فسمعت عمارا، يقول: «إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجتنا نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكُم، ليعلم إياه تطيعون أم هي»^(٣)

ولما وصلت عائشة قرب البصرة، أرسلت بعض الناس لكي يخبروا الناس بالواقعة، كما كتبت إلى رؤساء وسادات العرب في البلاد، وذهبت إلى بعض الرؤساء، وقد امتنع رئيس من قبيلة ماء، فذهبت إليه عائشة بنفسها وأقنعتة فقال: أنا أستحيي أن أرفض أمي ولا أطيع أمرها^(٤)، وكان عثمان بن حنيف قد ولاه علي البصرة، فدعا عثمان عمران بن حصين وألزمه بأبي الأسود الدؤلي فقال: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها، فخرجا فانتھيا إليها وإلى الناس فاستأذنا فأذنت لهما، فسلما وقالوا: إن أميرنا بعثنا إليك نسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا؟ فقالت: (والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين، غير نافعين ولا متقين، لا يقدرين على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في

(١) - أخرجه أحمد في مسنده برقم ٢٤٦٩٨، أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/ ١٢٩ برقم ٤٦١٣، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٤ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري، وإسحاق بن راهويه في مسنده برقم ١٥٦٩ ونعيم بن حماد في الفتن ١/ ٨٣ برقم ١٨٨

(٢) - تاريخ الطبري ١١/٣

(٣) - صحيح البخاري رقم ٧١٠٠ بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ٦٦٨٧ بترقيم طبعه البغا.

(٤) - ذكر في الأخبار الطوال ((أن كعب بن سور قعد عنهم في أهل بيته حتى أتته عائشة في منزله فأجابها وقال: أكره ألا أجيب أمي)).

انظر: الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن دواد الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر ص (١٤٤) ط: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦٠ م.

المسلمين، أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم، وما فيه الناس وراءنا، ولا ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء: ١١٤] نهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل، وأمر رسول الله الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره^(١).

فخرج أبو الأسود وعمران من عندها، فأتيا طلحة، فقالا: ما أقدمك؟ قال: الطلب بدم عثمان، قالوا: ألم تباع عليا؟ قال: بلى، والعج في عنقي وما أستقيل عليا، إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان، ثم أتيا الزبير وسألاه نفس السؤال، فأجابهما الزبير بما أجاب طلحة، فرجعا إلى أم المؤمنين فودعاها فودعت عمران وقالت: (يا أبا الأسود إياك أن يقودك الهوى إلى النار، {كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ} [المائدة: ٨])، وقد أثر كلام عائشة (ض) في عمران، واعتزل عن المعركة، وقال لعثمان: والله لتعركنكم عركا طويلا، ثم لا يساوي ما بقي منكم كثير شيء، فقال له عثمان: فأشر علي يا عمران! قال: إني قاعد فاقعد، فقال عثمان: بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين علي وانصرف إلى بيته، ثم نادى في الناس، وأمرهم بالتهيؤ، ولبسوا السلاح، واجتمعوا إلى المسجد الجامع، وأقبل عثمان على الكيد، فكاد الناس لينظر ما عندهم وأمرهم بالتهيؤ، وأمر رجلا ودسه إلى الناس خدعا كوفيا قيسيا فقام فقال: يا أيها الناس أنا قيس بن العقدية الحميسي، إن هؤلاء القوم الذين جاؤوكم، إن كانوا جاؤوكم خائفين فقد جاؤوا من المكان الذي يأمن فيه الطير، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان، أطيعوني في هؤلاء القوم فردوهم من حيث جاؤوا^(٢).

فخطبت عائشة في أهل البصرة وكانت جهورية الصوت، يعلو صوتها كثرة، كأنه صوت امرأة جلييلة، فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه وقالت: (كان الناس يتجنون على عثمان ويزرون على عماله، ويأتوننا بالمدينة يستشيروننا فيما يخبروننا عنهم، ويرون حسنا من كلامنا في صلاح بينهم، فننظر في ذلك فنجد برا تقيا وفيها، ونجدهم فجرة كذبة، يحاولون غير ما يظهرون، فلما قووا على المكاثرة كاثروه، فاقتحموا عليه داره، واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر، ألا إن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره، أخذ قتلة عثمان (ض)، وإقامة كتاب الله عز وجل (٣) {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون} [آل عمران: ٢٣]. وافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين، فقالت فرقة: صدقت والله وبرت، وجاءت والله بالمعروف، وقال الآخرون: كذبتم، والله ما نعرف ما تقولون، فتحاثوا وتحاصحوا وأرهجوا^(٣)، وبدأت معركة بين الفريقين من أهل البصرة وأنشب القتال حكيم بن جبلة وأصحاب عائشة كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم وحكيم يدمر جيله ويركبها عليهم وقالت عائشة: لا تقتلوا إلا من قاتلكم. ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدا أحدا، فأنشب حكيم القتال ولم يرع للمنادي.

(١) - تاريخ الطبري ١٤ / ٣.

(٢) - تاريخ الطبري ١٥ / ٣.

(٣) - نفس المصدر ١٥ / ٣ - ٢٠.

وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة مع رسولهم: (أما بعد فإني أذكركم الله عز وجل والإسلام، أقيموا كتاب الله بإقامة ما فيه، اتقوا الله واعتصموا بحبله وكونوا مع كتابه، فإننا قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده، فأجابنا الصالحون إلى ذلك، واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح، وقالوا: لتبعنكم عثمان، ليزيدوا الحدود تعطيلاً، فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر وقالوا لنا المنكر، فقرأنا عليهم {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم} [آل عمران: ٢٣]) فأذعن لي بعضهم واختلفوا بينهم فتركناهم وذلك، فلم يمنع ذلك من كان منهم على رأيه الأول من وضع السلاح في أصحابي، وعزم عليهم عثمان بن حنيف إلا قاتلوني حتى منعني الله عز وجل بالصالحين، فرد كيدهم في نحورهم، فمكثنا ستاً وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده، وهو حقن الدماء أن تحراق دون من قد حل دمه، فأبوا واحتجوا بأشياء فاصطلحنا عليها، فخافوا وعذروا وخانوا، فجمع الله عز وجل لعثمان ثأرهم، فأقادهم، فلم يفلت منهم إلا رجل، وأردأنا الله ومنعنا منهم بعمير بن مرثد ومرثد بن قيس ونفر من قيس ونفر من الرياب والأزد، فالزموا الرضا إلا عن قتلة عثمان بن عفان، حتى يأخذ الله حقه، ولا تخاصموا الخائنين، ولا تمنعوه، ولا ترضوا بذوي حدود الله فتكونوا من الظالمين^(١).

المعركة ومجهودات القعقاع للإصلاح بين الفريقين:

كانت هذه المأساة المروعة تعتبر من أعظم المآسي في تاريخ المسلمين، وهذا اليوم المشؤم المفجع الذي لم ير المسلمون أسوأ منه في تاريخهم، وبالرغم من أن القلوب كانت عامرة بالحب والمودة، إلا أن الفكرة السياسية قد فرقت بين الأشقاء، وفلذات أكباد أم واحدة، فواحد هنا والآخر هناك، كل واحد يرى الحق في مكان دون مكان، وكان الشوق إلى البحث عن الحق والوصول إليه مرتبطاً بالحب الأخوي، وقلب كل مسلم يبكي دماً لما يعاني من هذا الموقف العصيب الشديد، ويواجه هذه المأساة الأليمة، ويرى أن تلك السيوف التي كانت تصيب رؤوس المشركين وتقضي على الباطل، سوف تستخدم الآن لإصابة أيدي وصدور الأصدقاء والإخوان من المسلمين، ولما رأى الزبير هذا المنظر المفجع لم يلبث إلا أن قال: لما أصبح المسلمون مثل الجبال الراسيات في القوة والطاقة يريدون أن يحطم بعضهم بعضاً. وكان كلا الفريقين يعتبر نفسه على الحق دون الآخر، ولا يرضى أن يتزعزع من موقفه، ويتنازل عنه ولو قيد شبر. وأرسل بعض بني عدي فيمن أرسل، فأقبل رسوله حتى نادى على باب مسجدهم: ألا إن أبا نجيد عمران بن الحصين يقرئكم السلام ويقول لكم: والله لأن أكون في جبل حضن مع أعنز وضأن، أجز أصوافها وأشرب ألبانها، أحب إلي من أن أرمي في شيء من هذين الصفين بسهم، فقالت بنو عدي جميعاً بصوت واحد: إنا والله لا ندع ثقل رسول الله لشيء، يعنون أم المؤمنين.

هذا وكان كلا الفريقين على يقين أن هذه المعركة لا تطول إلى المواجهة والمخاربة، وإنما تنحل بالصلح والإصلاح، فأرسل علي القعقاع بن عمرو إلى طلحة والزبير فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة وقال: أي أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس، فسأل طلحة والزبير: ما

تقولان أنتما: أمتابعان أم مخالفان؟ قالوا: متابعان، قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفنا لنصلحن، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالوا: قتلة عثمان فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، وإن عمل به كان إحياء للقرآن، فقال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمته إلا رجلاً، فغضب لهم ستة آلاف، واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، فلما سمعوا ذلك أثر فيهم هذا الكلام وقالوا: نعم إذا قد أحسنت، وأصبت المقالة، فارجع، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر، فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح، فكره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه^(١) هذا وقد أثمرت مساعي القعقاع التي بذلها للإصلاح بين الفريقين، وأيقن الجميع أن الصلح قريب، ولكن أدرك الثائرون على عثمان أن الصلح ليس في صالحهم، وأن الدائرة ستدور عليهم، وأن كل ما بذلوه من الجهود طوال السنوات الماضية سيذهب سدى في لحظة واحدة، وكان أكثر السبئية مع علي وبات الفريقان على الصلح، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون، ثم اتفقوا على إنشأ الحرب في السر، واستسروا ذلك خشية أن يفتن بما حاولوا من الشر، فغذوا مع الغلس، وما يشعر بهم جيرانهم، وانسلوا إلى ذلك الأمر انسلالاً، وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربيعهم إلى ربيعهم، ويمانيهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السلاح، فنار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم^(٢).

وهكذا قامت الحرب على قدم وساق، وتبارز الفرسان وجالت الشجعان، وكان علي ينادي: أيها الناس كفوا فلا شيء، فلا يسمع أحد، وثار كل فريق إلى سلاحه، وقام الناس من منامهم إلى السلاح فقالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلاً وبيتونا وغدروا بنا، وأصبحوا على القتال، فلما سمعت عائشة بالغوغاء سألت: ما هذا؟ فقالوا: ضجة العسكر، وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة فقال: أدركي، فقد أبى القوم إلا القتال، لعل الله يصلح بك، فركبت وألبسوا هودجها الأدرع ثم بعثوا جملها.

توديع علي عائشة وتشجيعها بكل الإجلال والتوقير:

وانتهى إليها علي رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لك، قالت: ولك^(٣) ولما كان من آخر الليل خرج محمد بن أبي بكر بعائشة حتى أدخلها البصرة فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحارث، وجهاز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد وأخرج معها كل من نجي ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات.

وقال لأخيها: تجهز يا محمد فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني تعبت بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدام، إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي -على معتبي- لمن الأخيار. وقال علي: صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك،

(١) -تاريخ الطبري ٢٩/٣، والبدية والنهاية ٢٣٨/٧، السيرة الحلبية ٣/٣٥٨.

(٢) -تاريخ الطبري ٣/٤٠ - ٣٩، البدية والنهاية ٢٤٠/٧.

(٣) -انظر تاريخ الطبري ٣/٥٥.

وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، وشيعها عليّ أميالا وسرح بنيه معها يوما^(١). وارتحلت قاصدة مكة، وأقامت فيها إلى الحج، ثم رجعت إلى المدينة المنورة بعد طول غياب.

تأسف عائشة (ض) على خطئهما الاجتهادي:

وكانت تتأسف طول عمرها على ما صدر منها من الخطأ الاجتهادي في اختيارها المنهج الإصلاحي، وكانت تقول حين حضرتها الوفاة: يا ليتني لم أحلق، يا ليتني كنت شجرة، أسبح وأقضي ما علي وكانت تقول: يا ليتني كنت شجرة، يا ليتني كنت مدرّة، يا ليتني كنت حجرا^(٢)، روى الطبري في تاريخه أن كوفيا دخل على عائشة بالمدينة فقالت: من أنت؟ فقال: رجل من الأزد، أسكن الكوفة، قالت: أشهدتنا يوم الجمل؟ قال: نعم، قالت: ألنا أم علينا؟ قال: عليكم، قالت: أفتعرف الذي يقول: (يا أمنا يا خير أم نعلم)؟ قال: نعم، ذاك ابن عمي، فبكت حتى ظننت أنها لا تسكت^(٣). وقد أوصت ألا تدفن مع الرسول بل مع غيرها من أزواج النبي في البقيع، عن عائشة أنها أوصت عبد الله بن الزبير: لا تدفني معهم وادفني مع صواحي بالبقيع، لا أزكى به أبدا^(٤) وفي رواية فإني أكره أن أزكى^(٥) وفي رواية للحاكم قالت عائشة وكانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها مع رسول الله وأبي بكر، فقالت: إني أحدثت بعد رسول الله حدثا، ادفنوني مع أزواجه، فدفنت بالبقيع^(٦). وكانت إذا قرأت قوله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} [الأحزاب: ٣١] بكت حتى تبل خمارها^(٧).

الرد على القول بالجفاء في علاقة عليّ بعائشة رضي الله عنهما.

لقد زعم بعض المؤرخين من ذوي العصبية السياسية والأفكار المريضة أن السبب الحقيقي لمشاركة أم المؤمنين عائشة في معركة الجمل يرجع إلى حديث الإفك الذي سبق ذكره، وذلك أن عليا حينما استأمره النبي في فراق أهله بعد أن استلبث الوحي عليه قال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك^(٨) ولذا فإن عائشة لم تنس له تلك البادرة التي كادت تعصف بروحها عصفا لولا لطف الله بنبيه وبها، فأنزل عليه براءتها.

ولكن الواقع يرفض هذا التصور من كل الوجوه، ويكفينا لبيان بطلان هذه المزاعم ما سردناه من تفاصيل المعركة، وهذا ما دفعنا إلى ذكر سائر الرسائل التي كتبت، والخطب التي ألقيت، ومن أمعن النظر فيها لا يجد أمرا يوحي ويؤشر إلى تعكير صفو العلاقة بين علي وعائشة بل كانت المعركة مصادفة وكان الفريقان بريئين إلا الذين تعمدوا هذه الجريمة وأشعلوا نيران الفتن من الثائرين على عثمان.

(١) - تاريخ الطبري ٦١ / ٣.

(٢) - الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٧٤ - ٧٣.

(٣) - تاريخ الطبري ٤٨ / ٣ - ٤٧.

(٤) - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجنائز برقم ١٣٩١.

(٥) - صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة برقم ٧٣٢٧.

(٦) - أخرجه الحاكم في المستدرک ٧ / ٤ برقم ٦٧١٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٧) - الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٨٠.

(٨) - إراجع حديث الإفك، صحيح البخاري كتاب الشهادات برقم ٢٦٦١ وكتاب المغازي برقم ٤١٤١.

وصحيح أن عائشة ردت مزاعم السبئية القائلة بأن علياً وصي رسول الله للخلافة، وكانت تقول: (متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري أو قالت حجري، فدعا بالطست فلقد انخثت في حجري وما شعرت أنه قد مات، فمتى أوصى إليه) ^(١). ولكن لا يدل ذلك على أنه نجم خلاف بينهما أو ساءت علاقتهما، وإنما غاية ما فيه هو بيان تاريخي لواقعة لا أكثر ولا أقل.

وقد سألها عقبه بن صهبان الهنائي عن تفسير قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} [فاطر: ٣٢] فقالت له: يا بني كل هؤلاء في الجنة، فأما السابق إلى الخيرات فمن مضى على عهد رسول الله شهد له رسول الله بالحياة والرزق، وأما المقتصد فمن تبع وجاء من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم ^(٢).

وأتى عمار ومعه الأشر إلى عائشة يستأذن عليها، قال: يا أمه، فقالت: لست لك بأم، قال: بلى وإن كرهت، قالت: من هذا معك؟ قال: هذا الأشر، قالت: أنت الذي أردت قتل ابن أختي؟ قال: قد أردت قتله وأراد قتلي، قالت: أما لو قتلت ما أفلحت أبداً، سمعت رسول الله يقول: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاثة: رجل قتل فقتل، أو رجل زنى بعد ما أحصن، أو رجل ارتد بعد إسلامه)، وفي رواية الطيالسي: (قالت لعمار: أما أنت يا عمار فقد علمت ما قال رسول الله: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل فيقتل) ^(٣).

وفي هذا الحديث دليل صريح على أن عائشة لم يكن هدفها من وراء هذه الجنود والجيوش وإعداد العدة والعتاد هو سفك الدماء، والتقاتل ومحاربة الناس الأبرياء، وإنما وضعت نصب عينها منذ خرجت من مكة العمل من أجل إصلاح الأمة والمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان وإيقاع العقوبة بهم، وقد أثرت هذه الشبهة من قبل بعض بني أمية الذين استغلوا قول علي: (يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير)، واستخدموه لغرضهم السيئ، بينما كان قصد علي من ذلك هو أنه صلى الله عليه وسلم إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن تتحقق براءتها فيمكن مراجعتها، وهؤلاء لما لم يتمكنوا من الحصول على مستند قوي وبرهان قاطع للإساءة إلى علي رضي الله عنه وأكرم وجهه وتشويه شخصيته وسمعته، أدخلوا هذه القصة في مثالبه، والسبب في ذلك أن الله تعالى وصف الذين تولوا كبره منهم أنهم أصحاب النار.

رد الإمام الزهري على الوليد بن عبد الملك في علي بن أبي طالب:

يقول الإمام الزهري: كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي وهو يقرأ سورة النور مستلقياً، فلما بلغ هذه الآية {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} ... حتى بلغ {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ} جلس، ثم قال: يا أبا بكر من تولى كبره منهم؟ أليس علي بن أبي طالب؟ قال: قلت في نفسي لقد عودني الله على الصدق، فقلت: أصلح الله الأمير ليس الأمر كذلك، أخبرني عروة عن عائشة أنها نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول ^(٤)

(١) -صحيح البخاري برقم ٢٧٤١، صحيح مسلم برقم ١٦٣٦، سنن النسائي برقم ٣٣ ورقم ٣٦٢٤، سنن ابن ماجه برقم ١٦٢٦.

(٢) -أخرجه الطيالسي في مسنده برقم ١٤٨٩، والحاكم في المستدرک برقم ٣٥٩٣، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٦/٧.

(٣) -أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٥٧٤١، والطيالسي في مسنده رقم ١٥٤٣، والحاكم في المستدرک رقم ٨٠٣٩، وإسحاق بن راهويه.

(٤) -فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/٤٣٧، وانظر: تفسير القرطبي ١٩٨/١٢.

وفي رواية البخاري: قال لي الوليد بن عبد الملك: أبلغك أن عليا كان فيمن قذف عائشة، قلت: لا، ولكن قد أخبرني رجلان من قومك: أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أن عائشة قالت لهما: (كان علي مسلما في شأنها) فراجعوه فلم يرجع^(١).

وكان النبي أمر أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه الذي مات فيه، ثم وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس والآخر علي، فعائشة لما كانت تحدث هذه الواقعة لا تذكر اسم علي وكانت تقول: فخرج النبي بين رجلين، بين عباس ورجل آخر^(٢) واستنتج من هذا الحديث بعض أهل الأهواء وأصحاب الظنون السيئة والأفكار الخاطئة أن عائشة لم تذكر عليا لأنها لم تطب نفسها له بخير، مع أن الواقع أن العباس كان في جانب واحد أما الجانب الآخر فقد يكون هناك علي، ويمكن أسامة بن زيد، ومن أجل عدم تأكدها من الأمر لم تسم شخصا وقالت: (رجل آخر)، كما يرد على هذا الزعم الباطل ما أورده الإمام الطبري في تاريخه من كلام عائشة (ض) في علي وكلام علي في عائشة يبديان فيه انطباع كل منهما نحو الآخر بسعة قلب ورحابة صدر وأن علاقته معها كانت قائمة على المودة والاحترام المتبادلين بينهما.

تقول عائشة: إنه والله ما كان بيني وبين علي في القسم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي-على معتبي-لمن الأخيار، فقال علي: صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة^(٣)، كما يدل على ذلك أنها لما سئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله؟ قالت: فاطمة، فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمت صواما قواما^(٤). كما أن معرفتنا بكون علي من أهل البيت مستندة عائشة نفسها، وإن أهل السنة والجماعة لم يعرفوا ذلك إلا عن طريق عائشة^(٥).

عائشة ترشد المستفتين إلى علي رضي الله عنهما:

وقد حدث مرات أن المستفتي جاء عائشة يستفتيها في مسألة من أمور الدين فأرشدته أن يذهب إلى علي^(٦)، كما أنها كانت تقره لما يقدم من السفر^(٧) ولما قتل علي شهيدا بيد الخوارج في الكوفة، حكى لها الناس قصته، فجاء عبد الله بن شداد فسأله: يا عبد الله بن شداد هل أنت صادق عما أسألك عنه؟ حدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، فقال: وما لي لا أصدقك، قالت: فحدثني عن قصتهم، فحكى لها عبد الله كل التفاصيل من مصالحة معاوية وعلي وتحكيمه ثم مخالفة الخوارج وإفهام علي لهم وعدم إطاعتهم لعلي وكل الموضوعات التي صارت، فلما سمعت عائشة كل ذلك قالت: أجل صدق الله ورسوله، يرحم الله عليا إنه كان

(١) -أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي برقم ٤١٤٢.

(٢) -البخاري في صحيحه برقم ٦٦٥ و٦٨٧، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة برقم ٤١٨، والدارمي في سننه كتاب الصلاة برقم ١٢٥٧.

(٣) -انظر تاريخ الطبري ٣/ ٦١.

(٤) -أخرجه الترمذي برقم ٣٨٧٤ وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه الحاكم برقم ٤٧٤٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) -أخرج مسلم في صحيحه قالت عائشة: خرج النبي غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي، فأدخله ثم جاء الحسن فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). (برقم ٢٤٢٤).

(٦) -مثاله ما أخرجه الإمام أحمد عن شريح بن هانئ قال: سألت عائشة (ض) عن المسح على الخفين، فقالت: ((سل عليا، فإنه أعلم بهذا مني)).

انظر: مسند الإمام أحمد ٩٦/ ١ برقم ٧٤٨ وكذلك ١٥٥/ ٦ برقم ٢٥٢٥٩.

(٧) -أخرج الإمام أحمد عن يزيد بن أبي يزيد الأنصاري عن امرأته أنها سألت عائشة عن لحوم الأضاحي، فقالت عائشة: قدم عليا علي من سفر

فقدما إليه منه فقال: لا أكله حتى أسأل عنه رسول الله قالت: فسأله، فقال رسول الله: (كلوه من ذي الحجة إلى ذي الحجة) برقم ٢٥٢٥٩.

من كلامه لا يرى شيئا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث^(١).

موقفها من الخوارج

التزمت أم المؤمنين بيتهما، وكأنها اعتزلت أمر السياسة بعد معركة الجمل، وظلَّت أُنْهَا دُهِشَتْ لهول ما صارت إليه الأمور، ومع ذلك ظهرت لها بعض المواقف التي تخصُّ الوضع السياسي القائم في عهد علي رضي الله عنه، ومن ذلك موقفها من الخوارج؛ فهي على ما يبدو تكره هذه الفئة وتمقتها.

روى مسلم عن عروة قال: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: "يَا ابْنَ أُخْتِي، أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبُّهُمْ"^(٢) وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا قَالَتْ هَذَا عِنْدَمَا سَمِعَتْ أَهْلَ مِصْرَ يَقُولُونَ فِي عُثْمَانَ مَا قَالُوا، وَأَهْلَ الشَّامِ فِي عَلِيٍّ مَا قَالُوا، وَالْحُرُورِيَُّّةُ^(٣) فِي الْجَمِيعِ مَا قَالُوا. وَأَمَّا الْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}^(٤).

وتظهر كراهتها لمنهجهم من خلال جوابها لتلك المرأة التي جاءت تسألها عن قضاء الصَّلَاةِ أَيَّامَ حَيْضِهَا؛ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: "أَحْرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قَدْ كَانَتْ إِحْدَانَا تَحِيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لَا تُؤْمَرُ بِقَضَائِهِ"^(٥)، وَمَعْنَى قَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنَّ طَائِفَةً مِنَ الْخَوَارِجِ يُوجِبُونَ عَلَى الْحَائِضِ قَضَاءَ الصَّلَاةِ الْفَائِتَةِ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ، وَهُوَ خِلَافُ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا الْإِسْتِفْهَامُ الَّذِي اسْتَفْهَمَتْهُ عَائِشَةُ هُوَ اسْتِفْهَامُ انْكَارِ، أَيْ هَذِهِ طَرِيقَةُ الْحُرُورِيَّةِ، وَبُنْسَ الطَّرِيقَةُ^(٦).

موقفها من سياسة معاوية وقتله حجر بن عدي^(٧).

يُمْكِنُ التَّعَرُّفُ عَلَى مَوْقِفِهَا مِنْ مَعَاوِيَةَ مِنْ خِلَالِ وَصِيَّتِهَا لَهُ، ذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ نَصَبَتْهَا وَقَالَ: ائْتَنِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ سَلَامًا عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤَنَّةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ"، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ^(٨).

ولا يخفى عليك أَنَّ هَذَا كِتَابٌ مَوْجَّهٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَهُوَ رَأْسُ الْهَرَمِ السِّيَاسِيِّ آنَذَاكَ وَهُوَ كَلَامٌ مَقْصُودٌ يُصَوِّرُ مَوْقِفَ عَائِشَةَ مِنْ خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ مَا كَانَ يَتَّبِعُهُ مِنْ إِرْضَاءِ النَّاسِ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ لِكَسْبِ وَدَّهِمْ، وَضَمَانِ تَأْيِيدِهِمْ

(١) - أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٦٥٦، كما أخرجه الحاكم برقم ٢٦٥٧، والمقدسي برقم ٦٠٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٨ / ١٨٠.

(٢) - صحيح مسلم، كتاب التفسير، حديث رقم (٥٣٤٤).

(٣) - منسوبة إلى حروراء بلدة على ميلين من الكوفة ويقال لمن يعتقد مذهب الخوارج حروري لأن أول فرقة منهم خرجوا على علي بالبلدة المذكورة فاشتبهوا بالنسبة إليها وانظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٣٤٥/١).

(٤) - انظر: شرح النووي (٣٩٩/٩).

(٥) - صحيح مسلم كتاب الحيض باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة حديث رقم (٥٠٦).

(٦) - انظر: شرح النووي (٤٦/٢).

(٧) - هو حجر بن عدي بن معاوية الكندي وهو المعروف بحجر الخير، وفد على النبي هو وأخوه هاني وشهد القادسية، وكان من فضلاء الصحابة، وكان على كندة بصفين، وعلى المسيرة يوم النهروان، وشهد الجمل أيضا مع علي، وكان من أعيان أصحابه، وانظر: أسد الغابة (٢٤٥/١).

(٨) - الترمذي كتاب الزهد عن رسول الله باب ما جاء في حفظ اللسان رقم (٢٣٣٨)، وقال الألباني: صحيح: السلسلة الصحيحة (٣٩٢/٥).

ورضاهم؛ فهي تُحذره من هذه السياسة الفاشلة، وفي مقالها بعد نظر وقدرة على تشخيص الحالة بكلمات جامعة موجزة^(١).

وكان لها موقف معلّن من قتل حجر في زمن معاوية، وعبرّت عن ذلك بقولها: "أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجتراً على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام، ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس"^(٢)، تعني أنّ معاوية يعلم أنّ معارضيّه ضعاف لا حول لهم ولا قوة، ولما قدم معاوية المدينة دخل على عائشة رضي الله عنها فكان أول ما قالت له في قتل حجر، قالت: يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه، وفعلت الذي فعلت، أما خشيت أن احباً لك رجلاً فيقتلك؟ قال: لا إني في بيت أمان، ثمّ قال: دعني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا^(٣).

كان حجر بن عدي من أصحاب علي رضي الله عنه ورئيس الفرقة العلوية في الكوفة. وأعظم القضايا التي اشتد فيها إنكار عائشة على معاوية، هي قضية قتل حجر بن عدي وأصحابه، وقد أرسل والي الكوفة سائر أفراد هذه الفرقة إلى دمشق وكان منهم حجر، وهو من قبيلة كندة اليمنية، ورغم وجود هذه الفرقة في الكوفة لم ينهض أحد منهم لمساعدة حجر ومؤازرته وإنقاذه من أيدي الأعداء، وكان يوقره العلماء والصلحاء ويجلونه ويحترمونه، فشق عليهم ذلك، وسمعت عائشة فبعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه فقدم عليه، وقد قتلهم، وقالت: لولا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر، أما والله إن كان ما علمت لمسلماً حجاجاً معتمراً. ولما حج معاوية مر على عائشة فاستأذن عليها فأذنت له، فلما قعد قالت له: أأمنت أن أخبئ لك من يقتلك؟ قال: بيت الأمن دخلت، قالت: يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: لست أنا قتلتهم، إنما قتلهم من شهد عليهم^(٤) وفي رواية أخرى: قالت: يا معاوية أين كان حلمك عن حجر؟ فقال لها: يا أم المؤمنين لم يحضرنني رشيد^(٥).

وروى مسروق التابعي عن عائشة قالت: أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجتراً على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام. ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس، أما والله إن كانوا لجمجمة العرب عزا ومنعة وفقها، والله در لبيد حيث قال:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجر

يتأكلون معــــالة وملاذة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب^(٦)

موقفها من البيعة ليزيد

(١) -انظر: إحياء علوم الدين (٥٥/٤).

(٢) -الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٨/١) وأنساب الأشراف (١٦٩/٢).

(٣) -تاريخ دمشق (٢٢٩/١٢) وأسد الغابة (٢٤٥/١) والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٧/١) والبداية والنهاية (٦٠/٨)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٣١١/٢).

(٤) -انظر: تاريخ الطبري ٣/٢٣٢ والسيرة الحلبية ٣/١٦٣.

(٥) -تاريخ الطبري ٣/٢٢٠.

(٦) -انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١/٣٣٢، انظر ديوان لبيد ١٥٦ - ١٥٧.

وحين أراد مَرْوَان-وهو عامل معاوية على الحِجَاز حينذاك-أخذ البيعة ليزيد بن معاوية جَمَعَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي يَزِيدَ رَأْيًا حَسَنًا وَإِنْ يَسْتَخْلِفُهُ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: سُنَّةُ هِرَظْلٍ وَقَيْصَرٍ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَاللَّهِ مَا جَعَلَهَا فِي أَحَدٍ مِنْ وَلَدِهِ وَلَا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ؛ فَقَالَ مَرْوَانُ: خُذُوهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: { وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا } فَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَذَبَ وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ فِيهِ وَاللَّهِ مَا أَنْزَلْتُ إِلَّا فِي فُلَانٍ ابْنِ فُلَانٍ وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ أَبَا مَرْوَانَ وَمَرْوَانَ فِي صَلْبِهِ^(١)، وفي هذا بيان لموقفها السياسي في تلك المرحلة الأموية التي عاشتها رضي الله عنها.

أردتُ من خلال هذا العرض لمواقفها السياسية أن أبرهن على عبقرية هذه السيدة وعلى رسوخ وقوة شخصيتها؛ فهي لا تقبل لنفسها القعود عن الواجب ولا تتهيب من الاجتهاد والتَّطَرُّفِ فكم من امرأة رضىت لنفسها هامش الحياة وعاشت على فتاتها، لم تدخر رضي الله عنها وسعاً في مناصرة الحق والاهتمام بقضايا أمتها فكانت تأتيها الوفود فتجيب وتجاوز وتتحرك على بصيرة وعلم ودراية فمواقفها السياسية تشهد لها بتفوق واضح وفهم عميق يُساعدها علم جمٍّ، وعقلية فقهية لم يسبق لها مثيل، وفصاحة لا تعجز عن التعبير، إنَّها شخصية إسلامية سياسية من الوزن الثقيل؛ استطاعت أن تُحرِّك قطاعاً واسعاً من الأمة، وأن تقود حركة سياسية ضخمة في ظروف هي غاية في التعقيد والدقة، ثم تبقى على نفس المستوى من التأثير والتفاعل مع القضايا السياسية ذات الحجم الكبير حتى وفاتها رضي الله عنها وأرضاها.

واقعة دفن الحسن بن علي ربحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

توفي الحسن بن علي بالمدينة عام ٤٩ هـ في إمارة معاوية وقد كان عهد إلى أخيه الحسين أن يدفن مع الرسول في الموضع الخالي جنب قبر النبي وإن خاف أن يكون في ذلك قتال أو شر فليدفن بالبقيع، فأبى مروان أن يدعه، وكان معزولاً يومئذ ويريد أن يرضي معاوية، ولم يزل عدواً لبني هاشم، فلبس الحسين السلاح ومعه بنو هاشم، وتسليح بنو أمية بقيادة مروان وقالوا: لا ندعه يدفن مع رسول الله وكادت الفتنة تقع بين الحسين بن علي ومروان بن الحكم، فخرج أبو هريرة وأشار على الحسين أن لا يقاتل، فامتل، وذكره عهد الحسن حيث إنه أوصى إذا خيفت الفتنة والشر فادفوني مع أُمِّي، وفي النهاية دفنوه بالبقيع قريباً من قبر أمه عليهم السلام.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ماذا كان موقف عائشة من هذه الواقعة؟ ذكر بعض المؤرخين من الشيعة أن عائشة خرجت بنفسها على بغلة بيضاء ومعها بعض الجنود، تمنع جنازة الحسن من الدفن في بيتها قرب قبر النبي إذ أقبل أخوها فلما واجهها قال: ما زالت وصمة العار التي خلفتها معركة الجمل باقية على جبين أَسْرَتْنَا، وأنت تريد أن تخوضي معركة أخرى؟ فرجعت عائشة

هذه الرواية موجودة في نسخة مترجمة إلى اللغة الفارسية من تاريخ الطبري، المطبوعة في الهند، وأما النسخة العربية وهي الأصل فلا توجد فيها هذه الرواية، والواقع أن هذه الترجمة الفارسية لتاريخ الطبري مليئة بالإضافات والزيادات، والحذوفات التي لا توجد في النسخة العربية وقد صرح بذلك المترجم نفسه في المقدمة إلا أن اليعقوبي

(١) -انظر: فتح الباري (٣٩٣/١٣)، والفجر الساطع على الصحيح الجامع (٧٥/٦)، والسلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة (٤٣/١٣)، وفتح القدير القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير (٤٦٠/٦).

(المؤرخ الشيعي من القرن الثالث الهجري) قد نقل هذه القصة دون أن يسوق لها إسناداً، وذكرها بكلمة قيل كما أنه لم يذكر القتال أو رمي السهام، وذكر أبو الفداء أنه لما تنازعت بنو أمية وبنو هاشم، وتسبب ذلك في القتال بينهما بلغتهم عائشة: أن هذه الدار ملكي ولا آذن لأحد أن يدفن فيها إلا أن هذه الرواية كذلك غير صحيحة، وإنما الصحيح من ذلك ما صرح به ابن الأثير وغيره من المؤرخين الثقات، قال الإمام ابن الأثير في (الكامل): ووصى أن يدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن تخاف فتنة، فينقل إلى مقابر المسلمين، فاستأذن الحسين عائشة فأذنت له، فلما توفي أرادوا دفنه عند النبي، فلم يعرض لهم سعيد بن العاص، وهو الأمير، فقام مروان بن الحكم، وجمع بني أمية وشيعتهم ومنع عن ذلك، فأراد الحسين الامتناع، فقليل له: إن أخاك قال: إذا خفتم الفتنة ففي مقابر المسلمين، وهذه فتنة فسكت، وصلى عليه سعيد بن العاص، فقال له الحسين: لولا أنه سنة لما تركتك تصلي عليه^(١).

وقد روى كل من الإمام ابن عبد البر وابن الأثير في (أسد الغابة) والسيوطي في (تاريخ الخلفاء)، بعبارة واحدة ونصها: ((قد كنت طلبت إلى عائشة إذا مت أن تأذن لي فأدفن في بيتها مع رسول الله، فقالت: نعم، وإني لا أدري لعل ذلك كان منها حياء، فإذا أنا مت، فاطلب ذلك إليها، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها، وما أظن إلا القوم سيمنعونك إذا أردت ذلك، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وادفني في بقيع الغرقد، فإن فيمن فيه أسوة، فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة فطلب ذلك إليها. فقالت: نعم وكرامة، فبلغ ذلك مروان، فقال مروان: كذب وكذبت، والله لا يدفن هناك أبداً، منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ويريدون دفن الحسن في بيت عائشة^(٢)).

(١) -الكامل في التاريخ ٣ / ٤٦٠ للإمام ابن الأثير، ط: دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ.

(٢) -الاستيعاب لابن عبد البر ٣٩٢ / ١، وتاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ١ / ١٧٠ باب ذكر وفاة الحسن وأسد الغابة لابن الأثير ٢ / ١٥

البحث الخامس: هل خروج عائشة على علي تبرج منها ومخالفة لأمر الله: {وقرن في بيوتكن}

بإجابة سريعة نقول:

- لقد خرجت السيدة عائشة رضي الله عنها لضرورة شرعية وهي الإصلاح بين الناس، وليس في هذا ما يدل على تبرجها؛ إذ إن الأمر بالاستقرار في البيوت لا يتعارض مع الخروج للإصلاح، ولا سيما أنها رضي الله عنها قد سافرت مع محرم، وهو عبد الله بن الزبير.
- إن العلاقة الطيبة بين السيدة عائشة رضي الله عنها وسيدنا علي رضي الله عنه تنفي أن يكون خروجها بدافع العداوة أو إحداث الفتنة، ولقد سجل التاريخ ما بينهما من احترام متبادل.

أولاً. السفر لضرورة شرعية لا ينافي القرار في البيت:

إن أصحاب هذه الشبهة قد استخدموا الدليل في غير موضعه؛ إذ يجدر بنا في البداية أن نفهم معنى التبرج الوارد في الآية، ثم نمنع النظر في موقف السيدة عائشة رضي الله عنها لنستطيع الحكم بإنصاف ونحيب على سؤال مهم وهو: هل حقاً خالفت السيدة عائشة أمر ربها وتبرجت؟! أم أنه ادعاء واه، فالمفسرون في تفسير قوله سبحانه وتعالى: {وقرن في بيوتكن}: "أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة"^(١)، وخاطبهن بذلك تشريفاً لهن^(٢).

يقول الطاهر ابن عاشور في تفسير قوله سبحانه وتعالى: {وقرن في بيوتكن} ولا تخرجن تبرج الجاهلية الأولى { (الأحزاب: ٣٣): هذا أمر خصص به، وهو وجوب ملازمتهم بيوتهم توقيراً لهن، وتقوية لحرمتهن، فقرارهن في بيوتهم عبادة، ونزول الوحي فيها وتردد النبي في خلاله يكسبها حرمة. وقد كان المسلمون لما ضاق عليهم المسجد النبوي يصلون الجمعة في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم... وهذا الحكم وجوب على أمهات المؤمنين، وهو كمال لسائر النساء... ومحمل هذا الأمر على ملازمة بيوتهم فيما عدا ما يضطر فيه الخروج مثل موت الأبوين، وقد خرجت عائشة إلى بيت أبيها أبي بكر في مرضه الذي مات فيه كما دل عليه حديثه معها في عطيته التي كان أعطاها من ثمرة نخلة وقوله لها: «وإنما هو اليوم مال وارث»^(٣).

وجاء في الحديث أن النبي قال: «قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن»^(٤)، يريد حاجات الإنسان. وقد أشكل على الناس خروج عائشة إلى البصرة في الفتنة التي تدعى: وقعة الجمل... والذي عليه المحققون أن ذلك كان منها اجتهداد، فإنها رأت أن في خروجها إلى البصرة مصلحة للمسلمين لتسعى بين فريقين الفتن بالصلح؛ فإن الناس تعلقوا بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة، ورجوا بركتها أن تخرج فتصلح بين الفريقين، وظنوا أن الناس يستحيون منها، فتأولت لخروجها مصلحة تفيد إطلاق القرار المأمور به في قوله سبحانه وتعالى: (وقرن في بيوتكن) يكافئ الخروج للجمع، وأخذت بقوله سبحانه وتعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن

(١) - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، (٦ / ٢٤٥).

(٢) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، (٤ / ٧٩).

(٣) - أخرجه مالك في الموطأ، كتاب: البيوع في التجارات والسلم، باب: النحلي، (١ / ٢٦٠)، رقم (٨٠٨).

(٤) - صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، (٩ / ٢٤٩)، رقم (٥٢٣٧). صحيح مسلم (بشرح النووي) (٨ / ٣٢٩٠، ٣٢٩١)، رقم (٥٥٦٤٩).

فأنت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) { (الحجرات)، ورأت أن الأمر بالإصلاح يشملها وأمثالها ممن يرجون سماع الكلمة فكان ذلك منها عن اجتهاد، وقد أشار عليها جمع من الصحابة بذلك، وخرجوا معها مثل طلحة والزبير وناهيك بهما.

وهذا من مواقع اجتهاد الصحابة التي يجب علينا حملها على أحسن المخارج ونظن بها أحسن المذاهب وكاد أن يصلح الأمر، ولكن أفسده دعاة الفتنة، ولم تشعر عائشة إلا والمقاتلة قد جرت بين فريقين من الصحابة يوم الجمل. ولا ينبغي تقليد كلام المؤرخين ونقله على علته فإن فيهم من أهل الأهواء ومن تلقفوا الغث والسمين، وما يذكر عنها رضي الله عنها أنها كانت إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى يبتل خمارها، فلا ثقة بصحة سنده، ولو صح لكان محمله أنها أسفت لتلك الحوادث التي ألبأتها إلى الاجتهاد في تأويل الآية^(١).

إذن خروج السيدة عائشة كان لحاجة شرعية تستوجب الخروج ألا وهي الإصلاح بين الناس، وإخماد نار الفتنة بين المسلمين، فلعل الحياء منها يثنيهم عن القتال وينصتوا لقولها، أليست هذه حاجة وضرورة؟! ثم إن العجب ليملكنا من أصحاب هذه الشبهة إذ كيف يرمون أم المؤمنين بالتبرج وهي من برأها الله بوحى من السماء يقرأ إلى يوم القيامة، وكفى به دليلاً على براءتها من كل هذه الترهات التي يحاولون إلصاقها بها.

والتبرج: هو التكشف والظهور للعيون، أو هو: إظهار المرأة محاسن ذاتها وثيابها وحليها برأى الرجال^(٢)، وحقيقته إظهار ما ستره أحسن، والمقصود بـ "تبرج الجاهلية الأولى" ما كان يحدث من النساء إذ كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ، فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال، أو هو: كون النساء يتمشين بين الرجال^(٣)، فهل يصدق عاقل أن أم المؤمنين عائشة وهي المرأة الطاهرة النقية تفعل مثل هذا، فكيف برأها الله سبحانه وتعالى إذن بكلامه؟!

إن الحق الذي لا مرأ فيه أن السيدة عائشة إنما خرجت للإصلاح ولم تخرج أبدا متبرجة، ومما يدعم هذه الرؤية: ما رواه الطبري أن عثمان بن حنيف والي البصرة من قبل علي أرسل إلى عائشة رضي الله عنها يسألها عن سبب قدمها البصرة، فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يعطي لبنه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار غزوا حرم رسول الله وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام ففسكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين، غير نافرين ولا متقين، ولا يقدرين على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم، وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت: { لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس } (النساء: ١١٤)، فنهض في الإصلاح ممن أمر الله وأمر

(١) - التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، د. ت، (٢٢/ ١٠: ١٢).

(٢) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م، (١٢/ ٣٠٩). التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور تونس، ٢٢/ ١٢

(٣) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (١٤/ ١٧٩، ١٨٠).

رسوله الصغير والكبير، والذكر والأنثى فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه، ونحثكم على تغييره^(١).

يقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلّق الناس بها، وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهاجر الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت ممثلة لأمر الله عز وجل في قوله: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾، والأمر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى، حر أو عبد^(٢)، فعائشة رضي الله عنها لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها^(٣).

"فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس، وفيه رد على من طعن في عائشة بقوله: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾، إذ إن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعاً، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين عائشة في خروجها للإصلاح بين المسلمين، وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير^(٤).

وقد رد ابن تيمية على الذين يزعمون أن أم المؤمنين عائشة تبرجت تبرج الجاهلية الأولى عندما خرجت من دارها، فقال: "فهني رضي الله عنها لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي وقد سافر بمن رسول الله بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها، فأردفها خلفه، وأمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي يحججن بعده كما كن يحججن معه في خلافة عمر وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك"^(٥).

فلم يرد الله تعالى بسابق قضائه ونافذ حكمه أن يقع إصلاح، ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان، فعمد بعضهم إلى الجمل فعرقبه، فلما سقط الجمل لجنبه أدرك محمد بن أبي بكر عائشة فاحتملها إلى البصرة، وخرجت في ثلاثين أو أربعين امرأة - على اختلاف في الروايات - قرنهن علي بها حتى أوصلوها إلى المدينة برة تقية مجتهدة، مصيبة مثابة فيما تأولت، مأجورة فيما فعلت؛ إذ كل مجتهد في الأحكام

(١) - أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب، علي محمد محمد الصلابي، دار الإيمان، مصر، ٢٠٠٣م، ص ٤٦٠، ٤٨٥، ٤٨٦، بتصرف.

(٢) - أحكام القرآن، ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، (٦/٣٥٣).

(٣) - الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة، د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي، دار أضواء السلف، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٤) - الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، د. إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغريب الأثرية، المدينة المنورة، ١٩٩٧م، ص ٤٤٤.

(٥) - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، (٤/١٤٤).

مصيب^(١)، كما أن خروجها مع محرم لها (عبد الله بن الزبير ابن أختها)، ثم موقف علي بن أبي طالب إذ أرجعها في ثلاثين امرأة، كل هذه أدلة على نفي التبرج عنها، وحاشاها ذلك وهي أم المؤمنين المكرمة المصونة.

ثانياً. إن خروج السيدة عائشة كان بدافع الإصلاح، يشهد لذلك علاقتها الطيبة بسيدنا علي:

لقد تبين أن موقف السيدة عائشة، وكذلك باقي الصحابة من علي رضي الله عنه، وخروجهم إليه في البصرة لم يكن المراد منه قتال علي، بل كان مرادهم الإصلاح والطلب بدم عثمان، وقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها ترى أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها، وتقول: والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وكانت رضي الله عنها تبكي كلما تتذكر أحداث يوم الجمل.

ومما يرد القول بوجود عدا بينهما وبين علي ما ثبت عن أمير المؤمنين عليّ من أنه أقر عائشة على قولها إثر معركة الجمل؛ حيث قالت تصف علاقتها بالإمام علي: "والله ما كان بيني وبين علي في القسّم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها"^(٢)، فقال علي رضي الله عنه: "صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك"^(٣).

لقد كانت عائشة تروي فضائل عليّ دائماً، ومن ذلك:

- روت حديث الكساء في فضل علي، وفاطمة، والحسن، والحسين رضي الله عنهم^(٤).

- كثيراً ما كانت تحيل السائل إلى علي ليجيبه؛ فقد أحالت شريح بن هانئ لما سألها عن المسح على الخفين إلى علي وقالت له: «عليك بآبى طالب فسله، فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ»^(٥).

- كذلك فقد طلبت من الناس بعد مقتل عثمان أن يلزموا علياً ويبايعوه، ويظهر لنا مما يرد على هذه الشبهة أن عائشة رضي الله عنها لم يحدث قط أنها أبطلت خلافة علي، ولا طعنت عليه، ولا ذكرت فيه جرحاً، ولا بايعت غيره، ولا خرجت لقتاله في البصرة فإنه لم يكن بالبصرة يومئذ^(٦).

ولذلك قال الأحنف بن قيس: لقيت طلحة والزبير بعد حصر عثمان فقلت: ما تأمراني فإني أراه مقتولاً؟

قالا: عليك بعلي قال: ولقيت عائشة بعد قتل عثمان في مكة فقلت: ما تأمريني؟ قالت: عليك بعلي^(٧)

مما يؤكد أنها لم تكن حريصة على تدعيم موقفها السياسي ضده كما يدعي المغرضون، بل إنها كانت لا تقول إلا الحق، ولا تحدث إلا بالصدق، ولقد كان علي على علم بهذا الأمر؛ لذا فقد ردها إلى مأمنها معززة مكرمة، وجعلها بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد أو متاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد بن الحنفية، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم

(١) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، (١٤ / ١٨٢).

(٢) - تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، (٣ / ٣١).

(٣) - تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٦١.

(٤) - صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، (٨ / ٣٥٥٦)، رقم (٦١٤٤).

(٥) - صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الطهارة، باب: التوقيت في المسح على الخفين، (٢ / ٨٠٩)، رقم (٦٢٢٧).

(٦) - حقبة من التاريخ، عثمان بن محمد الخميس، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ص ١٧٦ بتصرف.

(٧) - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط ١، (١٣ / ٣٨).

وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، لأنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار، وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة^(١).

فكان كل منهما يعرف للآخر قدره، ويحفظ له مكانه عند النبي فأين هو الموقف المدعم من قبل عائشة ضد علي رضي الله عنه؟ وأين هذا الخلاف الذي يستدعي من عائشة رضي الله عنها أن تضع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم؟! إنه لشيء عجاب، وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشيء في نفسها من علي، لموقفه منها في حديث الإفك، حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبي في فراقها، فقال: «يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك»^(٢).

وهذا الكلام الذي قاله علي إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى علي في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها، إلى أن تتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما^(٣).

وبظهور براءة عائشة رضي الله عنها بوحى نزل من السماء وقرآن يتلى إلى يوم القيامة تطيش هذه الشبهة، كما تتأكد عندنا عدالة أم المؤمنين رضي الله عنها وصحة مروياتها؛ إذ إنها المبرأة من قبل الله عز وجل ومن قبل جميع الصحابة وعلى رأسهم علي الذي قال لها وهو يودعها بعد موقعة الجمل المشهود لها: "إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة".

(١) - أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، د. علي محمد محمد الصلابي، دار الإيمان، مصر، ٢٠٠٣م، ص ٥٣٢.

(٢) - صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: التفسير، (٨/ ٣٠٦)، رقم (٤٧٥٠).

(٣) - دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين، أسماء محمد أحمد، نقلا عن: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص ٥٣٢.

البحث السادس: شارك طلحة والزبير في الفتنة وفعلا ما يوجب النار وهو استباحة قتل المسلم، فكيف يكونان مبشرين بالجنة أو مقبولي الرواية؟

- إن الناظر في سيرة طلحة والزبير ليجدهما جردا من نفسيهما درعا واقيا، وحصنا منيعا للإسلام ونبية وقد عدلهما الله في كتابه والرسول في سنته، بالإضافة إلى ما تميزا به من مناقب؛ فكيف يظن بمثلهما استباحة دماء المسلمين؟!

- إن مسألة الاقتصاص من قتلة عثمان مسألة تخضع للاجتهاد، والصحابة أهل له، فرأى عليّ التمهّل ريثما تستقر له الأمور، وليعلم من هم القتلة فعلا، لكيلا يظلم بريء ولا يفلت جان، ورأى طلحة والزبير التعجيل بالاقتصاص لتجنب الفتنة وكسر شوكة الثوار، فوفق الإمام علي وكان الأقرب للحكمة والصواب، وجانب طلحة والزبير الأولى في اجتهداهما وعلى كل فالجميع مأجور وهذا ليس معناه استباحتهما دم المسلمين. - إن النقص من لوازم البشرية فالبشر جميعهم عدا الأنبياء والرسول غير معصومين، ولا يتعارض وقوعهم في الذنب مع دخولهم الجنة خاصة الذين بشرهم الصادق المصدوق بها وإلا لما دخلها إلا الأنبياء والمرسلون؛ إذ إن سعادة العقبي لا تستلزم العصمة من الذنوب، وهذا من أساسيات العقيدة الإسلامية.

أولا. لا يقبل الجرح فيمن عدّله الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم:

لقد عدّل الله تعالى ونبّيه الصحابة، ومنهم طلحة والزبير ولا يجرح أحد عدله الله ورسوله وكانا رضي الله عنهما من السابقين الأولين، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ (التوبة)، وقال: ﴿لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨)﴾ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ (التوبة) وقد وردت آيات كثيرة في فضل الصحابة عامة، ولا شك أن الزبير وطلحة من جملتهم، بل من أفضلهم، أما الزبير فهو حوارى رسول الله وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى وأول من سل سيفه في سبيل الله^(١)، وروى الحاكم بإسناد صحيح «أن الزبير أسلم وهو ابن ثماني سنين»^(٢). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لكل نبي حواريا، وإن حوارى الزبير بن العوام»^(٣).

وكان رضي الله عنه مدافعا عن الإسلام ونبية ولم يتخلف عن غزوة غزاها النبي وكان من الذين استجابوا لله والرسول «فعن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)﴾ (آل عمران)، قالت لعروة: يا ابن أخي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر»^(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها وعبد الله بن الزبير قال: «كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثا. فلما رجعت

(١) - سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، (١/ ٤١).

(٢) - صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه، (٣/ ٤٠٨)، رقم (٥٥٥٨). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) - صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، (٧/ ٩٩)، رقم (٣٧١٩). صحيح مسلم (بشرح النووي)، (٨/ ٣٥٥١)، رقم (٦١٢٦).

(٤) - صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: المغازي، باب: (الذين استجابوا لله والرسول)، (٧/ ٤٣٢)، رقم (٤٠٧٧).

قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: كان رسول الله قال: من يأت بني قريظة فيأتيهم بخبرهم؟ فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله أبويه فقال: فذاك أبي وأمي»^(١).

وكان رضي الله عنه بطلا مغوارا أبلى في سبيل الله بلاء حسنا، فعن هشام بن عروة عن أبيه «أن أصحاب النبي قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟ فحمل عليهم، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير»^(٢)، فهذا هو الزبير بن العوام، وتلك سيرته المضئية، ومناقبه الرفيعة، وعدالته المشهود له بها من الله ورسوله وإجماع الأمة، فإذا طعن فيه طاعن بعد ذلك فهذا دليل على سقوط الطاعن، وإذا كان الطاعن ساقطا مخروما العدالة ساقط الإيمان فتجريحه تعديل.

أما طلحة رضي الله عنه فهو يجتمع مع النبي في تيم بن مرة، ولا يقل شأننا عن الزبير، فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد فرسان الإسلام المعدودين، شلت يده وهو يقى بها النبي فقد روى البخاري بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي قد شلت»^(٣)، وكان طلحة من الثابتين على الحق مع النبي فعن أبي عثمان قال: «لم يبق مع النبي في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله غير طلحة وسعد عن حديثهما»^(٤) أي أنهما حدثا أبا عثمان النهدي بذلك، وقوله: تلك الأيام، يريد يوم أحد، وفي مسند الطيالسي من حديث عائشة عن أبي بكر الصديق قال: "ثم أتينا طلحة-يعني يوم أحد -فوجدنا به بضعا وسبعين جراحة، وإذا قد قطعت إصبعه"^(٥).

فالزبير وطلحة من العشرة المبشرين بالجنة؛ الذين هم من أفضل الصحابة على الإطلاق بالاتفاق والإجماع ولا يحتاجان بعد تعديل الله تعالى للصحابة وتعديل النبي لهم إلى تعديل، ولا يطعن في عدالتهم تجريح.

ثانيا. الذين تعجلوا القصاص اجتهدوا فأخطأوا في اجتهداهم، ولكل أجره:

لقد رأى طلحة والزبير ومن معهما اجتهدا منهم القصاص من قتلة عثمان على الفور، ورأى الإمام علي التريث حتى لا يظلم بريء، وكان الحق معه، وجانب طلحة والزبير الأولى في اجتهداهما فلهما أجر الاجتهاد، وكان الصحابة متفقين على إقامة حد القصاص على قتلة عثمان، لكن الخلاف بينهم وقع في مسألة التعجيل بها أو التأجيل لها إلى حين، فطلحة والزبير وعائشة كانوا يرون تعجيل أخذ القصاص من الذين حاصروا الخليفة حتى قتل، وأن البدء بقتلهم أولى، في حين رأى أمير المؤمنين علي ومن معه تأخير، حتى يتوطد مركز الخلافة، ويمكن للخليفة أن يتحقق من الذين قاموا بالفتنة والقتل حتى يقتص منهم ولا يظلم بريء أو يفلت معتد، ولأن استعجال تنفيذ القصاص في هذا الجمهور بدون تحديد المعتدين، يؤدي لا محالة إلى انتشار الفتنة بحرب

(١) -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب الزبير بن العوام، (٩٩/٧)، رقم (٣٧٢٠).

(٢) -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب الزبير بن العوام، (١٠٠/٧)، رقم (٣٧٢١).

(٣) -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر طلحة بن عبيد الله، (١٠٣/٧)، رقم (٢٧٢٤).

(٤) -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر طلحة بن عبيد الله، (١٠٣/٧)، رقم (٣٧٢٣، ٣٧٢٢).

(٥) -فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧م، (١٠٣/٧).

طاحنة يذهب فيها كثير من الأبرياء، كان رأي الإمام علي أسدّ وأصوب من رأي طلحة والزبير وعائشة كما نطقت بذلك النصوص الشرعية^(١).

كما لا يخفى أن طلحة والزبير وعائشة اعتقدوا وفهموا أن قتل عثمان منكر من أعظم المنكرات، وإزالة المنكر من حيث هو لمن قدر عليه فرض كفاية لا يتوقف على إمام يرجع إليه فيه، ومنزلتهم في الإسلام وعند المسلمين تحول لهم ذلك، وهذا ما يبرر خروجهم إلى البصرة، إلا أنهم متأولون في فهمهم هذا، وفي استعجالهم إزالة هذا المنكر، حيث خفي عليهم أن إزالة هذا المنكر تتعلق بالقصاص من المرتكبين له، وأخذ منهم يتوقف على الإمام وإقامة أولياء المقتول البيّنة على الجاني عنده، ثم حكمه بمقتضى ذلك لكن اجتهادهم أدّاهم إلى ذلك، فما يمكن أن يقال فيهم: إنهم مجتهدون مخطئون لهم أجر واحد على اجتهادهم^(٢).

ومما لا شك فيه أن طلحة والزبير كانا يشعران بأن الأمر ملتبس، وتشككهما فيما يعلن من أمرهما دليل واضح على أن الأمور مشتبهة، حيث يصعب التمييز فيها بين الصواب والخطأ، فهذا الزبير يسمي هذه الحرب فتنة، ويقول فيها: "إن هذه الفتنة التي كنا نحدث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال الزبير: ويلك! إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر، فأني لا أدري أمقبل فيها أنا أم مدبر"^(٣)، ولعله لهذا اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد ويأخذ حقه دون السلطان، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى، ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدي الناس بعضهم عن بعض^(٤).

ولم يخرج طلحة والزبير رضي الله عنهما ومن معهما طمعا في دنيا أو لبلوغ منصب، فلم يحدث قط أنهم أبطلوا خلافة علي ولا طعنوا عليه ولا ذكروا فيه جرحا ولا بايعوا غيره، ولا خرجوا لقتاله إلى البصرة فإنه لم يكن بالبصرة يومئذ، ولو أنهم أرادوا قتاله لتوجهوا إلى المدينة مباشرة.

ولذلك قال الأحنف بن قيس: "لقيت طلحة والزبير فقلت: إني لا أرى هذا الرجل يعني عثمان إلا مقتولا، فمن تأمراني به؟ قال: علي، فقدمنا مكة فلقيت عائشة وقد بلغنا قتل عثمان، فقلت لها: من تأمرني به؟ قالت: علي، قال: فرجعنا إلى المدينة فبايعت عليا ورجعت إلى البصرة، فبينما نحن كذلك إذ أتاني آت فقال: هذه عائشة وطلحة والزبير نزلوا بجانب الخريبة يستنصرون بك، فأتيت عائشة فذكرتها بما قالت لي، ثم أتيت طلحة والزبير فذكرتهما، قال: فقلت والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحواري رسول الله ولا أقاتل رجلا أمرتوني ببيعته، فاعتزل القتال مع الفريقين"^(٥).

والثابت تاريخيا أن كلا الجانبين مال إلى الصلح وحقن الدماء، فقد "أرسل علي المقداد بن الأسود والقعقاع بن عمرو رضي الله عنهما ليتكلمتا مع طلحة والزبير رضي الله عنهما واتفق المقداد

(١) -تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، محمد أمجوز، دار السلام، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٤٥٤.

(٢) -تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، محمد أمجوز، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٤٥٤، ٤٥٥.

(٣) -تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (٣/٢٢).

(٤) -الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، (٢/٢٥٦).

(٥) -فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (١٣/٣٨).

والقعقاع من جهة وطلحة والزبير من جهة أخرى على عدم القتال وبين كل فريق وجهة نظره، فطلحة والزبير رضي الله عنها يريان أنه لا يجوز ترك قتلة عثمان، وعلي يرى أنه ليس من المصلحة تتبع قتلة عثمان الآن، بل حتى تستتب الأمور، فقتل قتلة عثمان متفق عليه، والاختلاف إنما هو متى يكون ذلك؟ وبعد الاتفاق نام الجيشان بخير ليلة، وبات السبئية (وهم قتلة عثمان) بشر ليلة؛ لأنه تم الاتفاق عليهم، وهذا ما ذكره المؤرخون الذين أرحوا لهذه المعركة أمثال: الطبري وابن كثير، وابن الأثير، وابن حزم، وغيرهم، عند ذلك أجمع السبئيون رأيهم على ألا يتم هذا الاتفاق، وفي السحر والناس نائمون، هاجم مجموعة منهم جيش طلحة والزبير وقتلوا بعض أفرادهم وفروا، فظن جيش طلحة والزبير أن جيش علي غدر بهم، فناوشوا جيش علي في الصباح، فظن جيش علي أن جيش طلحة والزبير قد غدر، فاستمرت المناوشات بين الفريقين حتى كانت الظهيرة فاشتعلت المعركة^(١).

وقد حاول الكبار من الجيشين وقف القتال، ولكن لم يفلحوا، فكان طلحة يقول: يا أيها الناس أنصتوا؟ فأصبحوا لا ينصتون إليه، فقال: أف أف فراش نار، وذبان طمع^(٢). وعلي يمنعهم ولا يردون عليه، وأرسلت أم المؤمنين عائشة كعب بن سور بالمصحف لوقف المعركة، فرشقه السبئيون بالنبال حتى أردوه قتيلا، وذلك أن الحرب إذا اشتعلت لا يستطيع أحد أن يوقفها^(٣) قال ابن تيمية: "والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إخماد الفتنة، وكف أهلها، وهذا شأن الفتن كما قال سبحانه وتعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} (الأنفال: ٢٥)"^(٤).

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض»^(٥) فلا حجة للمعرضين فيه، ولا في الفتن التي وقعت بين سلفنا الصالح والتي أشعلها سلفهم من الخوارج، والرافضة، والزنادقة، والصحيح أن الزبير لم يقاتل عليا فعن أبي جروة المازني قال: «سمعت عليا والزبير، وعلي يقول له: أنشدتك بالله يا زبير، أما سمعت رسول الله يقول: "إنك تقاتلني وأنت ظالم لي"، قال: بلى ولكني نسيت»^(٦) فرجع الزبير في ذلك اليوم ولم يقاتل^(٧)، فقوله: «لا ترجعوا بعدي» بصيغة النهي والتحذير من قتال المؤمن.

وإطلاق الكفر على قتال المؤمن محمول على معان متعددة:

١. مبالغة في التحذير من ذلك، لينتجر السامع عن الإقدام عليه وليس ظاهر اللفظ مرادا، أو أنه على سبيل التشبيه لأن ذلك فعل الكافر^(٨)، والمعنى لا تفعلوا فعل الكفار فتشبهوهم في حالة قتل بعضهم بعضا^(٩).

(١) - حقة من التاريخ، عثمان بن محمد الخميس، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط٣، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ص ١٧٧، ١٧٨ بتصرف.

(٢) - تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٣٩٧ هـ، ص ٤١.

(٣) - حقة من التاريخ، عثمان بن محمد الخميس، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط٣، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ص ١٧٨.

(٤) - منهاج السنة، ابن تيمية، تحقيق: محمد أيمن الشيراوي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، (٤/ ٣٤٣).

(٥) - صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العلم، (١/ ٢٦٢)، رقم (١٢١). مسلم (بشرح النووي)، (١/ ٤٨٨)، رقم (٢١٩).

(٦) - صحيح: أخرجه الحاكم، كتاب: معرفة الصحابة (٣/ ٤١٣)، رقم (٥٥٧٦). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٦٥٩).

(٧) - حقة من التاريخ، عثمان بن أحمد الخميس، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط٣، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ص ١٧٩، ١٨٠.

(٨) - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧ م، (١٣/ ٣٠).

٢. وقيل: المعنى كفارا بجرمة الدماء، وحرمة المسلمين، وحقوق الدين.
٣. وقيل: كفارا بنعمة الله عز وجل.
٤. وقيل: المراد ستر الحق، والكفر لغة الستر؛ لأن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويعينه، فلما قاتله كأنه غطى على حقه الثابت له عليه.
٥. وقيل: إن الفعل المذكور يفضي إلى الكفر؛ لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شؤم ذلك إلى أشد منها؛ فيخشى ألا يختتم له بخاتمة الإسلام.
٦. وقيل: اللفظ على ظاهره للمستحل قتال أخيه المسلم. وقيل غير ذلك^(٢).
- وما جرى بين الصحابة من قتال لم يكن عن استحلال له حتى يحمل الحديث على ظاهره وأن قتالهم كفر، كما استدل الخوارج ومن شايعهم بقوله صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(٣).
- كيف والقرآن الكريم يكذبهم في هذا الفهم السطحي قال سبحانه وتعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩)﴾ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠)﴾ (الحجرات)، فسماهم إخوة، ووصفهم بأنهم مؤمنون، مع وجود الاقتتال بينهم، والبغي من بعضهم على بعض، يقول الحافظ ابن كثير: وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم...^(٤).
- ويقول ابن تيمية: "والذين قاتلوا الإمام عليا رضي الله عنه: إما إن يكونوا عصاة أو مجتهدين مخطئين أو مصيبين، وعلى كل تقدير، فهذا لا يقدر في إيمانهم، ولا في عدالتهم، ولا يمنعهم الجنة، بما سبق من تصريح القرآن الكريم من تسميتهم إخوة، ووصفهم بأنهم مؤمنون، وتأكيده النبي ذلك بما ورد من رواية الحسن بن علي عن أبي بكره قال: «رأيت رسول الله على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى يقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٥)، ويقول الإمام الأمدي: فالواجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، وإن كان ذلك إنما لما أدى إليه اجتهاد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين^(٦).
- وإلا فجمهور الصحابة وسادتهم تأخروا عن تلك الفتن والخوض فيها كما قال محمد بن سيرين الأنصاري: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله عشرة آلاف فما حضر منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين... وإسناد

(١) -فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (١/ ٢٦٢).

(٢) -فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (١٢/ ٢٠٢).

(٣) -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الإيمان، (١/ ١٣٥)، رقم (٤٨). صحيح مسلم (بشرح النووي)، (١/ ٣٣٠)، رقم (٦٤).

(٤) -تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، (٤/ ٢١١).

(٥) -صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الصلح، (٥/ ٣٦١)، رقم (٢٧٠٤)، منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٢٠٠٤م، (٤/ ٢٢٥).

(٦) -الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، مكتبة نزار الباز، السعودية، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، (٢/ ٣٥١).

هذه الرواية كما قال ابن تيمية أصح إسناد على وجه الأرض^(١)، وعلى هذا فالذي خاض في تلك الفتن من الصحابة إما أن يكون كل مجتهد مصيبا، أو أن المصيب واحد، والآخر مخطئ في اجتهاده مأجور عليه.

ويقول الإمام الجويني إمام الحرمين: "أما التوقف في تعديل كل نفر من الذين لابسوا الفتن، وخاضوا الحن، ومتضمن هذا الانكشاف عن الرواية عنهم، فهذا باطل من دين الأمة، وإجماع العلماء على تحسين الظن بهم، وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر بالسبيل السابقة، وهذا من نفائس الكلام"^(٢).

هذا هو التحقيق الصحيح لمواقف الصحابة من الفتنة خاصة طلحة والزبير رضي الله عنهما اللذين فضلا عما تقدم لم يخرجوا لقتال علي لأتباعها ذهبا إلى البصرة، وكان علي في المدينة، ولم يخرجوا لأجل خلافة أو مغام شخصية وأنه ثبت أنهما بايعا عليا بالخلافة، ولكنهما اجتهدا في تغيير منكر شديد وقع للأمة، وهو مقتل عثمان ولم يحالفهم الصواب في اجتهادهم هذا، وكان علي الأقرب للصواب، وهذا أيضا لا يقدر في كونهم جميعا من أهل الجنة؛ لأن التبشير بالجنة وحي، والوقوع في الذنوب والرجوع عنها والتوبة منها لا يلزم منه الحرمان من الجنة، إذ إن سعادة الآخرة لا تستلزم العصمة من الذنوب، وإلا لما دخلها إلا الأنبياء والمرسلون.

ثالثا. سعادة العقبى لا تستلزم العصمة من الذنوب:

من القواعد الأساسية في أوليات العقيدة الإسلامية التي أخذت من نصوص قطعية الدلالة في كتاب الله أو المتواتر من سنة رسوله: أن سعادة العقبى لا تستلزم بالضرورة العصمة من الآثام والذنوب، فرب إنسان أسرف على نفسه وارتكب ألوانا من الأوزار، ثم إن الله عز وجل يتداركه بالصفح والغفران يوم القيامة ويؤتاه دار كرامته ورضوانه خالدا فيها^(٣)، لتوبته ورجوعه وندمه.

ولا تشترط العصمة لدخول الجنة، وإلا لما دخلها إلا الأنبياء والمرسلون، ولضاع مفهوم الثواب والعقاب؛ ذلك أن العصمة هبة من الله لمن اصطفى من خلقه، لا تكتسب ولا يتوصل إليها بطول المجاهدة أو كثرة الطاعات، وبذلك يذهب المطلوب من إرسال الرسل، وهو هداية الخلق إلى الطريق القويم رجاء لرضى الله وطمعا في جنته ونعيمه، وخوفا من سخطه ورهبا من ناره وعذابه، وهذا عبث يتنزه الله سبحانه وتعالى عنه.

ومن لوازم البشرية النقص وارتكاب الذنوب، أما العصمة فهي من خصائص النبوة كما ذكرنا، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ثم لجاء يقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم»^(٤) وفي حديث أبي أيوب عن النبي قال: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون ثم يغفر لهم»^(٥)، والمراد بهذا أن الله تعالى حكمة في إلقاء الغفلة على قلب عباده أحيانا حتى يقع منهم بعض الذنوب، فإنه لو استمرت لهم اليقظة التي يكونون عليها في حال سماع الذكر لما وقع منهم ذنب؛ يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وفي إيقاعهم في الذنوب أحيانا فائدتان عظيمتان هما:

(١) -منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: محمد أيمن الشيراوي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، (٤/ ٢٢٥).

(٢) -البرهان في أصول الفقه، الجويني، تحقيق: د. عبد العظيم الديب، دار الوفاء، مصر، ط٤، ١٤١٨هـ، (١/ ٢٤١، ٢٤٢).

(٣) -هذه مشكلاتهم، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط٧، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص١٦٠.

(٤) -صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، (٩/ ٣٨٥٢)، رقم (٦٨٣٢).

(٥) -صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، (٩/ ٣٨٥١)، رقم (٦٨٣٠).

١. اعتراف المذنبين بذنوبهم وتقصيرهم في حق مولاهم، وتنكيس رءوس عجبهم، وهذا أحب إلى الله من فعل كثير من الطاعات، فإن دوام الطاعات قد توجب لصاحبها العجب، وفي الحديث: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك: العجب»^(١)، "قال الحسن رحمه الله: "لو أن ابن آدم كلما قال أصاب وكلما عمل أحسن؛ أوشك أن يجن من العجب".

٢. حصول المغفرة من الله تعالى لعبده، فإن الله تعالى يحب أن يعفو ويغفر ومن أسمائه: "الغفار" و"العفو" و"التواب"، فلو عصم الخلق؛ فلمن كان العفو والمغفرة؟^(٢)!

والصحابه جميعا يجوز عليهم الخطأ كما يجوز على غيرهم بما فيهم طلحة والزبير ولا يتعارض ذلك مع تبشيرهم بالجنة الوارد عن سعيد بن زيد حدثه في نفر أن رسول الله قال: «عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص ولو شئت لسميت العاشر قال: فقالوا: من هو؟ قال: فقال: هو سعيد بن زيد»^(٣).

على أن هذه التوطئة التي بدأنا حديثنا بها، ليست إلا بيانا لمبدأ من أوليات العقيدة الإسلامية التي ما ينبغي أن تغيب عن بال من يريد أن يخوض في مثل هذه المسألة ليشير كوامنها، فهي لا تنطوي على ما يشير إلى أن كلا من هذين الصحابييين الجليلين قد عصي الله تعالى بما صدر منه مما يستشكله هؤلاء المغرضون ويجادلون فيه، بل ليس في الأمر معصية قط، وليس القتال الذي حدث بين المسلمين في موقعة الجمل هو القتال الموجب للخلود في النار كما في القرآن.

وها هنا قاعدة ثانية من قواعد التشريع، هي من الجلاء والوضوح بمكان لكل ذي دراية بالإسلام وبنياه العلمي والتشريعي؛ ولو أن المغرضين جعلوا زادهم الثقافي في معرفة الإسلام كفئا لطموحاتهم الجدلية المتعلقة بالإسلام والمسلمين، لاستراحوا وأراحوا، وخلاصة هذه القاعدة هي أن الخطيئة أيا كان نوعها تشكل إثما ومعصية، عندما تكون مصادمة لدلالة نص صريح ثابت في كتاب الله أو سنة رسوله أو إجماع صادر عن ذوي الحل والعقد في المسلمين.

فأما التصرفات التي لا تصادم شيئا من ذلك، وإنما تتعارض فيها القرائن والمصالح ومن ثم تتجاذبها احتمالات شرعية متعددة، فهي التي تدخل في زمرة الأمور الاجتهادية.

فإذا صادفت هذه المسائل إنسانا ضليعا بعلوم الشريعة الإسلامية، أمينا في رعايتها مخلصا في التعريف بها، فإن له بل عليه أن يجتهد فيها طبق ما هو مبين ومرسوم في باب الاجتهاد من علم أصول الفقه أو ما يسمى اليوم بقواعد تفسير النصوص، فإن وافق اجتهاده الحق الثابت في علم الله كان مأجورا مرتين: مرة على ما بذل من جهد في الكشف عن الحق، ومرة على ما انتهى إليه من معرفة هذا الحق وإصابته، وإن لم يوفق في

(١) -حسن: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (٥/ ٤٥٣)، رقم (٧٢٥٥). وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٣٠٣).

(٢) -لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب، تحقيق: رضوان جامع رضوان، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٦: ٢٨

(٣) -صحيح: أخرجه أبو داود (بشرح عون المعبود) (١٢/ ٢٦٢)، رقم (٤٦٣٥). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٤٦٤٩).

اجتهاده ذلك كان مأجورا مرة واحدة في مقابل الجهد الذي بذل. وهذا معنى كلام رسول الله فيما رواه الشيخان: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^(١).

فمهما اختلف المجتهدون، ضمن دائرة هذه الأمور الاجتهادية المحتملة، فإن اختلافهم الشكلي اتفاق ضمني؛ إذ إنهم مهما فرقته المجتهادات في تلمس حكم الله متفقون في التوجه إلى مطمح نظر واحد ألا وهو رضا الله وإنما العبرة بوحدة الجذع لا بتفرق الأغصان المتفرعة عنه.

أرأيت لو أن أربعة أشخاص ضمهم سفر في طريق، وقاموا إلى الصلاة، وقد غمت عليهم السماء وسدت أمامهم الجهات والآفاق فلم يتبينوا جهة القبلة بيقين، فإن الحكم الشرعي في حقهم هو الاجتهاد الذي قد يورث الظن اعتمادا على المؤشرات والقرائن. فإذا اقتضاهم هذا الحكم المتفق عليه أن يختلفوا في نتيجة الاجتهاد، وأن يصلي كل منهم إلى جهة، فلا حرج وعبادتهم جميعا صحيحة. فهم وإن اختلفوا في التطبيق السلوكي، فإنهم متفقون في الدستور، والمنطق الفكري الذي حملهم على الاجتهاد، ومن ثم على التحالف في وجهات النظر. وهذا معنى قولنا: إن اختلافهم الشكلي اتفاق ضمني.

والمبدأ ذاته يطبق على سائر القضايا الاجتهادية أيا كان نوعها، فلقد قتل عثمان ظلما، بأيدي طائفة من البغاة، وهذا شيء معروف، ولا شك أن القاتلين يتحملون جريرة عدوانهم ويخضعون لسلطان القصاص الشرعي. وهذا أيضا محل اتفاق، وليس أمرا اجتهاديا يحتمل الأخذ والرد، غير أن السبيل إلى تطبيق هذا الحكم، يدخل فيما يسمى بأحكام الإمامة، والسياسة الشرعية؛ فمن حق الخليفة وهو هنا علي رضي الله عنه أن يؤخر المطالبة بدم عثمان ريثما يستقر له الأمر أو ينجز ما قد يراه من المقدمات الضرورية التي تضمن سلامة التنفيذ وإبعاد أسباب الفتنة، وهذا هو ما جنح إليه علي وهو رأي اجتهادي من حقه أن يأخذ به، بل يجب أن يتبصر مواطن قدميه بمقتضاه.

أما طلحة والزبير رضي الله عنهما فقد رأيا ومعهما ثلة من الصحابة أن الإسراع في ذلك هو الأضمن لسلامة الأمر ودرء أسباب الفتنة، وعرضا على علي خدامتهما، وأن يأتياه بالجنود من البصرة والكوفة ليكونوا سندا له، غير أنه استمهلهم ليرى رأيه في الأمر، والذي بعد ذلك، هو أن كلا الطرفين سعى إلى تنفيذ اجتهاده في اتباع السبيل الأمثل إلى الأخذ بدم عثمان فكان أن تلاقى أولئك الذين رأوا الإسراع في الاقتصاص من قتلة عثمان في البصرة، وفيهم عائشة وطلحة والزبير وجمع كبير من الصحابة ولم يكن عمل هؤلاء أكثر من تذكير أهل البصرة بضرورة التعاون لمحاصرة قتلة عثمان والثأر منهم^(٢)، ولكن صارت الأمور إلى حيث ما ذكرنا في الوجه السابق وبيننا موقف الجميع من هذه الحادثة من الاتفاق على الصلح لولا أن السبئية فعلوا ما فعلوا.

وعليه فلا يقدح اجتهاد طلحة والزبير رضي الله عنهما في عدالتهما على الإطلاق.

يقول الإمام القرطبي: "لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل... وهم كلهم لنا أئمة وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر؛ لحمة الصحبة ولنهي النبي عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم.

(١) - صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، رقم (٧٣٥٢). صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الأفضية، (٦/ ٢٦٧٥)، رقم (٤٤٠٧).

(٢) - هذه مشكلاتهم، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط ٧، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١٦٤: ١٦٨ بتصرف.

هذا مع ما قد ورد من أخبار من طرق مختلفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض، فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانا لم يكن بالقتل فيه شهيدا... ومما يدل على ذلك ما صح وانتشر من أخبار تدل على أن قاتل الزبير في النار، فعن زر بن حبیش قال: «استأذن ابن جرموز على علي وأنا عنده، فقال علي رضي الله عنه: "بشر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله يقول: إن لكل نبي حوارياً وحواريّ الزبير»^(١). وإذا كان كذلك، فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال، أي أنهما معذوران باجتهادهما وإلا لم يقل النبي في طلحة "شهيد" ولم يخبر أن قاتل الزبير في النار، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم، والبراءة منهم وتفسيقهم وإبطال فضائلهم وجهادهم وعظيم غنائهم في الدين^(٢) وبذلك تبطل تلك الدعوى الساقطة من الأساس.

(١) - صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، رقم (٦٨١). وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، (١٦ / ٣٢١، ٣٢٢) بتصرف.

الفصل الثالث: مناقشة الافتراءات المطاعن المكذوبة على السيدة عائشة ؓ

أولاً: قالوا إنّ أهل السنة سموها أمّ المؤمنين ولم يسمّوها غيرها بذلك الاسم.

ثانياً: اتهموا أهل السنة أنهم عظموا أمر عائشة على باقي نساء النبي مع أنه كان يكثر من ذكر خديجة.

ثالثاً: زعمهم أنها أذاعت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: إن عائشة سقت النبي صلى الله عليه وسلم السم.

خامساً: إن عائشة اتهمت مارية القبطية بالزنا فنزلت فيها آية الإفك.

سادساً: إن عائشة رضي الله عنها كانت تبغض عثمان، وتقول: "اقتلوا نعثلاً فقد كفر".

سابعاً: إن عائشة منعت من دفن الحسن بن علي عند جده.

ثامناً: إن عائشة رضي الله عنها كانت تكذب على رسول الله.

تاسعاً: إن عائشة أغضبت فاطمة حتى أبكتها.

العلاقة الحسنة بين أم المؤمنين عائشة وآل البيت.

عاشراً: زعموا أن النبي قال لها أنك ستقتلين علياً وأنت له ظالمة. !!

الحادي عشر: زعموا أنها خالفت أمر ربها في قوله: {وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}.

الثاني عشر: إن عائشة خرجت لقتال علي رضي الله عنهما.

الثالث عشر: إن عائشة رضي الله عنها كانت تبغض علياً رضي الله عنهما.

الرابع عشر: الطعن في أم المؤمنين عائشة بمشاركتها في حرب الجمل بشبهة مركبة.

الخامس عشر: ينقمون عليها مرافقة طلحة والزبير لها عندما توجهت إلى البصرة قصد الإصلاح بين بنيها.

السادس عشر: نهب عسكر السيدة عائشة بيت مال البصرة عند دخولها ..

السابع عشر: أطاعها في خروجها عشرات الآلاف ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله لما طلبت حقها.

الثامن عشر: إن الفتنة خرجت من بيت عائشة.

التاسع عشر: إن عائشة رضي الله عنها كانت لا تحتجب من الرجال.

العشرون: إن عائشة رضي الله عنها كانت تزين الجواري وتطوف بهن.

الحادي والعشرون: إن عائشة رضي الله عنها كانت تسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني عشر: روايتها حديث إرضاع الكبير.

وهناك مجموعة من الشبهات والافتراءات وردت وتمت مناقشتها في الفصلين السابقين.

من المعلوم أن الرافضة تكذب وتجعل ما تفتريه ديناً تدين الله به، وأقوال العلماء في كذبهم أشهر من أن تذكر، كقول الشافعي: "لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة"^(١). وقال يزيد بن هارون: "يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة، فإنهم يكذبون"^(٢) وقال محمد بن سعيد الأصبهاني: سمعت شريكاً يقول: "أحمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة؛ فإنهم يضعون الحديث، ويتخذونه ديناً"^(٣) وقال ابن تيمية: "وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قسم؛ ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب"^(٤).

«إن أهل السنة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة، وكذلك أمهات المؤمنين: عائشة وغيرها، وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير هم سادات أهل الجنة بعد الأنبياء، ويقولون: إن أهل الجنة ليس من شرطهم سلامتهم عن الخطأ، بل ولا عن الذنب، بل يجوز أن يذنب الرجل منهم ذنباً صغيراً أو كبيراً ويتوب منه. وهذا متفق عليه بين المسلمين، ولو لم يتب منه فالصغائر مغفورة باحتساب الكبائر عند جماهيرهم، بل وعند الأكثرين منهم أن الكبائر قد تمحى بالحسنات التي هي أعظم منها، وبالمصائب المكفرة وغير ذلك.

وإذا كان هذا أصلهم فيقولون: ما يذكر عن الصحابة من السيئات كثير منه كذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه، ولكن لم يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم، وما قدر أنه كان فيه ذنب من الذنوب لهم فهو مغفور لهم: إما بتوبة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بغير ذلك، فإنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه: أنهم من أهل الجنة، فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة، وإذا لم يمت أحد منهم على موجب النار لم يقدح ما سوى ذلك في استحقاقهم للجنة.

ونحن قد علمنا أنهم من أهل الجنة، ولو لم يعلم أن أولئك المعينين في الجنة لم يجز لنا أن نقدح في استحقاقهم للجنة بأمر لا نعلم أنها توجب النار، فإن هذا لا يجوز في آحاد المؤمنين الذين لم يعلم أنهم يدخلون الجنة، ليس لنا أن نشهد لأحد منهم بالنار لأمر محتملة لا تدل على ذلك، فكيف يجوز مثل ذلك في خيار المؤمنين، والعلم بتفصيل أحوال كل واحد منهم باطنا وظاهراً، وحسناته وسيئاته واجتهاداته، أمر يتعذر علينا معرفته؟ فكان كلامنا في ذلك كلاماً فيما لا نعلمه، والكلام بلا علم حرام، فلهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيراً من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال، إذ كان كثير من الخوض في ذلك. أو أكثره. كلاماً بلا علم، وهذا حرام لو لم يكن فيه هوى ومعارضة الحق المعلوم، فكيف إذا كان كلاماً بهوى يطلب فيه دفع الحق المعلوم؟

(١) - أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٨ / ١٥٤٤، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٣٥٢.

(٢) - يزيد بن هارون الواسطي، أحد الأعلام الحفاظ المشاهير، كان عالماً بالفقه والفرائض والتفسير، من مصنفاته: (الفرائض) و (تفسير القرآن)، مات سنة (٢٠٦هـ) ينظر في ترجمته: العبر ١ / ٢٧٥، وتاريخ الإسلام ١٤ / ٢٤٥، والنجوم الزاهرة ٢ / ١٨٠، وشذرات الذهب ٣ / ٣٣. والنص عن: منهاج السنة النبوية ١ / ٦٠.

(٣) - محمد بن سعيد المعروف بابن الأصبهاني، روى عن شريك وروى عنه البخاري، وقال النسائي عنه: ثقة، مات سنة (٢٢٠هـ). ينظر في ترجمته:

تاريخ أصبهان لأبي نعيم ٢ / ١٤٥، والنص عن منهاج السنة النبوية ١ / ٦٠.

(٤) - منهاج السنة النبوية ١ / ٥٩.

ومن علم ما دل عليه القرآن والسنة من الثناء على القوم، ورضا الله عنهم، واستحقاقهم الجنة، وأنهم خير هذه الأمة لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة: منها ما لا يعلم صحته، ومنها ما يتبين كذبه، ومنها ما لا يعلم كيف وقع، ومنها ما يعلم عذر القوم فيها، ومنها ما يعلم توبتهم منه، ومنها ما يعلم أن لهم من الحسنات ما يغمره، فمن سلك سبل أهل السنة استقام قوله، وكان من أهل الحق والاستقامة والاعتدال، وإلا حصل في جهل وكذب وتناقض كحال هؤلاء الضلال»^(١).

أولاً - قال ابن المطهر الحلبي: "وسموها أم المؤمنين ولم يسموها غيرها بذلك الاسم"^(٢).

وهذا من البهتان الواضح الظاهر لكل إنسان ولا يصدر هذا الإنكار إلا من معاند لما في كتاب الله عز وجل، "إذ من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي يقال لها أم المؤمنين، وعائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وسودة بنت زمعة وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويرة بنت الحارث المصطلقية وصفية بنت حيي بن أخطب الهارونية رضي الله عنهن، وقد قال تعالى: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم} (الأحزاب: ٦)، وهذا أمر معلوم للأمة علما عاما، وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته.

وعلى وجوب احترامهن فهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم ولسن أمهات المؤمنين في المحرمية، فلا يجوز لغير أقاربهن الخلوة بهن ولا السفر بهن كما يخلو الرجل ويسافر بذوات محارمه"^(٣).

فالله تبارك وتعالى هو الذي سمى عائشة وغيرها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين، وليس أهل السنة هم الذين سموا عائشة بأم المؤمنين كما يزعم ذلك الشيعة الرافضة إذ لما عميت بصائرهم عما دل عليه الكتاب وانضم إلى ذلك جهلهم ظنوا أن أهل السنة والجماعة هم الذين سموها بذلك الاسم، ونسوا أن الله هو الذي أكرم نساء نبيه بهذه الخصيصة الشريفة والمنقبة الرفيعة حيث جعلهن أمهات لجميع المؤمنين ومن شدة حقد وغل الرافضة لعائشة رضي الله عنها حسدوها على هذه التسمية الربانية بل وصل البغض ببعض الشيعة الرافضة إلى أن عاند تسمية الله لها بهذا الاسم وسموها "بأم الشرور"^(٤) مع أن من تفوه به هو الأحق بهذا الاسم وأهله، أما عائشة رضي الله عنها فقد سماها الله "بأم المؤمنين" على رغم أنف كل كاره وليمت بغيطه من لم يرتض لها هذا الاسم الإلهي.

(١) - باختصار من منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٠٩ - ٣١٢)

(٢) - منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ١٩٨/٢.

(٣) - منهاج السنة ١٩٨/٢ - ١٩٩.

(٤) - انظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ١٦١/٣.

ثانياً -قال الحلبي: وأعظموا أمر عائشة على باقي نسائه مع أنه كان يكثر من ذكر خديجة، وطعنوا عليها بقولها: "ما غرت على أحد من نساء النبي ما غرت على خديجة وما رأيتها" (١) "وقول النبي: والله ما بدلت بها ما هو خير منها صدقتني إذ كذبتني الناس، ورزقني الله الولد منها ولم أرزق من غيرها" (٢)

ووجه طعنهم عليها بهذا الحديث أنهم استنبطوا منه " أنها حسدت خديجة لما سمعت النبي يكثر من مدحها وثنى عليها، ولذلك عاتبته كما يزعمون فاعتذر إليها بإحسان خديجة إليه وحسن صحبتها له" (٣).

نقول: أن الباعث لعائشة رضي الله عنه على قولها في الحديث هو الغيرة كما صرحت هي بذلك لا الحسد، كما يزعمه الشيعة الرافضة والغيرة كما هو معلوم جبلة في النساء ولا مؤاخذه على الأمور الجبلية الناشئة عن الغيرة، فلو صدر قول أو فعل مخالف للشرع تتوجه الملامة للغيرة، وقد ورد أن بعض أمهات المؤمنين غارت على أخرى حين أرسلت إلى رسول الله طعاما وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك في بيت من غارت، فكسرت قصعة الطعام وانصب الطعام على الأرض، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بجمع الطعام ويقول "غارت أمكم"، ولم يعاتبها ولم يوجها على ذلك وإنما غاية ما أمرها به أن تبدلها إناء بدل إنائها (٤) فكيف يسوغ بعد هذا للشيعة الرافضة أن يجعلوا أمهات المؤمنين هدفا لسهام مطاعنهم نعوذ بالله من الخسران.

يقال لهم: "إن أهل السنة والجماعة لم يجمعوا على أن عائشة أفضل أمهات المؤمنين، لكن ذهب الكثير منهم إلى ذلك واحتجوا على ذلك بمثل قوله ﷺ: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" (٥)، وبمثل قوله صلى الله عليه وسلم من حديث عمرو بن العاص أنه قال: قلت يا رسول الله أي النساء أحب إليك؟ قال: "عائشة" قلت: ومن الرجال؟ قال: "أبوها"، قلت: ثم من؟ قال: "عمر وسمى رجالا" (٦).

أما قولهم أنه قال لخديجة: "ما أبدلني الله خيرا منها" إن صح فمعناه "ما أبدلني خيرا لي منها فإن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه مقامها، فكانت خيراً له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة وعائشة صحبتته في آخر النبوة وكمال الدين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن يدرك إلا أول النبوة، فكانت أفضل لهذه الزيادة فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها، وبلغت من العلم والسن ما لم يبلغه غيرها.

فخديجة كان خيرها مقصورا على نفس النبي لم تبلغ عنه شيئا، ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعت بعائشة، ولأن الدين لم يكن قد كمل حتى تعلمه ويحصل لها من كمالاته ما حصل لمن علم وآمن به بعد كماله، ومعلوم أن من اجتمع همه على شيء واحد كان أبلغ ممن تفرق همه في أعمال متنوعة، فخديجة خير له من هذا الوجه لكن أنواع البر لم تنحصر في ذلك. ولهذا كان من الصحابة من هو أعظم إيماناً وأكثر جهادا بنفسه وماله كحمزة وعلي وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير وغيرهم. هم أفضل ممن كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم

(١) - صحيح البخاري ٣١٥/٢.

(٢) - منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ١٨٢/٢.

(٣) - انظر كتاب انظر الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف ٢٩١/١.

(٤) - انظر سنن النسائي ٧٠/٧-٧١، المسند ١٤٨/٦، ٢٧٧، سنن أبي داود ٢٦٧/٢.

(٥) - صحيح البخاري ٣٠٨/٢، صحيح مسلم ١٨٩٥/٤.

(٦) - صحيح مسلم ١٨٥٦/٤.

وينفعه في نفسه أكثر منهم كأبي رافع وأنس بن مالك وغيرهما . ولسنا في صدد ذكر تفصيل الكلام في تفضيل عائشة وخديجة رضي الله عنهما . لكن المقصود هنا أن أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها وأن نساء أمهات المؤمنين اللواتي مات عنهن كانت عائشة أحبهن إليه وأعظمهن حرمة عند المسلمين^(١) .

أما لما استحقت كل هذا التقدير فلما ثبت من فضائلها العظيمة الثابتة بالنصوص الصحيحة، فمن ذلك تبرة الله تعالى لها من فوق سبع سموات، في آيات من كتاب الله تتلى إلى أن يأذن الله برفع كتابه من الأرض، وذلك في قول الله تعالى من سورة النور: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم} إلى قوله: {الخبثات للخبثين والخبثون للخبثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم} (النور: ١١-٢٦) فهذه الآيات من أكبر الأدلة على طهارتها، وشرفها، وعلو شأنها في الدين.

ومن الأدلة على فضلها من السنة، ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة أنها قالت: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما: (يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام، قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى مالا أرى، تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم) .^(٢)

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)^(٣)، وعن هشام بن عروة عن عائشة قالت إن كان رسول الله ليتفقد يقول: (أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟ استبطاء ليوم عائشة قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري) .^(٤)

وعن هشام بن عروة قال: (كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قالت: عائشة: فاجتمع صواحيي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار، قالت فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان الثالثة ذكرت له فقال: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها) .^(٥)

وعن عمرو بن العاص أن النبي بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت من الرجال؟ قال: أبوها، قلت ثم من قال: ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا^(٦) إلى

(١) -انظر منهاج السنة ١٨٢/٢-١٨٣ .

(٢) -رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة فتح الباري ١٠٦/٧، ح ٣٧٦٨، ومسلم: (كتاب فضائل باب في فضل عائشة ١٨٩٦/٤ .

(٣) -رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، فتح الباري ١٠٦/٧، ح ٣٧٦٩، ورقم ٣٧٧٠، ومسلم في: كتاب فضائل ح ٢٤٤٦ .

(٤) -رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة فتح الباري ١٠٧/٧، ح ٣٧٧٤، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، ١٨٩٣/٤، ح ٢٤٤٣ .

(٥) -رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، فتح الباري ... ١٠٧/٧، ح ٣٧٧٥ .

(٦) -رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي لو كنت متخذًا خليلا، فتح الباري ١٨/٧، ح ٣٦٦٢، ومسلم: (كتاب فضائل ٢٣٨٤/٤، ح ٢٣٨٤ .

غير ذلك من الأحاديث الدالة على فضلها، وسبقها، وعلو شأنها في الدين، وعظيم مكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا أكبر رد على الذي يتساءل مكابرا: لأي شيء استحققت عائشة هذا التقدير! فنقول له: لما ثبت من فضلها على لسان رسول الله، وتفردا بتلك المناقب العظيمة التي لم يشاركها فيها أحد من أمهات المؤمنين عدا خديجة رضي الله عنها في تسليم جبريل عليها كما هو ثابت في الصحيح. ^(١)

والمفاضلة بين خديجة وعائشة محل نزاع كبير بين العلماء المحققين، وذلك أن العلماء متفقون على أن أفضل نساء الأمة، خديجة وعائشة وفاطمة، ثم اختلفوا بعد ذلك في المفاضلة بينهن رضي الله عنهن، يقول ابن تيمية: «وأفضل نساء هذه الأمة خديجة، وعائشة، وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع». ^(٢)

وسئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: «بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغيه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها» ^(٣)

وقال ابن حجر: «وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة» ^(٤)، وقال في شرح حديث أبي هريرة وأن جبريل أتى وأمره أن يقرأ خديجة السلام من رها وفيه: «قال السهيلي: استدلل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من رها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديما، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم». ^(٥)

والمقصود هنا أن الخلاف بين العلماء في المفاضلة بين خديجة وعائشة مشهور، وليس المقام هنا مقام تحرير الخلاف في ذلك، وليس فضل إحداها على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث (فاطمة وخديجة وعائشة) حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة، فما الذي يضر عائشة لو كانت ثانية أو ثالثة نساء الأمة في الفضل، وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها!!

ثالثاً - ومن مطاعنهم في حق عائشة: "زعمهم أنها أذاعت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم" ^(٦).

أولاً: لا شك أن الله جل وعلا قال في محكم كتابه: {وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير} (التحریم: ٣)، وقد جاء في صحيح البخاري من حديث عبيد بن حنين، قال: سمعت ابن عباس يقول: "أردت

(١) - صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب تزوج النبي خديجة وفضلها، فتح الباري ١٣٣/٧ - ١٣٤، ح ٣٨٢٠، ومسلم: ١٨٨٧/٤، ح ٢٤٣٢.

(٢) - مجموع الفتاوى ٣٩٤/٤.

(٣) - مجموع الفتاوى ٣٩٣/٤.

(٤) - فتح الباري ١٠٩/٧.

(٥) - فتح الباري ١٣٩/٧.

(٦) - انظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ١٨٤/٢، وانظر الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ٢٩٢/١.

أن أسأل عمر رضي الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة^(١)، إن الشيعة يعمدون إلى نصوص القرآن التي فيها ذكر ذنوب ومعاصي بيّنة، لمن نصت عنه من المتقدمين، ثم يعمدون إلى تأويلها بأنواع التأويلات وأهل السنة يقولون: إن أصحاب الذنوب تابوا منها ورفع الله درجاتهم بالتوبة.

ويقال لهم ثانياً: بتقدير أن يكون هناك ذنب لعائشة وحفصة فيكونان قد تابتا منه، هذا ظاهر بنص قوله تعالى: {إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما} (التحریم: ٤)، فدعاها الله تعالى إلى التوبة ولا يظن بهما أنهما لم يتوبا مع ما ثبت من علو درجاتهما، وأنهما زوجتا نبينا في الجنة، وأن الله خيرهن بين الحياة الدنيا وزينتها فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ولذلك حرم الله على رسوله أن يستبدل بهن غيرهن وحرم عليه أن يتزوج عليهن واختلف في إباحة ذلك له بعد ذلك^(٢)، ومات عنهن وهن أمهات المؤمنين بنص القرآن ثم إن الذنب يزول عقابه بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة.

ويقال ثالثاً: إن المذكور عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كالمذكور عمن شهد له بالجنة من أهل بيته وغيرهم من الصحابة، فإن علياً لما خطب ابنة أبي جهل على فاطمة، وقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال: "إن بني المغيرة استأذنوني أن ينكحوا علياً ابنتهم وإني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم إنما فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها ويؤذي ما آذاها"^(٣).

فلا يظن بعلي رضي الله عنه أنه ترك الخطبة في الظاهر فقط، بل تركها بقلبه وتاب بقلبه عما كان طلبه وسعى فيه، وكذلك لما صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يوم الحديبية وقال لأصحابه: "انحروا واحلقوا رؤوسكم" فلم يقم أحد فدخل مغضباً على أم سلمة، فقالت: من أغضبك أغضبه الله؟، فقال: "ما لي لا أغضب وأنا أمر بالأمر فلا يطاع" فقالت: يا رسول الله أدع بهديك فانحرو وأمر الحلاق فليحلق رأسك"^(٤) وأمر علياً أن يمحو اسمه فقال: والله لا أمحوك، فأخذ الكتاب من يده ومحاه"^(٥)، فمعلوم أن تأخر علي وغيره من الصحابة عما أمروا به حتى غضب النبي صلى الله عليه وسلم، إذا قال القائل: هذا ذنب كان جوابه كجواب القائل: إن عائشة أذنبت في ذلك فمن الناس من يتأول ويقول وإنما تأخروا متأولين لكونهم كانوا يرجون تغيير الحال بأن يدخلوا مكة، وآخر يقول: لو كان لهم تأويل مقبول لم يغضب النبي صلى الله عليه وسلم بل تابوا من ذلك التأخير ورجعوا عنه مع أن حسناتهم تمحو مثل هذا الذنب وعلي دخل في هؤلاء رضي الله عنهم أجمعين^(٦)، وبهذا يبطل طعن الشيعة الرافضة على عائشة وحفصة رضي الله عنهما بأنهما أذاعتا سر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يزعمون وأنه على تقدير ثبوته فقد أحدثا منه توبة لأن الله دعاها إلى ذلك ولا يجوز لأحد أن يلوم أحد، أو يعيره بذنوب قد تاب منه.

(١) - صحيح البخاري ٢٠٦/٣.

(٢) - انظر الأقوال في ذلك: أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٠/٣-١٠٧١، الجامع لأحكام القرآن ٢١٩/٢-٢٢٠.

(٣) - صحيح البخاري ٢٦٥/٣.

(٤) - انظر الحديث في صحيح البخاري ١٢٢/٢، المسند ٣٣١/٤.

(٥) - انظر الحديث في صحيح البخاري ١٢٢/٢، صحيح مسلم ١٤٠٩/٣-١٤١١.

(٦) - انظر السنة ١٨٤/٢-١٨٥، وانظر مختصر التحفة الاثني عشرية ص/٢٦٩-٢٧٠.

رابعاً: قولهم إن عائشة سقت النبي صلى الله عليه وسلم السم. !!

يقول الرافضة: إن عائشة وحفصة تأمرت مع أبيهما؛ لاغتيال النبي صلى الله عليه وسلم، فقد وضعت السم في فم النبي صلى الله عليه وسلم وأنه مات نتيجة ذلك، وسلك الرافضة في هذه الفرية مسلكين: المسلك الأول: وضع الروايات المكذوبة: كما جاء في البرهان في تفسير القرآن^(١) لهاشم البحراني، وبحار الأنوار^(٢) للمجلسي، في تفسير قوله الله تعالى: {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك} (التحريم: ١)، وفي نفس الكتابين السابقين في موضع آخر: "عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: تدرون مات النبي صلى الله عليه وآله أو قتل؟، إن الله يقول: {أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم} فسمّ قبل الموت، إنهما سقتاه، فقلنا: إنهما وأبويهما شر من خلق الله"^(٣)، ويقول ياسر الحبيب^(٤) في احتفاله بوفاة عائشة: "ماذا أقول، وماذا أعدد أو أذكر؟ أذكر سمها لرسول الله صلى الله عليه وآله وقتلها إياه؟"

المسلك الثاني: صرف معنى الأحاديث الصحيحة إلى ما يوافق هواهم:

استغل الرافضة قصة سقي عائشة وحفصة النبي صلى الله عليه وسلم الدواء في مرضه، فقالوا: سقتاه السم، وهذا هو نص الرواية الصحيح: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «لددنا^(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه، وجعل يشير إلينا: "لا تلدوني"، قال: فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: "ألم أنحكم أن تلدوني" قال: قلنا: كراهية للدواء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يبقى منكم أحد إلا لد وأنا أنظر إلا العباس، فإنه لم يشهدكم"^(٦).

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها، قالت: «أول ما اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة، فاشتد مرضه حتى أغمي عليه، فتشاور نساؤه في لده فلدوه، فلما أفاق قال: "ما هذا؟" فقلنا: هذا فعل نساء جئن من هاهنا - وأشار [الراوي] إلى أرض الحبشة - وكانت أسماء بنت عميس فيهن، قالوا: كنا

(١) - (البرهان في تفسير القرآن) ٦٧/٤ - ٦٨، هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني من أعلام الروافض، ومن كبار مفسريهم، مات سنة (١١٠٧هـ). ينظر في ترجمته: الأعلام ٦٦/٨، ومعجم المؤلفين ١٣/١٣٢.

(٢) - محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني، أحد أعلام الرافضة، له: (بحار الأنوار)، راجع: ٢٢/١٠١، مات سنة (١١١١هـ).

(٣) - البرهان في تفسير القرآن ٣/٣١، وبحار الأنوار ٢٢/٢١٣.

(٤) - ياسر يحيى عبد الله الحبيب من مواليد سنة ١٩٧٩م بالكويت، وهو أحد رافضة الكويت، وهو خريج علوم سياسية من جامعة الكويت، عرف بأسلوبه الحاد في بيان آرائه، بدأ بطرح الأقوال الشيوعية التي لم يجرؤ أحد على طرحها في الزمن المعاصر في مجالسه الخاصة في الكويت، مما أدى إلى إلقاء السلطات الكويتية القبض عليه بتهمة "سب الصحابة"، وتطورت القضية إلى أمن الدولة فحكم فيها في مايو ٢٠٠٤ بالسجن لعشر سنوات أدانته الكثير من المنظمات الدولية لحقوق الإنسان ومنها منظمة العفو الدولية ووزارة الخارجية الأمريكية، لكنه قضى في السجن ثلاثة أشهر فقط؛ وأطلق سراحه بعفو أميري وصف رسمياً فيما بعد بأنه "خطأ إداري" وتمكن من الهجرة غير الشرعية إلى العراق ثم إلى إيران ثم سافر إلى بريطانيا دون أن تتمكن السلطات الكويتية من اعتقاله مجدداً ونال حق اللجوء في بريطانيا.

ينظر في ترجمته: منتديات بغداد الرشيد: www.baghdadalrashid.com، وإجابات قول: www.ejabat.google.com

(٥) - اللدود: وهو دواء يصب في أحد جانبي فم المريض، بين اللسان والشدق، تهذيب اللغة ٤٩/١٤، والفائق في غريب الحديث ٨٥/٣، ولسان العرب ٣/٣٩٠.

(٦) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته ٦/١٤، رقم (٤٤٥٨)، وكتاب الطب، باب اللدود ٧/١٢٧، رقم (٥٧١٢)، وكتاب الديات، باب إذا أصاب قوم من رجل ... ٩/٨، رقم (٦٨٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب كراهة التداوي باللدود ٤/١٧٣٣، رقم (٢٢١٣).

نتهم فيك ذات الجنب ^(١) يا رسول الله، قال: "إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقرفيني به ^(٢) لا ييقين في هذا البيت أحد إلا التد إلا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني العباس، قال: فلقد التدت ميمونة يومئذ وإنها لصائمة لعزمة رسول الله صلى الله عليه وسلم" ^(٣)،
والرد على هذه الفرية من وجوه ^(٤):

الوجه الأول: أن القصة في مسلكهم الأول من الأباطيل المكذوبة، ومن الدعاوى الغريبة التي سود الرافضة بها كتبهم، فالرافضة إذا أرادوا أن يؤيدوا باطلهم عمدوا إلى بعض الآيات القرآنية، فاخترعوا في تفسيرها قصصا مختلفة تؤيد إفكهم، حتى يوهمو أبناء طائفتهم، ومن يسقطونه في حبالهم أن هذا الإفك الذي زعموه قد نزلت في بيانه وتأكيد آيات القرآن الكريم، وهذا ما فعلوه في هذه الافتراءات التي أرادوا إلصاقها بخير عباد الله بعد الأنبياء والمرسلين؛ بأبي بكر وعمر، وبابنتيهما رضي الله عنهما أجمعين ^(٥)، وهذه الأكذوبة التي ذكروها في سبب نزول آيات سورة التحريم، لم أجدها في غير كتب الرافضة، والصحيح أن سبب نزول هذه الآيات كان في تحريم النبي صلى الله عليه وسلم للعسل كما في الصحيح، فعن عائشة رضي الله عنها قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فواطيت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغاير، إني أجد منك ريح مغاير، قال: "لا، ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحدا"» ^(٦).

الوجه الثاني: بالنسبة لقصة اللدود في المسلك الثاني، التي روتها عائشة وأسماء رضي الله عنهما، وفهمها الرافضة فهما يوافق إفكهم، أقف عندها وقفات:

أولا: أن اللدود: هو الدواء الذي يصب في أحد جانبي فم المريض ^(٧)، فكيف عرف الرافضة مكونات الدواء الذي وضعته عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم!؟

ثانيا: أن من نقل هذه الحادثة هو عائشة فكيف تنقل قتلها لنبيها، وزوجها، وحبيبها صلى الله عليه وسلم!؟

(١) - ذات الجنب: هي قرحة تصيب الإنسان داخل جنبه، ينظر: الصحاح ١/ ١٠٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٠٣، ولسان العرب ١/ ٢٨١.

(٢) - أي: ليرميني به، والمراد ليبتليني به، فإن المبتلى ببلية يرمى بها، فكأن الذي ابتلاه رماه به. قاله السندي. ينظر: تحقيق مسند أحمد ٤٥ / ٤٦٢ (طبعة الرسالة).

(٣) - أخرجه أحمد في مسنده ٤٥ / ٤٦٠، رقم (٢٧٤٦٩)، وعبد الرزاق في مصنفه ٥ / ٤٢٨، رقم (٩٧٥٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٥ / ١٩٥، رقم (١٩٣٥)، وابن حبان في صحيحه، ١٤ / ٥٥٢، رقم (٦٥٨٧)، رقم (٣٧٢)، والحاكم في المستدرک ٤ / ٢٢٥، رقم (٧٤٤٦)، وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حجر في فتح الباري ٨ / ١٤٨، والألباني في السلسلة الصحيحة ٧ / ١٠١٥، رقم (٣٣٣٩).

(٤) - ينظر في الرد على هذه الفرية: الصاعقة في نفس أباطيل وافتراءات الشيعة ص (٧٠٥١)، ومقال للشيخ عبد الرحمن الطوخي بعنوان: "رد الشبه والافتراءات عن السيدة عائشة"، تاريخ: ٢٥ / ١٠ / ١٤٣١هـ، على شبكة الألوكة: www.alukah.net.

(٥) - ينظر: الصاعقة في نفس أباطيل وافتراءات الشيعة ص (٥١) بتصرف.

(٦) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك} الآية ٦ / ١٥٦ رقم (٤٩١٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته، ولم ينو الطلاق ٢ / ١١٠٠ رقم (١٤٧٤).

(٧) - ينظر: تهذيب اللغة ١٤ / ٤٩، والفائق في غريب الحديث ٣ / ٨٥، ولسان العرب ٣ / ٣٩٠.

ثالثا: السم الذي وضعته اليهودية في الطعام الذي قدم للنبي كشف أمره من الله تعالى وأخبرت الشاة النبي أنها مسمومة، فلماذا لم يحصل معه صلى الله عليه وسلم الأمر نفسه في السم الذي وضعته عائشة في فمه؟! رابعا: لم يعط الدواء للنبي صلى الله عليه وسلم من غير علة، بل أعطيه من مرض ألم به. خامسا: لم يعط النبي صلى الله عليه وسلم الدواء إلا بعد أن تشاور نساؤه في ذلك الإعطاء. سادسا: لا ننكر أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم مات بآثر السم! لكن أي سم هذا؟ إنه السم الذي وضعته اليهودية للنبي صلى الله عليه وسلم في طعام دعت له لأكله عندها، وقد لفظ صلى الله عليه وسلم اللقمة؛ لإخبار الله تعالى بوجود السم في الطعام، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيامه أنه يجد أثر تلك اللقمة على بدنه، ومن هنا قال من قال من سلف هذه الأمة: إن الله تعالى جمع له بين النبوة والشهادة. سابعاً: من الواضح في الرواية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهمن من نهي النبي صلى الله عليه وسلم بعدم لده أنه نهي شرعي، بل فهموا أنه من كراهية المريض للدواء، وفهمهم هذا ليس بمستنكر في الظاهر، وقد صرحوا بأنهم وإن لم يكن لهم عذر عند النبي، صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأصل هو الاستجابة لأمره، صلى الله عليه وسلم قد أخطؤوا في تشخيص داءه صلى الله عليه وسلم لذا فقد ناولوه دواء لا يناسب علته. قال ابن حجر رحمه الله: "وإنما أنكر التداوي؛ لأنه كان غير ملائم لدائه؛ لأنهم ظنوا أن به "ذات الجنب"، فداووه بما يلائمها، ولم يكن به ذلك؛ كما هو ظاهر في سياق الخبر كما ترى" (١)، وأخيرا أقول: إن سلوك الرافضة في افتراءاتهم وشبهاتهم أكثر من مسلك، دليل واضح على كذبهم وتدليسهم. أخيراً: نقول هذا من الكذب المفضوح، فإذا كانت قد سقت النبي صلى الله عليه وآله وسلم السم كما يزعم هؤلاء الكذابون فلماذا لم يطالب بنو هاشم بالقصاص، ولماذا لم يقتص منها علي رضي الله عنه عندما تولى الخلافة، إن هذا طعن في علي رضي الله عنه لو كانوا يفقهون.

خامساً: إن عائشة اتهمت مارية القبطية بالزنا فنزلت فيها آية الإفك ولهم في تقرير هذه الشبهة عدة مسالك:

المسلك الأول: التشكيك في قصة الإفك، وإنكار براءة عائشة رضي الله عنها: "وقد أنكر جمع من الشيعة ذلك زاعمين أن هذا من قول العامة-يعنون أهل السنة-إذ رواية أهل السنة عندهم مردودة بالإجماع، بل إنهم يرون أيضاً أن الخبر إذا جاء متناقضاً عن واحد من أئمتهم من طريقين، وافق أحدهما مذهب أهل السنة: يترك الخبر الموافق لمذهب أهل السنة لاحتمال خروجه على التقية^(١)، وعلى هذا: فقد أنكر جمع من الشيعة نزول آيات سورة النور في تبرئة عائشة؛ لأن ذلك من قول أهل السنة. أما هم: فيرون أن هذه الآيات نزلت في براءة مارية القبطية مما رمته بها عائشة رضي الله عنها؛ كما تقدمت مزاعمهم في هذا. وقد حاول بعض الشيعة المعاصرين التشكيك في قصة الإفك، ومن هؤلاء المشككين: جعفر مرتضى الحسيني صاحب كتاب 'حديث الإفك'، والذي ألف كتابه هذا بغرض نقض حديث الإفك؛ فقد حاول من أول صفحات هذا الكتاب، إلى آخر صفحاته، رد حديث الإفك بشتى الوسائل والحجج؛ من طعن في رواية أهل السنة، إلى زعم بتناقض هذا الحديث واضطرابه، أو دعوى ضعف السند دون بيان سبب الضعف، أو غير ذلك من الافتراءات^(٢)، ومن أنكر قصة الإفك أيضاً هاشم معروف الحسيني في كتابه 'سيرة الأئمة الاثني عشر'^(٣)، وغيرهما.

والرد على هذه الفرية:

أن إنكار الرافضة لبراءة عائشة رضي الله عنها والتشكيك في قصة الإفك يتعارض مع إقرار جمع كبير من علمائهم، واعترافهم بأن الله سبحانه وتعالى قد برأ عائشة رضي الله عنها مما نسب إليها من الإفك، وبأن رسول الله قد جلد من جاء به، واستشهدوا بقصة الإفك على وجود العداوة بين علي وعائشة رضي الله عنهما، وبأنها أي العداوة ظهرت منذ ذلك الحين^(٤)، بل إن بعض أئمتهم يؤكد أن براءة عائشة رضي الله عنها أمر متواتر علم بالضرورة، وإنكاره إنكار للضروري.

فيقول ابن أبي الحديد^(٥): "وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها وإنما أنزلت في مارية القبطية وما قذفت به مع الأسود القبطي، وجحدهم لإنزال ذلك في عائشة جحد لما يعلم ضرورة من الأخبار المتواترة"^(٦)، ونجد أيضاً أن ابن أبي الحديد نفسه في موضع آخر يثبت براءة عائشة حيث

(١) - ينظر: الصراط المستقيم للبياضى ٣/ ١٥٧، ١٨٢.

(٢) - ينظر: كتاب حديث الإفك لجعفر مرتضى الحسيني.

(٣) - ٤٣٨ / ١.

(٤) - ينظر: الجمل للمفيد (٢١٩)، وتلخيص الشافى للطوسي ص (٤٦٨)، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١/ ٢٠١، والصوارم المهرقة للتستري (١٠٥)، وإحقاق الحق له ص (٢٨٤)، والدرجات الرفيعة للشيرازي (٢٥)، والفصول المهمة للموسوي (١٥٦)، عن الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة ص (١١٢ - ١١٤) بتصرف.

(٥) - بن أبي الحديد، له علم بالأدب والشعر والتاريخ، وجمع بين الاعتزال والتشيع، قال عنه ابن كثير: "الكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي"، من مصنفاته: (شرح نصح البلاغة)، مات سنة (٦٥٦هـ)، ينظر في ترجمته: تاريخ الإسلام ٢٠٢/ ٤٨، والبداية والنهاية ٢٣٣/ ١٣، والوفاي بالوفيات ٤٦/ ١٨.

(٦) - شرح نصح البلاغة ٢٣ / ١٤.

يقول: "وقد فت عائشة في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفوان بن المعطل السلمي، والقصة مشهورة؛ فأنزل الله براءتها في قرآن يتلى وينقل، وجلد قاذفوها الحد" (١).

المسلك الثاني: استغلال روايات ضعيفة منكرة وقعت في كتب أهل السنة:

ومن المعروف أن من مسالك الرافضة في تقرير شبهاتهم وافتراءاتهم أنهم يعمدون إلى رواية ضعيفة منكرة أو موضوعة وردت في كتب أهل السنة، فيوردونها مؤكدين بها ما يقولونه، ثم يلزمون أهل السنة بها. وفي هذه الفرية بالذات عمد بعضهم إلى رواية ضعيفة جدا، بل باطلة وردت في كتب أهل السنة، ويتصدر هذا التيار المدعو عبد الحسين الرافضي في كتابه 'المراجعات'.

وهذه هي الرواية التي يستندون إليها: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أهديت مارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها ابن عم لها، قالت: فوقع عليها وقعة فاستمرت حاملا، قالت: فعزلها عند ابن عمها، قالت: فقال أهل الإفك والزور: من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره، وكانت أمه قليلة اللبن فابتاعت له ضائنة لبون فكان يغذى بلبنها، فحسن عليه لحمه، قالت عائشة رضي الله عنها: فدخل به على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: كيف ترين؟ فقلت: من غذي بلحم الضأن يحسن لحمه، قال: ولا الشبه قالت: فحملني ما يحمل النساء من الغيرة أن قلت: ما أرى شبها، قالت: وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقول الناس فقال لعلي: خذ هذا السيف فانطلق فاضرب عنق ابن عم مارية حيث وجدته، قالت: فانطلق فإذا هو في حائط على نخلة يخترق رطباً قال: فلما نظر إلى علي ومعه السيف استقبلته رعدة قال: فسقطت الخرقة، فإذا هو لم يخلق الله عز وجل له ما للرجال شيء ممسوح» (٢).

ف نجد أن هذه الرواية قد استغلها عبد الحسين الشيعي في "مراجعاته" أسوأ استغلال، واتكأ عليها في اتهامه للسيدة عائشة في خلقها ودينها، فقال: "وحسبك مثالا لهذا ما أيده - نزولا على حكم العاطفة - من إفك أهل الزور إذ قالوا - بهتاناً وعدواناً - في السيدة مارية وولدها عليه السلام ما قالوا، حتى برأها الله عز وجل من ظلمهم براءة - على يد أمير المؤمنين - محسوسة ملموسة! {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً} (الاحزاب: ٢٥)!" (٣)

وعلق على هذا بقوله: "من أراد تفصيل هذه المصيبة؛ فليراجع أحوال السيدة مارية رضي الله عنها في (ص ٣٩) من الجزء الرابع من 'المستدرک' للحاكم، أو من 'تلخيصه' للذهبي".! يشير بذلك إلى هذا الحديث المنكر، وأنه لم يكتف في الاعتماد عليه - مع ضعفه الشديد - بل إنه زاد على ذلك أنه لم يسق لفظه؛ تدليسا على الناس وتضليلا؛ فإنه لو فعل وساق اللفظ؛ لتبين منه لكل من كان له لب ودين أن عائشة بريئة مما نسب إليها في هذا الحديث المنكر من القول - براءتها مما اتهمها به المنافقون؛ فبرأها الله تعالى بقرآن يتلى عامل الله

(١) - المصدر نفسه ٩ / ١٩١.

(٢) - أخرجه الحاكم في المستدرک ٤ / ٤١، رقم (٦٨٢١)، وسكت عنه الحاكم والذهبي، وقال الألباني في "الضعيفة" ١٠ / ٧٠٠: "ضعيف جدا".

(٣) - المراجعات ص (٢٤٧ - ٢٤٨).

الكذابين والمؤيدين لهم بما يستحقون! ثم إن الحديث؛ أخرجه ابن شاهين أيضا من طريق سليمان بن أرقم عن الزهري به؛ كما في 'الإصابة' ^(١) للحافظ العسقلاني؛ وقال: "وسليمان ضعيف" ^(٢).

والجواب على هذا الكلام من وجوه:

أولا: هذه الرواية باطلة وضعيفة جدا لا يجوز الاحتجاج بها أبدا: فالحديث من رواية سليمان بن أرقم، والأئمة متفقون على تضعيفه ^(٣)، بل هو ضعيف جدا، ولظهور ضعف هذا الحديث فقد سكت عنه الحاكم في 'مستدركه' - على تساهله في التصحيح -، وكذلك سكت عنه الذهبي في 'تخليصه عليه'، وقد أورد هذا الحديث الشيخ الألباني في كتابه 'السلسلة الضعيفة' ^(٤)؛ وقال: "ضعيف جدا"

ثانيا: أن الحديث أصله صحيح ثابت، وليس فيه هذه الزيادات المنكرة: وهذه الزيادات زأداها ابن الأرقم على الحديث، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أنه سيء الحفظ جدا، أو أنه يعتمد الكذب والزيادة؛ لهوى في نفسه، ثم يحتج بها أهل الأهواء!

وأما الرواية الصحيحة في ذلك فهي عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه: «أن رجلا كان يتهم بأم إبراهيم ولد رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: اذهب فاضرب عنقه. فأتاه علي، فإذا هو في ركي يتبرد فيها، فقال له علي: اخرج. فنأوله يده، فأخرجه، فإذا هو محبوب ليس له ذكر، فكف على عنه، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنه محبوب ما له ذكر» ^(٥).

المسلك الثالث: إدخالهم زيادات منحولة على النص الصحيح ليتمموا بها فريتهم: إن من الأمور التي يتفنن فيها الرافضة أنهم يعمدون إلى رواية صحيحة، ثم يدخلون عليها زيادات تفسد النص؛ ليسوغوا بذلك ما يريدونه من كذب وافتراء ودس، وقد يجعلون هذه الرواية المكذوبة سببا لنزول آية في كتاب الله تعالى لئتم لهم إتقان التلبيس والتضليل.

فقد ذكر علي بن إبراهيم القمي في 'تفسيره' ^(٦)، في تفسير قوله تعالى: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم} (النور: ١١) قال: إن العامة رويوا أنها نزلت في عائشة، وما رميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة، وأما الخاصة فإنهم رويوا أنها نزلت في مارية القبطية، وما رمتها به عائشة. ثم روى علي بن إبراهيم القمي بسنده قال: "لما مات إبراهيم بن رسول الله حزن عليه حزنا شديدا، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريح ... " ^(٧)، فهذه الرواية هي رواية صحيحة ثابتة عند

(١) - ١٤ / ٦.

(٢) - السلسلة الضعيفة ١٠ / ٧٠١ - ٧٠٣.

(٣) - ينظر: التاريخ الكبير ٤ / ٢، والضعفاء والمتروكون للنسائي ص (٤٨)، والجرح والتعديل ٤ / ١٠٠، والكمال في ضعفاء الرجال ٤ / ٢٢٨، وتاريخ بغداد ١٠ / ١٨، والضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٢ / ١٦، والمغني في الضعفاء ١ / ٢٧٧.

(٤) - ١٠ / ٧٠٠، رقم (٤٩٦٤).

(٥) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب براءة حرم النبي صلى الله عليه وسلم من الرية ٤ / ٢١٣٩، رقم (٢٧٧١)، وأحمد في مسنده ٢١ / ٤٠٥، رقم (١٣٩٨٩)، والحاكم في المستدرک ٤ / ٤٢، رقم (٦٨٢٤) والزيادة له، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم".

(٦) - ٢ / ٩٩.

(٧) - ذكر ذلك أيضا جمع من مصنفی الرافضة منهم: هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن ٤ / ٥٢، ٥٣، والمجلسي في بحار الأنوار ٢٢ / ١٥٥،

الرافضة السبئيين، ولذلك يعتمدون عليها أيما اعتماد، وقد صرح كبار علمائهم بصحة هذه الرواية. فهذا المفيد وهو من كبار علمائهم يؤكد أن هذه الروايات صحيحة ومسلمة عند الشيعة، فيقول: "خبر افتراء عائشة على مارية القبطية خبر صحيح مسلم عند الشيعة" (١).

فالخبر إذا صحيح مسلم (٢)، وقد روى الرافضة أيضا هذه القصة في تفسير قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنيا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين} (الحجرات: ٦). قال علي بن إبراهيم القمي في "تفسيره" (٣): "إنما نزلت في مارية القبطية أم إبراهيم، وكان سبب ذلك أن عائشة قالت لرسول الله: إن إبراهيم ليس هو منك، وإنما هو من جريح القبطي، فإنه يدخل إليها في كل يوم، فغضب رسول الله وقال لأمر المؤمنين عليه السلام: خذ هذا السيف وأتني برأس جريح ..."، إلى أن قال: "فأنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنيا فتبينوا} (٤) " (٥).

وتأكيدا لما ذكرناه آنفا من مسلك الرافضة في إدخال زيادات فاسدة على نصوص صحيحة نورد في هذا المقام رواية صحيحة في كتب أهل السنة، ونرى كيف شوهاها الرافضة، وغيروا فيها:

روى الطحاوي من طريق: عبد الرحمن بن صالح الأزدي الكوفي، والبخاري وأبو نعيم، وابن عساكر، والضياء المقدسي من طريق: أبو كريب محمد بن العلاء الهمداني، كلهم من طريق: يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال: «كان قد تجرؤوا (وفي رواية: كثر أو أكثر) على مارية في قبطي ابن عم لها كان يزورها، ويختلف إليها، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ هذا السيف فانطلق، فإن وجدته عندها فاقتله، ...» الحديث (٦).

وليس في هذا الحديث ذكر لعائشة، فلينظر المنصف المتبع للحق كيف غير الرافضة في هذه الرواية ودسوا فيها الدسائس؟ فالرواية الصحيحة التي بهذا السياق وردت في المنافقين وليست في عائشة، فالمنافقون هم الذين كانوا يشيعون الأخبار الكاذبة عن مارية برأها الله، يفعلون ذلك طعنا في رسول الله كما فعل رأس النفاق عبد الله بن أبي براءة قبلها وقد برأها الله، والذي يؤمن برسول الله ويحترمه لا يجعل زواجه بين قاذفة ومقدوفة لاسيما بعد ما نزلت براءة عائشة في قرآن يتلى في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة، ويؤمن ببراءتها ومكانتها وما أنزل في شأنها من قرآن، ولا يقدر فيها إلا حاقد على رسول الله وعلى أسرته وأصحابه (٧).

(١) -رسالة فيما أشكل من خبر مارية للمفيد ص (٢٩).

(٢) -الصاعقة في نسب أباطيل وافتراءات الشيعة ص (١٠٣)، وينظر: الحصون المنيعية في براءة عائشة الصديقة ص (٥٤)، والفتح الأنعم في براءة عائشة ومرم ص (١٣٠).

(٣) -٣١٨، ٣١٩ / ٢-.

(٤) -وينظر: أيضا: البرهان في تفسير القرآن ١٣ / ١٣٨، وتفسير نور الثقلين ٥ / ٨١، وبحار الأنوار ٢٢ / ١٥٣، ١٥٤.

(٥) -الصاعقة في نسب أباطيل وافتراءات الشيعة ص (١١٤ - ١١٥).

(٦) -أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ١٢ / ٤٧٣، ٤٧٤، رقم (٤٩٥٣)، والبخاري في مسنده ٢ / ٢٣٧، رقم (٦٣٤)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ١ / ٣٨٧، رقم (٧٣٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣ / ١٧٧، ١٧٨، وقال المقدسي: "له = شاهد في صحيح مسلم من رواية أنس بنحوه"، وقال محققه: "إسناده حسن". والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤ / ٥٢٧، رقم (١٩٠٤)، وقال: "وشرح البخاري وابن منده بتحديث ابن إسحاق، فزالت شبهة تدليسه وسائر رجاله ثقات، فهو إسناد متصل جيد".

(٧) -الانتصار لكتاب العزيز الجبار وللصحابة الأخيار على أعدائهم الأشرار لربيع المدخلي ص (٣٩٦، ٣٩٧) بتصرف.

سادساً: إن عائشة كانت تبغض عثمان وتقول: اقتلوا نعثلاً^(١) فقد كفر ولما بلغها قتله فرحت بذلك^(٢).

استدل الرافضة على بغض عائشة لعثمان، وأمرها بقتله بما أورده سيف بن عمر^(٣) في كتابه 'الفتنة ووقعة ووقعة الجمل' عن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف راجعة في طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن أم كلاب فقالت له: مهيم^(٤)؟ قال: قتلوا عثمان، فمكثوا ثمانياً، قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك! ردوني ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟ فو الله إن أول من أمال حرفه لأنت! ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر، فسترت واجتمع إليها الناس، فقالت: يا أيها الناس، إن عثمان قتل مظلوماً، والله لأطلبن بدمه^(٥). والرد على هذا الفرية من وجوه:

أولاً: إن هذا الخبر مكذوب وموضوع لا يصح وذلك للآتي:

١ - الخبر من رواية: سيف بن عمر الأسدي التميمي، قال عنه يحيى بن معين: "ضعيف"^(٦)، وقال مرة أخرى عنه: "فلس خير منه"^(٧)، وقال أبو حاتم: "متروك الحديث"^(٨)، وقال أبو داود: ليس بشيء"^(٩)، وقال النسائي: "ضعيف"^(١٠)، وقال ابن عدي: "بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق"^(١١). وقال ابن حبان: "يروي الموضوعات عن الأثبات، ... وكان سيف يضع الحديث وكان قد اتهم بالزندقة"^(١٢)، وقال الدارقطني: "متروك"^(١٣).

(١) - نعتل: اسم رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شبه بذلك الرجل لطول لحيته، والنعتل: في الأصل: الشيخ الأحق، وقيل: الذكر من الضباع. ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٤٢٦، والصحاح ٥/ ١٨٣٢، والفائق في غريب الحديث ٤/ ٥٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٧٩.

(٢) - منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ١٨٣/٢، وانظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقدم ٣/ ٣٠، ص/ ١٦٤، الأنوار النعمانية ٢/ ٢١٦. (٣) - هو: سيف بن عمر الأسدي التميمي، الشيعي، أصله من الكوفة، من أصحاب السير، وهو ضعيف في رواية الحديث، ومن مصنفاته: (الجمل) و (الفتوح الكبير) و (الردة)، مات سنة (٢٠٠هـ). ينظر في ترجمته: الجرح والتعديل ٤/ ٢٧٨، والجرحين ١/ ٣٤٥، والكمال في ضعفاء الرجال ٤/ ٥٠٧.

(٤) - مهيم: كلمة يستفهم بها، معناها: ما أمركم وشأنكم؟. ينظر: الصحاح ٥/ ٢٠٣٨، ومشارك الأنوار ١/ ٣٩٠، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٣٧٨.

(٥) - الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر ص (١١٥)، وأورده المجلسي في بحار الأنوار ٣٢/ ٤٩ - نقلاً من كتب أهل السنة -. وهذا الخبر ورد فعلاً في كتب أهل السنة: فقد أخرجه الطبري في تاريخه ٤/ ٤٥٨، ٤٥٩، وابن أعثم في الفتوح ٢/ ٤٣٧، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢/ ٥٧٠.

(٦) - تاريخ ابن معين رواية الدوري ٣/ ٤٥٩.

(٧) - الكامل في ضعفاء الرجال ٤/ ٥٠٧.

(٨) - الجرح والتعديل ٤/ ٢٧٨.

(٩) - سؤالات الآجري لأبي داود ١/ ٢١٤.

(١٠) - الضعفاء والمتروكون ص (٥٠).

(١١) - الكامل في ضعفاء الرجال ٤/ ٥٠٨.

(١٢) - الجرحين لابن حبان ١/ ٣٤٦.

(١٣) - سؤالات البرقاني ص (٣٤).

٢ -والحديث من رواية: نصر بن مزاحم العطار، أبي الفضل المنقري، الكوفي، سكن بغداد وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ^(١). وقال أبو الفتح محمد بن الحسين الحافظ: "نصر بن مزاحم غال في مذهبه، غير محمود في حديثه" ^(٢)، قال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: "نصر بن مزاحم العطار كان زائغا عن الحق مائلا" ^(٣)، قال الخطيب البغدادي: "قلت: أراد بذلك غلوه في الرفض" ^(٤)، وقال صالح بن محمد: "نصر بن مزاحم روى عن الضعفاء أحاديث مناكير" ^(٥). وقال العقيلي: "شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير" ^(٦)، وقال أبو خيثمة: "كان كذابا" ^(٧)، وقال أبو حاتم: "واهي الحديث، متروك" ^(٨). وقال العجلي: "كان رافضيا غالبا ... ليس بثقة ولا مأمون" ^(٩). وذكر له ابن عدي أحاديث وقال: "هذه وغيرهما من أحاديث غالبها غير محفوظ" ^(١٠). وقال عنه ابن حجر والذهبي: "رافضي جلد، تركوه" ^(١١). وقال ياقوت الحموي: "نصر بن مزاحم أبو الفضل المنقري الكوفي: كان عارفا بالتاريخ والأخبار، وهو شيعي من الغلاة جلد في ذلك ... واتهمه جماعة من المحدثين بالكذب، وضعفه آخرون" ^(١٢).

٣-إن وجود هذا الخبر في بعض كتب أهل السنة لا يجعله حجة عليهم وذلك لأسباب:
أولها: إن هذا الخبر لم يرد في أمهات كتب أهل السنة المسندة المعتمدة كالصحيحين والسنن الأربعة، ونحو ذلك من الكتب المشهورة.
ثانيها: هذا الخبر ورد في كتب التاريخ التي تجمع الأخبار غثها وسمينها، ومن المعلوم أن رواة الأخبار يهتمون في الغالب بالجمع دون التمهيص.
ثالثها: إن هذا الخبر قد ورد مسندا في بعض الكتب التاريخية كتاريخ الطبري، ومن القواعد المعروفة عند أهل الحديث أن من أسند فقد أحال، ومن أسند فقد برئت ذمته.
رابعها: إن أهل السنة لم يسكتوا عن هذه الأخبار وإنما نقدوها وبيّنوا ضعفها ووهائها: قال الألويسي: "وما زعمته الشيعة من أنها عنها كانت هي التي تحرض الناس على قتل عثمان وتقول: اقتلوا نعثلا فقد فجر كذب لا أصل له وهو من مفتريات ابن قتيبة وابن أعثم الكوفي والسمساطي وكانوا مشهورين بالكذب والافتراء" ^(١٣)

(١) -الضعفاء والمتروكون ٣ / ١٣٤.

(٢) -تاريخ بغداد ١٥ / ٣٨٢.

(٣) -أحوال الرجال ص (١٣٢).

(٤) -تاريخ بغداد ١٣ / ٢٨٤.

(٥) -تاريخ بغداد ١٣ / ٢٨٤.

(٦) -الضعفاء ٤ / ٣٠٠.

(٧) -الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٣ / ١٦٠.

(٨) -الجرح والتعديل ٨ / ٤٦٨.

(٩) -لسان الميزان ٦ / ١٥٧.

(١٠) -الكامل في ضعفاء الرجال ٨ / ٢٨٦.

(١١) -ينظر: ميزان الاعتدال ٤ / ٢٥٣، ٢٥٤، ولسان الميزان ٦ / ١٥٧.

(١٢) -معجم الأدباء ٦ / ٢٧٥٠.

(١٣) -روح المعاني ١١ / ١٩٢.

خامسها: أن الأئمة وأهل الصنعة الحديثية متفقون على أن صاحب البدعة إذا روى حديثاً يوافق بدعته، فإنه لا يقبل، فهذا الراوي نصر بن مزاحم، رافضي غال، روى هذه الرواية المكذوبة، التي تؤيد مذهبه الباطل، فهي مردودة عليه.

ثانياً: أن ما جاء في مثل هذه الروايات بعيد كل البعد أن يصدر من أم المؤمنين عائشة في حق الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وذلك للآتي:

أولاً: كان موقف عائشة شديداً ضد الذين قتلوا عثمان وكانت تطالب بالقصاص من قتلته، وقد روت لنا كتب التاريخ ذلك، فلما أخبرت بمقتل عثمان رضي الله عنه قالت: «أيها الناس، إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس، ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه، وقد استعمل أمثالهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم، فتابعهم ونزع لهم عنها. فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام، والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم! ووالله، لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء، أي يغسل»^(١).

ثانياً: أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد روت عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل عن عثمان رضي الله عنه، وهي معروفة مشهورة، ومنها: ما رواه عائشة وعثمان رضي الله عنهما: «أن أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراشه، لابس مرط عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك، ففضى إليه حاجته، ثم انصرف، ثم استأذنت عليه فجلس، وقال لعائشة: "اجمعي عليك ثيابك" ففضيت إليه حاجتي، ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فرغت لأبي بكر، وعمر، كما فرغت لعثمان؟ قال رسول الله: "إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت، إن أذنت له على تلك الحال، أن لا يبلغ إلي في حاجته"».

ونكتفي بهذا القدر، وإلا فالأحاديث التي روتها عائشة في فضائل عثمان رضي الله عنهما كثيرة، ولكن أردنا فقط التمثيل على ما ذكرناه من رواية عائشة لفضائل عثمان رضي الله عنه.

ونقول: إن المنقول عن عائشة يكذب ذلك ويبين أنها أنكرت قتله وذمت من قتله^(٢)، ودعت على أخيها محمد وغيره^(٣) لمشاركتهم في ذلك، وعلى سبيل الفرض لو أن واحداً من الصحابة عائشة أو غيرها قال في ذلك كلمة على وجه الغضب لإنكاره بعض ما ينكر، فليس قوله حجة ولا يقدر في إيمان القائل ولا المقول له، بل قد يكون كلاهما ولياً لله تعالى من أهل الجنة، ويظن أحدهما جواز قتل الآخر بل يظن كفره وهو مخطئ في هذا الظن كما ثبت في الصحيحين عن علي وغيره في قصة حاطب بن أبي بلتعة وكان من أهل بدر

(١) -رواه سيف بن عمر في الفتنة ووقعة الجمل ص (١١٢)، والطبري في تاريخه ٤/ ٤٤٨، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥/ ٧٨، وابن الأثير في الكامل ٢/ ٥٧٠، وابن خلدون في تاريخه ٢/ ٦٠٧، وينظر: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص (٢٨١).

(٢) -انظر ما جاء في إنكارها قتل عثمان. تاريخ خليفة بن خياط ص/ ١٧٥-١٧٦.

(٣) -انظر المصنف لابن أبي شيبة ٢٧٧/١٥، تاريخ الطبري ٤/ ٥١٣.

والحديبية أن غلامه قال: يا رسول الله والله ليدخلن حاطب النار، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: كذبت إنه شهد بدرًا والحديبية" (١).

وفي حديث علي أن حاطبًا كتب إلى المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله لما أراد غزوة الفتح فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال لعلي والزبير: "أذهبا حتى تأتيا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب" فلما أتيا بالكتاب قال: "ما هذا يا حاطب"، فقال: والله يا رسول الله ما فعلت هذا ارتدادًا ولا رضى بالكفر ولكن كنت امرأً ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم بمكة قرابات يحمون بها أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: "إنه شهد بدرًا وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" وأنزل الله تعالى فيه أول سورة الممتحنة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾ (٢) الآيات وهذه القصة مما اتفق أهل العلم على صحتها، وهي متواترة عندهم معروفة عند علماء التفسير وعلماء المغازي والسير والتواريخ وعلماء الفقه وغير هؤلاء، وكان رضي الله عنه يحدث بهذا الحديث في خلافته بعد الفتنة، وروى ذلك عنه كاتبه عبد الله بن أبي رافع ليبين لهم أن السابقين مغفور لهم ولو جرى منهم ما جرى، وعثمان وطلحة والزبير أفضل باتفاق المسلمين من حاطب بن أبي بلتعة، وكان حاطب مسيئًا إلى ممالكه وكان ذنبه في مكاتبتة للمشركين وإعانتهم على النبي وأصحابه أعظم من الذنوب التي تضاف إلى هؤلاء ومع هذا فالنبي نهي عن قتله وكذب من قال إنه يدخل النار لأنه شهد بدرًا والحديبية وأخبر بمغفرة الله لأهل بدر، ومع هذا فقال عمر رضي الله عنه: "دعني أضرب عنق هذا المنافق" فسماه منافقًا واستحل قتله، ولم يقدح ذلك في إيمان واحد منهما ولا في كونه من أهل الجنة" (٣).

وكلمة "نعتل" لم تعرف إلا من ألسنة قتلة عثمان وأول من تفوه بهذه الكلمة منهم جبلة بن عمرو الساعدي وقد جاء بجامعة (٤) في يده وقال مجاهرًا بوقاحتته مخاطبًا عثمان: "يا نعتلا والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوب جرباء ولأخرجنك إلى حرة النار" (٥)، ولما تفوه بهذه الكلمة الحبيثة يوم الدار كانت عائشة رضي الله عنها حينذاك في مكة تلي رها عز وجل وتوجه قلبها إليه ولم تطرق هذه اللفظة سمعها إلا بعد رجوعها من مكة رضي الله عنها وأرضاها.

(١) - الحديث في صحيح مسلم ١٩٤٢/٤ من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) - انظر الحديث في صحيح البخاري ٢٠٠/٣، صحيح مسلم ١٩٤١/٤-١٩٤٢.

(٣) - منهاج السنة ١٨٨/٢-١٨٩.

(٤) - الجامعة: الغل يوضع في العنق.

(٥) - تاريخ الأمم والملوك ٣٦٥/٤.

سابعا: إن عائشة منعت من دفن الحسن بن علي رضي الله عنهم عند جده المصطفى.

يرى الرافضة أن عائشة منعت من دفن الحسن بن علي عند جده النبي صلى الله عليه وسلم؛ لبغضها للحسن، وعداوتها لآل البيت. فروى الكليني في 'الكافي': بسنده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: "لما حضر الحسن بن علي عليه السلام الوفاة قال للحسين: يا أخي، إني أوصيك بوصية فاحفظها: إذا أنا مت، فهيئي، ثم وجهني إلى رسول الله؛ لأحدث به عهدا، ثم اصرفني إلى أمي عليها السلام، ثم رديني فادفني بالبقيع واعلم أنه سيصيني من عائشة ما يعلم الله والناس صنعها وعداوتها لله ولرسوله، وعداوتها لنا أهل البيت، فلما قبض الحسن عليه السلام ووضع على السرير، ثم انطلقوا به إلى مصلى رسول الله الذي كان يصلي فيه على الجنائز، فصلى عليه الحسين عليه السلام وحمل وأدخل إلى المسجد، فلما أوقف على قبر رسول الله، ذهب ذو العوينين إلى عائشة، فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنه مع النبي، فخرجت مبادرة على بغل بسرج، فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجا، فقالت: نخو ابنكم عن بيتي؛ فإنه لا يدفن في بيتي ويهتك على رسول الله حجاب. فقال لها الحسين عليه السلام: قديما هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله؛ أدخلت عليه بيته من لا يجب قربه، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة" (١).

وهذه الرواية من أكمل وأشهر الروايات التي أوردها الرافضة في كتبهم لتأكيد هذه الفرية، وثمة روايات أخرى ضربنا عنها صفحا. والجواب عن هذه الفرية كالتالي:

أولا: هذه الرواية مكذوبة موضوعة باطلة لا تصح بحال: ويتضح هذا من وجوه:
أ- إسناده هذه الرواية باطل لا يثبت: فهذه الرواية قد ضعفها علماء الشيعة أنفسهم في كتبهم المعروفة المشهورة:

قال المازندراني (٢) شارحا لرواية الكليني في 'الكافي': "قوله: (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح)، قال الكليني وعدة من أصحابنا: بكر بن صالح مشترك بين مجهول يروي عن أبي جعفر عليه السلام وبين ضعيف وهو بكر بن صالح الرازي يروي عن الكاظم عليه السلام فإن كان المراد به الأول فالسند الأول مسند مع احتمال الإرسال؛ لأن رواية إبراهيم ابن هاشم عن يروي عن الباقر بلا واسطة بعيد جدا، وإن كان المراد به الثاني كما هو الظاهر لأن إبراهيم بن هاشم يروي عنه فالسند مرسل أو مربوط بالسند الثاني مع احتمال أن يكون هو الأول واحدا كما صرح به بعض أصحاب الرجال، فتأمل!" (٣).

(١) - الخبر في كتب الشيعة الآتية: الكافي للكليني ١/ ٣٠٠، و ١/ ٣٠٢، والوافي للفيض الكاشاني ٢/ ٣٤٠، وبحار الأنوار للمجلسي ٤٤/ ١٤٢-١٤٤، و ١٧/ ٣١، وشرح أصول الكافي للمازندراني ص (١٥٨)، ومدينة المعاجز لهاشم البحراني ٣/ ٣٤٠-٣٤١، والأنوار البهية لعباس القمي ص (٩٢)، وجامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٣/ ٣٩٨، ٣٩٧، ومواقف الشيعة للميانحي ١/ ٣٧٥، ٣٧٤، وتفسير نور الثقلين للحويزي ٤/ ٢٩٦، وإعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي ص (٤١٤)، وجواهر التاريخ لعلي الكوراني العاملي ص (٢٣٨-٢٤٠).

(٢) - هو: حسام الدين محمد صالح بن أحمد المازندراني، الشيعي الرافضي، من مصنفاته: (شرح أصول الكافي) و (شرح قصيدة البردة)، مات سنة (١٠٨٦). ينظر في ترجمته: معجم رجال الحديث الخوئي ١٩/ ٨٢.

(٣) - شرح أصول الكافي ٦/ ١٥٨.

ب-التناقضات الواردة في هذه الرواية مقارنة بالروايات الأخرى مما يدل على وهائها جميعها: "أما الروايات التي أوردها الشيعة: فإنها كلها على اختلافها لم يروها إلا الشيعة. ورغم تضافرهم على روايتها، إلا أنه حصل فيها تناقض شديد يدل على كونها مكذوبة من أصلها" (١).

ج -الروايات تبطل من خلال نقد متونها ونقدها من الداخل: "من عادة الشيعة حين اختراعهم للأكاذيب، واختلاقهم للإفك أن يجعلوا مع الكلمات الكاذبة الكثيرة كلمة واحدة صادقة، كي يوهوا السذج بأن ما اخترعوه ثابت، وما اختلقوه صادق، وتراهم أيضا حينما يريدون توجيه أحد المطاعن إلى شخص يعضونه يعمدون إلى رواية ثابتة ذكر فيها هذا الشخص بخير، فيقبلونها عليه، ويذكرونه فيها بشراً، وهذه طريقة مردة الجن من مسترقي السمع، وأوليائهم من شياطين الإنس، يجعلون مع الكلمة الصادقة الوحيدة مائة كذبة، حتى يقول الساذج عنهم: قد صدقوا في تلك الكلمة.

فقصة موت الحسن واستئذان أخيه الحسين من عائشة بأن، يدفن عند جده ثابتة في كتب أهل السنة، أما ممانعة الصديقة، وركوبها على بغل، وخروجها إلى الناس، وغير ذلك من الترهات: فكله إفك غير مقبول، ياباه ويرفضه ذوو العقول" (٢).

ومما يضاف إلى نقد المتن أن هذه الرواية تحتوي على زيادة منكرة، تخالف قول الشيعة والسنة: ف"ادعائهم أن عائشة هي أول من ركب السروج، دعوة كاذبة، ورغم كذبها من أصلها، فإنه يوجد ما ينقضها في كتب القوم أنفسهم فقد روي أن فاطمة ركبت بغلة في يوم عرسها (٣)، وأن علياً أركبها على حمار ودار بها على بيوت المهاجرين والأنصار يدعوهم إلى نصرته لما بويح لأبي بكر بالخلافة (٤) على حد زعم الشيعة، فكيف يقول الشيعة بعد هذا: إن عائشة رضي الله عنها هي أول من ركب بغلا، أو أول من ركب السروج؟! " (٥).

ثانياً: إن بعض عقلاء الشيعة أكدوا سماح عائشة للحسن بالدفن وجعلوا ذلك من مناقبها: فروى أبو الفرج الأصبهاني بسنده: "إن الحسن بن علي أرسل إلى عائشة أن تأذن له أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: نعم، ما كان بقي إلا موضع قبر واحد، فلما سمعت بذلك بنو أمية اشتملوا بالسلاح هم وبنو هاشم للقتال، وقالت بنو أمية: والله لا يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم أبداً، فبلغ ذلك الحسن فأرسل إلى أهله أما إذا كان هذا فلا حاجة لي فيه ادفنوني إلى جانب أمي فاطمة، فدفن إلى جنب أمه فاطمة عليها السلام" (٦).

(١) -ينظر: كتاب الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة ص (١٤٣، ١٤٤).

(٢) -ينظر: كتاب الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة ص (١٤١).

(٣) -ينظر: كشف الغمة للإربلي ١ / ٣٦٨.

(٤) -ينظر: السقيفة لسليم بن قيس ص (٨١) والاحتجاج للطبرسي ص (٨١ - ٨٢)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ / ١٣، ومنار الهدى لعلي البحري ص (٢٠٠)، والبرهان للبحري ٣ / ٤٢، وإلزام الناصب للحائري ٢ / ٢٦٩، وسيرة الأئمة الاثني عشر لهاشم معروف الحسيني ١ / ١٢٤ - ١٢٦.

(٥) -ينظر: كتاب الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة ص (١٤٤).

(٦) -مقاتل الطالبين ١ / ٢٠.

قال أبو الفرج الأصبهاني: "قال يحيى بن الحسن: وسمعت علي بن طاهر بن زيد يقول: لما أرادوا دفنه ركبت عائشة بغلا، واستنفرت بني أمية مروان بن الحكم، ومن كان هناك منهم ومن حشمهم، وهو القائل: "فيوما على بغل ويوما على جمل" (١).

قال ابن أبي الحديد-مناقشا لهذه الرواية-: "قلت: وليس في رواية يحيى بن الحسن ما يؤخذ على عائشة لأنه لم يرو أنها استنفرت الناس لما ركب البغل وإنما المستنفرون هم بنو أمية ويجوز أن تكون عائشة ركب لتسكين الفتنة لاسيما وقد روي عنها أنه لما طلب منها الدفن قالت نعم فهذه الحال والقصة منقبة من مناقب عائشة" (٢).

ثالثا: أن المنع من جهة عائشة لو ثبت فهو محمول على المنع بعد السماح وذلك بعد أن رأت رفض بني أمية واستعدادهم لقتال بني هاشم، فمنعت من باب سد الفتنة وخوف سفك الدماء لا أنها منعت ابتداء. وهذا الكلام تجسده الرواية الآتية: فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: "قال الحسن حين حضرته الوفاة: أدفنوني عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شر، فإن خفتم الشر فادفنوني عند أمي، وتوفي فلما أرادوا دفنه أبي ذلك مروان وقال: لا، يدفن عثمان في حش كوكب، ويدفن الحسن هاهنا. فاجتمع بنو هاشم وبنو أمية، فأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم، وجاءوا بالسلاح، فقال أبو هريرة لمروان: يا مروان أتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع وقد سمعت رسول الله يقول له ولأخيه حسين: هما سيدا شباب أهل الجنة ... فلما رأت عائشة السلاح والرجال، وخافت أن يعظم الشر بينهم، وتسفك الدماء قالت: البيت بيتي؛ ولا أذن أن يدفن فيه أحد، وقال محمد بن علي لأخيه: يا أخي إنه لو أوصى أن يدفن لدفناه أو نموت قبل ذلك، ولكنه قد استثنى فقال: إلا أن تخافوا الشر، فأبي شر أشد مما ترى؟ فدفن بالبقيع إلى جنب أمه" (٣).

ويؤيد ذلك أن الصحابة مع أنهم في أول الأمر كانوا مع موقف عائشة في السماح للحسن بالدفن إلا أنهم لما رأوا الفتنة أمروا الحسين أن ينفذ وصية أخيه في حقن الدماء ودفنه بالبقيع، وكان هذا موقف أبي هريرة رضي الله عنه (٤)، عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٥).

رابعا: أن هذه الأخبار باطلة متنا؛ لأنها تعارض روايات صحيحة صريحة توضح سماح عائشة وترحيبها بدفن الحسن مع جده صلى الله عليه وسلم، وإيثارها له، بل قالت لأخيه الحسين لما استأذنها في دفن الحسن رضي الله عنه: "نعم، بقي موضع قبر واحد، قد كنت أحب أن أدفن فيه، وأنا أؤثرك به" (٦).

(١) -مقاتل الطالبين ١/ ٢٠، ٢١.

(٢) -شرح نهج البلاغة ١٦/ ٥١.

(٣) -أنساب الأشراف ١/ ٣٨٩.

(٤) -تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٨.

(٥) -تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٨.

(٦) -تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٩، ٢٩٠، وينظر: تاريخ المدينة لابن شبة ١/ ١١١، فقد رواه بإسناد.

ثامناً: إن عائشة رضي الله عنها كانت تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

يزعم الرافضة أن ما روته أم المؤمنين عائشة من الأحاديث عن النبي لا يقبل؛ لأن روايتها فاسدة، ولأنها كانت تكذب على رسول الله، روى الصدوق: سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: "ثلاثة كانوا يكذبون على رسول الله أبو هريرة، وأنس بن مالك، وامرأة^(١)، والمرأة التي ذكرها الرافضة في خبرهم هذا، وادعوا أنها كانت تكذب على رسول الله يعنون بها أمنا عائشة ويؤكد ذلك ما ذكر في كتبهم: فجاء في 'بحار الأنوار'، بعد ذكر الخبر المكذوب السابق: يعني عائشة^(٢). وفسرها صاحب "بحار الأنوار" أيضاً في موضع آخر: فقال: "وامرأة (عائشة)"^(٣)، فوضع كلمة "عائشة" بين قوسين. وأورد التستري إحدى روايات عائشة المخرجة في "الصحيحين"، وعلق عليها بقوله: "وأقول: رواية عائشة خلافة أبيها فاسدة"^(٤).

وقال المجلسي عن عائشة رضي الله عنها في معرض كلام له على بعض مروياتها: "وهي امرأة لم تثبت لها العصمة بالاتفاق، وتوثيقها محل الخلاف بيننا وبين المخالفين، وسيأتي في أخبارنا من ذمها والقدر فيها، وأنها كانت ممن يكذب على رسول الله ما فيه كفاية للمستبصر"^(٥)، وقال ياسر الحبيب الرافضي المعاصر وهو يتحدث عن مساوئ عائشة على زعمه: "أذكر كذبها على رسول الله بآلاف الأحاديث، التي شوهت سمعة رسول الله، وفتحت باب المطاعن على شخصية النبي الأقدس؟^(٦)^(٧)، وجواباً على هذه الفرية أقول مستعينا بالله تعالى: إن الرد عليها من وجوه:

الأول: هذا الخبر وما شاكله من الأخبار الباطلة والمكذوبة على أم المؤمنين عائشة، فهذا الحديث مردود لا يحتاج به عند أهل السنة وعند الشيعة: فبالنسبة لأهل السنة: فهم لا يعتدون بروايات الرافضة، ولا بأسانيدهم، لأن غالب أسانيد الرافضة أسانيد ملفقة مختلقة، وإن سلمت من التلقيح فرجالها إما كذابون أو متروكون أو مجاهيل، هذا من ناحية الإسناد.

ومن ناحية المتن: فهو متن يعارض المتواتر الجمع عليه بين المسلمين-إلا من لا يعبأ بخلافه-من توثيق عائشة، لأنها صحابية، ومن زوجات النبي وأمّهات المؤمنين ولذلك فهي عند أهل السنة، بل وعند جميع المسلمين متجاوزة للقنطرة، وبالتالي لا تحتاج إلى توثيق من أحد من الناس؛ لأن الله زكاها ورسوله أيضاً زكاها، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

وأما بالنسبة لوجهة نظر الشيعة: فهذا الحديث ضعيف مردود أيضاً؛ لأن هذا الإسناد فيه: جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، وهو مجهول عند الرافضة. فجعفر هذا أهمل ذكره علماء الجرح والتعديل عند الشيعة،

(١) -الحصالح للصدوق ص (١٩٠)، وينظر أيضاً من كتب الرافضة: الإيضاح للفضل بن شاذان الأزدي ص (٥٤١)، وبحار الأنوار ٢/ ٢١٧.

(٢) -بحار الأنوار ٢/ ٢١٧.

(٣) -بحار الأنوار ١٠٨/ ٣١.

(٤) -إحقيق الحق ص (٣٦٠).

(٥) -بحار الأنوار ٢٨/ ٦٠.

(٦) -موقع اليوتيوب www.youtube.com: شريط احتفال ياسر الحبيب بدخول عائشة النار دقيقة (٤)، ثانية (١٩).

(٧) -وينظر أيضاً: الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة ص (١٠١٩٩)، فقد نقل تقرير هذه الشبهة عن رافضة آخرين.

فلم يذكره لا بجرح ولا توثيق؛ ولذلك فهو مجهول كما ذكرنا، وقد قال فيه علي النمازي الشاهرودي الشيعي: "لم يذكره" ^(١).

الثاني: إيهام اسم المرأة في هذه الرواية يدل على بطلان هذه الفرية من وجهين: الوجه الأول: الرواية لم تنص على اسم عائشة، وإنما ذكرت امرأة نكرة، فلفظ رواية الرافضة لخيرهم كما مر معنا كالتالي: "ثلاثة كانوا يكذبون على رسول الله أبو هريرة، وأنس بن مالك، وامرأة"، فنجد أن الراوي قد أبهم اسم المرأة، ولم يصرح به. الوجه الثاني: إذا كان المقصود بالمرأة عائشة، فلماذا أخفى اسمها، ولم يصرح به؟؛ لأنه قد يقول لنا قائل من الرافضة: المقصود بالمرأة المبهمة عائشة، وقد فسرهما بذلك صاحب "بحار الأنوار"، وغيره.

فنقول له: إذا كان المقصود بالمرأة عائشة، فلماذا لم يصرح باسمها صراحة؟ فلا يستطيع أن يجيب، فنقول له حينئذ: هذا أكبر دليل على شك المفتري في فريته، وعجزه عن تقريرها، وضعفه أمام جمهور المسلمين، ولو كان يعتقد أن ذلك حقا لصرح به، فإن قال الرافضي: أخفى الراوي اسم عائشة تقية، كما قال: الفضل بن شاذان الأزدي: "أقول: المراد بالمرأة ظاهر، ولم يسمها تقية" ^(٢).

فنقول له: حسنا، ولكن لماذا عمل بالتقية في اسم عائشة، ولم يعمل به في اسمي أبي هريرة، وأنس بن مالك؟ فلا يستطيع الجواب، فإن سكت الرافضي بعد ذلك علمنا قدرة الله في تبرئة عائشة. وإن قال: عندي جواب: وهو أنه أخفى اسم عائشة دون أبي هريرة وأنس بن مالك لأنها زوجة النبي وأحب زوجاته إليه، وبنت أبي بكر، قلنا له: الله أكبر، هذا ما كنا نبغ، فهذا أكبر دليل على كذبكم، وبراءتها.

الثالث: أم سلمة تصف عائشة بأنها صادقة باعتراف الشيعة أنفسهم: قال المجلسي ناقلا عن أبي نعيم: «وبإسناده عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على عائشة فسألتها عن هذه الآية فقالت: أئت أم سلمة، ثم أتيت فأخبرتها بقول عائشة، فقال: صدقت، في بيتي نزلت هذه الآية على رسول الله، فقال: من يدعو لي عليا وفاطمة وابنيهما؟» الحديث ^(٣) فإذا كانت هذه أم المؤمنين أم سلمة، وهي من المعدلين عند الشيعة، بل ومن آل البيت عندهم، قد حكمت على أختها عائشة بالعدالة والثقة والصدق، في الرواية التي نقلها الشيعة، واحتجوا بها، فلماذا يستنكفون عن تعديلها؟

ومما افتروا عليها رضي الله عنها أنها وضعت حديثا فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سحره لبید بن الأعصم اليهودي: وقالوا كيف يمكن أن يسحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، وهو معصوم؟
الجواب:

١ - الحديث رواه البخاري، وقد جاء الحديث من رواية عدة من الصحابة كابن عباس وزيد ابن أرقم فلم تنفرد عائشة رضي الله عنها بروايته.

(١) - مستدركات علم رجال الحديث لعلي الشاهرودي ص (٢٩٠).

(٢) - الإيضاح للفضل بن شاذان الأزدي ص (٥٤١).

(٣) - بحار الأنوار ٣٥ / ٢٢٨، ومرة العقول في شرح أخبار آل الرسول له أيضا ٣ / ٢٤٠.

وقد ذكر القاضي عياض أن بعض المبتدعة طعنوا في حديث عائشة رضي الله عنها وقد جمع الردود على هؤلاء الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في كتاب (ردود اهل العلم على الطاعنين في حديث السحر).

٢ - قد ورد في القرآن الكريم أن موسى عليه السلام خيل إليه أن عصي وحبال السحرة انقلبت الى حيات تسعى فهل يعد هذا طعنا في موسى عليه السلام؟

قال تعالى: {قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى (٦٥) قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦)} (طه: ٦٥ - ٦٦).

٣ - السحر الذي أصابه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ليمس عقله الشريف ولا يؤثر على تبليغ الرسالة بل كان عارضا كعوارض الأمراض المختلفة التي تصيب الصالح والطالح والكبير والصغير، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مشرّع لذا تحدث هذه الحوادث معه لبيان جواز حدوثها مع غيره صلى الله عليه وآله وسلم مهما بلغ قدرا عاليا في العبادة، وهو أمر جائز عقلا ونقلا.

فهو كحديث نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة، وهو الذي ينزل عليه الوحي، وهو أخشع الخلق في الصلاة صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لتعليم الأمة الإسلامية من خلال هذا الحدث.

٤ - وقد ورد في كتب الشيعة نفس القصة التي رواها الإمام البخاري عن عائشة حول سحر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورد ذلك عن طريق أئمتهم!!!^(١).

(١) - انظر: تفسير القمي (٢: ٤٤٩)، (الأصفي في تفسير القرآن ج ٢) للفيض الكاشاني، (الميزان في تفسير القرآن مجمع البيان سورة الفلق) (بحار الأنوار للمجلسي).

تاسعاً: إن عائشة أغضبت فاطمة حتى أبكتها

يدعي الرافضة أن عائشة أغضبت فاطمة رضي الله عنهما؛ وذلك لبغض عائشة لها ولآل البيت. روى الصدوق: "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "دخل رسول الله منزله، فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها، وهي تقول: والله يا بنت خديجة، ما ترين إلا أن لأملك علينا فضلاً، وأي فضل كان لها علينا ما هي إلا كبعضنا، فسمعت مقالتها فاطمة، فلما رأت فاطمة رسول الله بكت، فقال لها: ما يبكيك يا بنت محمد؟ قالت: ذكرت أُمِّي فتنقصتها، فبكيته، فغضب رسول الله، ثم قال: مه يا حميراء، فإن الله بارك في الولود الودود، وإن خديجة ولدت مني طاهراً، وهو عبد الله، وهو المطهر، وولدت مني القاسم، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم، وزينب، وأنت ممن أعقم الله رحمه، فلم تلدي شيئاً" ^(١)، وقال ياسر الحبيب: "أذكر إيذاءها لسيدة نساء العالمين صلوات الله عليها حتى أبكتها؟" ^(٢).

أولاً: هذه الرواية مكذوبة ومن تلبيسات الرافضة، وهي مردودة عند أهل السنة وعند الشيعة: أما عند أهل السنة فالأمر واضح: لأنهم لا يعتدون بمرويات الرافضة، وقد تقدم ذلك مراراً فأغنى عن إعادته هاهنا. وأما عند الشيعة: فإن الإسناد ضعيف فيه مجهولان: الأول: عبد الله بن عصمة. قال علي النمازي الشاهرودي: "عبد الله بن عصمة: لم يذكره" ^(٣). والثاني: أبو علي الواسطي: قال محمد الجواهري: "أبو علي الواسطي: مجهول- روى روايتين في 'الكافي' " ^(٤). وقال عنه غلام رضا عرفانيان: "أبو علي الواسطي: لم يذكر بشيء" ^(٥).

ثانياً: أن ما يوجد من عائشة رضي الله عنها تجاه فاطمة رضي الله عنها هو المحبة والثناء الحسن، فكيف تكره أم المؤمنين فاطمة عليها السلام وهي التي روت فضائلها، وروت حديث الكساء في فضل زوجها وولديها، فهناك جملة من الأحاديث التي روتها عائشة في فضل فاطمة رضي الله عنها والثناء عليها، وروت لها حديث أنها سيدة نساء الأمة: قالت عائشة رضي الله عنها: كنّ أزواج النبي عنده لم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطي مشيتها من مشية رسول الله شيئاً فلما رآها رحب بها فقال: «مرحبا بابنتي».

ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها فبكت بكاء شديداً فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت فقلت لها خصك رسول الله من بين نسائه بالسرار ثم أنت تبكين فلما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألتها: «ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، قالت: «ما كنت أفشي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سره».

قالت: فلما توفي رسول الله قلت: «عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، فقالت: «أما الآن فنعم، أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني «أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين وإنه عارضه الآن مرتين وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقى

(١) -الخصال للصدوق ص (٤٠٤ - ٤٠٥)، وينظر: أيضاً: بحار الأنوار للمجلسي (٣ / ١٦) ...

(٢) -موقع اليوتيوب www.youtube.com: شريط احتفال ياسر الحبيب بدخول عائشة النار، دقيقة (٢)، ثانية (٢٣).

(٣) -مستدركات علم رجال الحديث لعلي النمازي الشاهرودي ص (٥٥).

(٤) -لمفيد من معجم رجال الحديث لمحمد الجواهري ص (٧١٤).

(٥) -مشايخ الثقات لغلام رضا عرفانيان ص (٩٢)

الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك»، قالت: «فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: «يا فاطمة أما ترضى أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة». قالت فضحكت ضحكي الذي رأيت»^(١).

ومن الأحاديث التي روتها في فضائها كذلك:

١ - ما جاء عن عمرو بن دينار قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها»، وفي رواية: «ما رأيت أحدا قط أصدق من فاطمة غير أبيها»^(١).

٢ - ما روته عائشة بنت طلحة، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «ما رأيت أحدا أشبه سمًا ودلا وهديا برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٢).

٣ - ما رواه عبد الله بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «ما رأيت أحدا كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها»^(٣).

وهذه الأحاديث وغيرها تبين مدى محبة عائشة لفاطمة فكيف يقال: إنها تبغضها؟! وقد كتب جعفر الهادي الشيعي كتابا بعنوان: 'السيدة فاطمة الزهراء على لسان عائشة زوجة رسول الله' جمع فيه أربعين رواية في فضل فاطمة روتها عائشة فكيف روت عائشة هذه الروايات في فضائل فاطمة وهي تبغضها؟ وكيف روت هذه الروايات الكثيرة في فضائلها حتى حدا برجل شيعي أن يكتب مصنفًا مستقلًا في مناقب فاطمة التي روتها عائشة فقط؟ أقول: إن الشر إذا تمحض فسوف يحمل عواقب فئاته في نفسه، وكما يقال: من فمك أدينك.

العلاقة الحسنة بين أم المؤمنين عائشة وآل البيت

١- العلاقة الحسنة بين عائشة وعلي رضي الله عنهما

كانت علاقة عائشة بعلي قبل وفاة النبي، علاقة حميمة، ثم بعد وفاة النبي حدثت فتنة الجمل، واختلف كل من عائشة وعلي رضي الله عنهما في الاجتهاد، وحصل ما حصل، ولكن بالرغم من ذلك، لم تكن العلاقة بينهما علاقة عدا و جفاء، بل إن عائشة لما أرادت الخروج من البصرة - بعد انتهاء فتنة الجمل -، بعث إليها علي بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم، وقالت: «يا بني لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبي لمن الأخيار»، فقال علي: «صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجتي نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة»، ثم سار علي معها مودعا ومشيعا أميالا^(٢).

(١) - الحديث متفق عليه رواه البخاري برقم (٣٦٢٣) ورقم (٦٢٨٥) ورواه مسلم برقم (٢٤٥٠)

(٢) - ساق القصة سيف بن عمر في الفتنة ووقعة الجمل ص (١٨٣)، والطبري في تاريخه ٤ / ٥٤٤، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥ / ٩٤، وابن الأثير في الكامل ٢ / ٦١٤، وابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٢٧٤.

فهذا الموقف من أصدق المواقف التي تبين عمق العلاقة بين علي وعائشة، ولو كانت عائشة تحمل شيئاً في نفسها، لما قالت تلك المقالة، وأيضاً لو كان علي يحمل على عائشة شيئاً لما أقرها على قولها، ولا قال هذه الكلمات التي تكتب بماء الذهب، ولا وقف معها هذا الموقف الرائع.

والأعجب من ذلك أن علياً كان يعاقب من يتكلم بكلام فيه نيل من أم المؤمنين عائشة بالجلد والضرب، فقد ذكر ابن الأثير: "أن رجلين وقفوا على باب الدار الذي نزلت فيه أم المؤمنين بالبصرة فقال أحدهما: جزيت عنا أمانة عقوقاً، وقال الآخر: يا أمانة توبي فقد أخطأت- فبلغ ذلك علياً- فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة وهما عجلان وسعد ابنا عبد الله فضربهما مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما" (١).

ويدل أيضاً على العلاقة الحسنة بين علي وعائشة ما روي عنها أنها كانت طلبت من الناس بعد مقتل عثمان أن يلزموا علياً ويبايعوه (٢)، وقد اعترف بعض الشيعة بهذا الأمر (٣)، يقول عمر بن شبة: "أن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة، ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة، وإنما أنكرت هي ومن معها على علي منعاً من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم" (٤)، مع أن علياً لم يمنع من قتلة عثمان، وإنما أخر ذلك، حتى تتضح الصورة وتستقيم الأمور.

ومما يدل أيضاً على العلاقة الطيبة بين عائشة وعلي أن عائشة كانت أحياناً تحيل السائل على علي ليجيبه، فعن شريح بن هانئ قال: «سألت عائشة، عن المسح على الخفين، فقالت: أئت علياً فإنه أعلم بذلك مني، فأتيت علياً فذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله»، وفي رواية: «عليك بابن أبي طالب، فسله، فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٥).

وقد سأل عائشة رضي الله عنها آخر، فقال: «في كم تصلي المرأة من الثياب؟ فقالت له: سل علياً، ثم ارجع إلي فأخبرني بالذي يقول لك، قال: فأتى علياً فسأله، فقال: "في الخمار والدرع السابغ"، فرجع إلى عائشة فأخبرها، فقالت: "صدق"» (٦).

٢- العلاقة الحسنة بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما

إن علاقة عائشة وفاطمة هي علاقة ود وحب ووثام واحترام وتقدير، ولم يثبت في الأحاديث الصحيحة أن واحدة منهما قد حملت شيئاً من البغض أو الكراهية تجاه الأخرى، بل أجمع أصحاب السير ورواة الأحاديث على أن الصلة بين عائشة وفاطمة كانت على أحسن ألفه، وأكمل مودة، كأسمى ما يكون من العلاقات بين

(١) - الكامل في التاريخ ٢ / ٦١٤.

(٢) - ينظر: فتح الباري ١٣ / ٢٩ - ٤٨.

(٣) - ينظر: كتاب الحمل للمفيد، ص (٧٣)، والصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة ص (٢٣٦ - ٢٤٠).

(٤) - تاريخ المدينة ٤ / ١٢٣٣، وينظر: فتح الباري لابن حجر ١٣ / ٥٦.

(٥) - سبق تخريجه ص (٣١).

(٦) - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣ / ١٢٨، رقم (٥٠٢٩)، وابن أبي شيبه في شيبه ٢ / ٣٦، رقم (٦١٦٩)، والحديث صححه الألباني في تمام المنة ص (١٦١).

الأحباء، وقد ورد في أخبار التاريخ ما يؤكد ارتباط نسيج المحبة بينهما، وهناك آثار كثيرة تبين العلاقة الحسنة بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما، ومن ذلك:

ما رواه عمرو بن دينار قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها»، وفي رواية: «ما رأيت أحدا قط أصدق من فاطمة غير أبيها»^(١).

وأيضاً ما روت عائشة بنت طلحة عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: «ما رأيت أحدا أشبه سمناً ودلاً^(٢) وهدياً برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله»^(٣)، وهنا وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فاطمة بصفات حميدة تبين قدرها ومنزلتها حيث أنها تشبه النبي هيئة وطريقة وسمناً وخلقاً.

ووصفتها أيضاً بصدق اللهجة، فعن عبد الله بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي قالت: «ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها، إلا أن يكون الذي ولدها»^(٤).

وكانت فاطمة إذا جاءت إلى النبي في حاجة ولم تجده أوصت بذلك عائشة فعن علي بن أبي طالب: «أن فاطمة أتت النبي م تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحي، وبلغها أنه جاءه رقيق، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة ...» الحديث^(٥)، فهذا يدل على ثقة فاطمة بعائشة، ويدل أيضاً على اهتمام عائشة بتبليغ ما أوكلتها إليها فاطمة وأيضاً لما أرسل أمهات المؤمنين فاطمة إلى النبي تقول: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر، فكلمتها فقال: «يا بنية ألا تحبين ما أحب؟»، قالت: بلى، فرجعت إليهن، فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع، وفي هذا تصريح واضح من فاطمة بمحبتها لعائشة رضي الله عنها.

٣- العلاقة الحسنة بين عائشة وذرية علي وبقيّة آل البيت

كانت علاقة عائشة بذرية علي وبقيّة آل البيت، علاقة طيبة ملؤها البر والوفاء؛ بل روت عائشة الأحاديث التي تدل على فضلهم، ومن ذلك حديث الكساء، حيث قالت: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت

(١) - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ١٣٧، رقم (٢٧٢١)، وأبو يعلى في مسنده ٨/ ١٥٣، رقم (٤٧٠٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٤١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٠١: "رواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى، إلا أنها قالت: ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة. ورجلها رجال الصحيح".

(٢) - الدل: الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك. ينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ٤٨، والصحاح ٤/ ١٦٩٩، ولسان العرب ١١/ ٢٤٨، والمعجم الوسيط ١/ ٢٩٤.

(٣) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في القيام ٤/ ٣٥٥، رقم (٥٢١٧)، والترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة ك ٥/ ٧٠٠، رقم (٣٨٧٢)، والبخاري في الأدب المفرد ص (٥١٩)، رقم (٩٤٧)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، مناقب فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم ك ٧/ ٣٩٣، رقم (٨٣١١)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ٥/ ٣٥٨، رقم (٢٩٤٧)، وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٤٠٣، رقم (٦٩٥٣)، والحاكم في المستدرک ٣/ ١٦٧، رقم (٤٧٣٢)، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ١٦٢، رقم (١٣٥٧٨)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عائشة"، وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "بل صحيح"، والحديث صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص (٣٥٥).

(٤) - أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/ ١٧٥، رقم (٤٧٥٦)، وابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ١٨٩٦، وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقد عنعنه هنا ابن إسحاق ولم يصرح بالتحديث، وهو مدلس.

(٥) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب عمل المرأة في بيت زوجها ٧/ ٦٥، رقم (٥٣٦١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب التسييح أول النهار وعند النوم ٤/ ٢٠٩١، رقم (٢٧٢٧).

فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: " {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} (الأحزاب: ٣٢) »^(١).

"ولم تسجل لنا كتب الأحاديث واقعة صحيحة تدل على أن عائشة رضي الله عنها، تحمل شيئا من الكراهية أو البغض في قلبها تجاه أحد من آل البيت، بل أجمع أصحاب السير على أن الصلة بين عائشة رضي الله عنها وآل البيت كانت على أكمل ما ترضاه السجية الإنسانية"^(٢).

وقد نقلت لنا كتب الشيعة أن عددا من أئمتهم كانوا يسمون بناهم باسم عائشة، ومن هؤلاء: موسى الكاظم^(٣)، وعلي الهادي^(٤)، فلو كانت عائشة رضي الله عنها تبغض وتعادي آل البيت لما سموا بناهم باسمها. والشواهد على علاقة عائشة الحسنة بآل البيت كثيرة جدا، ماثلة في كتب الأحاديث والتاريخ، بل وكتب الشيعة أنفسهم، ولا يتسع الوقت لحصرها وجمعها. وقد ثبت باليقين وبداهة العقول حسن الود بين عائشة وبين علي وأبنائه، مع ما يعلم من ورع عائشة وخوفها من ربها تعالى، ومعرفتها للحقوق والواجبات، وإنزالها للناس منازلهم.

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ٤ / ١٨٨٣، رقم (٢٤٢٤).

(٢) - سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين للندوي ص (١٢٢) بتصرف.

(٣) - ينظر: الإرشاد ص (٣٠٢)، والفصول المهمة ص (٢٤٢)، وكشف الغمة ٣ / ٢٦.

(٤) - ينظر: الإرشاد للمفيد ٢ / ٣١٢.

عاشراً: زعموا "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: "إنك تقاتلين علياً وأنت ظالمة"^(١).

والرد على هذا الاختلاق: أنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناد معروف وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج للقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي^(٢) رضي الله عنهم أجمعين، لم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم فإنه لما ترأس علي وطلحة والزبير وقصدوا الاتفاق على المصلحة وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة وكان علي رضي الله عنه غير راض بقتل عثمان ولا معيناً عليه كما كان يحلف فيقول "والله ما قتلت ولا مألأت على قتله"^(٣) وهو الصادق في يمينه فخشي القتلة أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير فظن طلحة والزبير أن علياً حمل عليهم فحملوا دفعاً عن أنفسهم، فظن علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه فوقع الفتنة بغير اختياره وعائشة راكبة لا قاتلت ولا أمرت بالقتال، هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار^(٤).

الحادي عشر - إنها خالفت أمر الله لها: {وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} حيث خرجت لتقاتل علياً غير ذنب لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان.

هذا الكلام مردود من وجوه:

الوجه الأول: أنها لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها كما لو خرجت للحج والعمرة أو خرجت مع زوجها في سفر، فإن هذه الآية نزلت في حياته صلى الله عليه وسلم، وقد سافر بهن بعد ذلك في حجة الوداع سافر بعائشة رضي الله عنها وغيرها وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها وأردفها خلفه وأعمرها من التنعيم وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يحججن كما حججن في خلافة الفاروق، وكان يوكل بقطارهن عثمان أو عبد الرحمن بن عوف وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في هذا، واجتهدت والمجتهد إذا أصاب في اجتهاده كان له أجران . وإذا كان مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة"^(٥)، قال ابن العربي مبيناً بطلان طعن الرافضة على عائشة بآية الأحزاب السابقة: "تعلق الرافضة بهذه الآية على أم المؤمنين عائشة، إذ قالوا: "إنها خالفت أمر الله وأمر رسوله وخرجت تقود الجيوش وتباشر الحروب وتقتحم مآزق الحرب والضرب فيما لم يفرض عليها ولا يجوز

(١) - منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ١٨٣/٢، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ١٦٤/٢.

(٢) - قال رضي الله عنه يوم الجمل كما في مصنف أبي شعبة ٢٨٢/١٥: "وددت أي مت قبل هذا بعشرين سنة".

(٣) - انظر البداية والنهاية ٢١٢/٧.

(٤) - منهاج السنة ١٨٥/٢.

(٥) - انظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ١٨٣/٢، انظر الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف ٢٩٣/١، مقدمة مرآة العقول ٥٠/١، الصراط

المستقيم إلى مستحقي التقديم ١٦١/٣، الأنوار النعمانية ٢١٥/٢-٢١٦.

لها، ولقد حصر عثمان فلما رأت ذلك أمرت برواحلها فقربت لتخرج إلى مكة، فقال لها مروان بن الحكم: يا أم المؤمنين أقيمي هاهنا وردي هؤلاء الرعاع عن عثمان، فإن الإصلاح بين الناس خير من حجك.

وقال علماؤنا: "إن عائشة كانت نذرت الحج قبل الفتنة، فلم تر التخلف عن نذرها وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة، وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الاستيحاء منها إذا وقفت إلى الخلق وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس} ^(١)، ويقول: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما} (الحجرات: ٩)، والأمر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر وأنثى، حر أو عبد، فلم يرد الله بسابق قضائه ونافذ حكمه أن يقع إصلاح، ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان، فعمد بعضهم إلى الجمل فعرقبه، فلما سقط الجمل لجنبه أدرك محمد بن أبي بكر عائشة، فاحتملها إلى البصرة، وخرجت في ثلاثين امرأة قرهن علي بها حتى أوصلوها إلى المدينة، برة تقية مجتهدة مصيبة ثابتة فيما تأولت مأجورة فيما تأولت وفعلت إذ كل مجتهد في الأحكام مصيب ^(٢)، وقد بينا في كتب الأصول تصويب الصحابة في الحروب، وحمل أفعالهم على أجمل تأويل ^(٣).

الوجه الثاني: أما زعمهم أنها خرجت في ملأ من الناس تقاتل عليا على غير ذنب فهذا كذب عليها فإنها لم تخرج لقصد القتال، ولا كان أيضا طلحة والزبير قصدهما القتال لعلي، ولو قدر انهما قصدا القتال فهذا هو القتال المذكور في قوله تعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما} فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} ^(٤)، فجعلهم مؤمنين أخوة في الاقتتال، وإذا كان هذا ثابتا لمن هو دون أولئك من المؤمنين فهم به أولى وأحرى.

الوجه الثالث: أما زعمهم أن المسلمين أجمعوا على قتال عثمان، فهذا أيضا من أظهر الكذب وأبينه، فإن جماهير المسلمين لم يأمرؤا بقتله ولا شاركوا في قتله ولا رضوا بقتله، فإن أكثر المسلمين لم يكونوا بالمدينة بل كانوا بمكة واليمن والشام والكوفة والبصرة ومصر وخراسان وخيار المسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان لا قتل ولا أمر بقتله، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن، وكان علي رضي الله عنه يحلف دائما: "إني ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله"، ويقول: اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل ^(٥).

لكن الرافضة لم يهتدوا لمعرفة براءة علي، من دم عثمان بل كذبوا عليه حيث قالوا: "إنه كان راضيا بقتل عثمان"، قال عبد الله شبر: "والعجب من المخالفين (يقصد أهل السنة) أنهم يستدلون على حقية خلافة

(١) - راجع منهاج السنة ١٨٥/٢-١٨٦، انظر مختصر التحفة الاثني عشرية ص/٢٦٨-٢٦٩ والآية من سورة النساء آية/١١٤

(٢) - هذا إذا كان المراد إصابة الأجر فهو صحيح لقوله ﷺ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر" وإذا كان المقصود إصابة الحق ففيه نظر للحديث لأن فيه أصاب وأخطأ. انظر صحيح البخاري ٢٦٨/٤، صحيح مسلم ١٣٤٢/٣.

(٣) - أحكام القرآن لابن العربي ١٥٣٥-١٥٣٦، وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٨١/١٤-١٨٢.

(٤) - سورة الحجرات آية/٩-١٠.

(٥) - انظر منهاج السنة ١٨٦/٢.

المشايع بسكوت علي الدال على رضاه، ولا يستدلون بسكوته عن قتل عثمان على رضاه^(١)، وهذا من أظهر الكذب على علي من الرافضة وهم مفترون عليه في أنه كان راضيا بقتله وهذا من طعنهم في علي رضي الله عنه

الثاني عشر: إن عائشة خرجت لقتال علي رضي الله عنهما

يقول الرافضة: إن عائشة رضي الله عنها خرجت لتقاتل عليا رضي الله عنه ظلما وعدوانا، واستدلوا على ذلك بحديث نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «تقاتلين عليا وأنت ظالمة له». واستدلوا برواية أخرى ذكرها المجلسي في 'بحار الأنوار' عن الصادق عن آبائه عليهم السلام في خبر الطير: "أنه جاء علي عليه السلام مرتين فردته عائشة رضي الله عنها فلما دخل في الثالثة وأخبر النبي به قال النبي: أبيت إلا أن يكون الأمر هكذا يا حميراء ما حملك على هذا؟ قالت: يا رسول الله اشتبهت أن يكون أبي أن يأكل من الطير. فقال لها: ما هو أول ضغن بينك وبين علي وقد وقفت على ما في قلبك لعلك إن شاء الله تعالى لتقاتلينه!! فقالت: يا رسول الله، وتكون النساء يقاتلن الرجال؟ فقال لها: يا عائشة، إنك لتقاتلين عليا ويصحبك ويدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي وأصحابي فيحملونك عليه وليكونن في قتالك أمر يتحدث به الأولون والآخرون ... " (٢).

الرد على هذه الشبهة:

أولا: هذه الروايات باطلة مكذوبة ومن وضع الرافضة، فكل هذه الأخبار التي ساقوها، ونسبوها كذبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، وليس لها أسانيد معروفة، وهي بالموضوعات أشبه منها بالأحاديث الصحيحة، بل هي كذب قطعاً^(٣). قال ابن تيمية: "وأما الحديث الذي رواه وهو قوله لها: «تقاتلين عليا وأنت ظالمة له» فهذا لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه الأحاديث، بل هو كذب قطعاً^(٤).

ثانيا: المعروف والموقن به من موقف عائشة رضي الله عنها ومن معها أنهم خرجوا للإصلاح لا القتال، "فإن عائشة رضي الله عنها لم تقاتل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، فلم يكن للصحابة قصد في الاقتتال يوم الجمل، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم، فإنه لما ترأس علي وطلحة والزبير، وقصدوا الاتفاق على المصلحة، وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة، وكان علي غير راض بقتل عثمان ولا معيناً عليه، كما كان يحلف فيقول: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله، وهو الصادق البار في يمينه، فخشي القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن عليا حمل عليهم، فحملوا دفعا عن أنفسهم، فظن علي أنهم حملوا عليه، فحمل دفعا عن نفسه، فوقع الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة رضي الله عنها كانت راكبة: لا قاتلت، ولا أمرت بالقتال، هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار" (٥).

(١) -حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر ١٩٢/١.

(٢) -ينظر: هذه الشبهة في: بحار الأنوار ٩٣/٣٢، والاحتجاج للطبرسي ٢٩٣/١، ومدينة المعاجز لهاشم البحراني ٣٩١/١.

(٣) -الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة ص (٢١٢، ٢١٣).

(٤) -منهاج السنة النبوية ٤/ ١٧٠.

(٥) -منهاج السنة النبوية ٤/ ١٧٠، ١٧١، وشبهات حول الصحابة أم المؤمنين عائشة ص (١٤).

ويتضح كون عائشة رضي الله عنها خرجت للإصلاح من خلال النقاط التالية:

أولاً: أن عائشة رضي الله عنها تقول بلسانها: إنها خرجت للإصلاح، فروى الطبري بإسناده قال: «فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها، وقال: أي أمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس ...»^(١).

ثانياً: أن عائشة رضي الله عنها كتبت بأنها ما خرجت إلا للإصلاح، فروى ابن حبان في 'كتاب الثقات': «وقدم زيد بن صوحان من عند عائشة معه كتابان من عائشة إلى أبي موسى والي الكوفة وإذا في كل كتاب منهما بسم الله الرحمن الرحيم، من عائشة أم المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين، فإن قتلة عثمان فارقوا الجماعة وأحلوا بأنفسهم البوار»^(٢).

ثالثاً: أن عائشة رضي الله عنها وقعت على الصلح، فجاء في كتب السير: «كان القتال يومئذ في صدر النهار مع طلحة والزبير، فانهزم الناس وعائشة رضي الله عنها توقع الصلح»^(٣). وفي الختام نخلص إلى أن عائشة رضي الله عنها لم تخرج لقتال على ولم تخرج لمنازعة في الخلافة، وإنما خرجت بقصد الإصلاح.

يقول ابن حزم رحمه الله: "وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي، ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحه تحطه عن الإمامة، ولا أحدثوا إمامة أخرى، ولا جددوا بيعة لغيره، هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه، بل يقطع كل ذي علم على أن كل ذلك لم يكن، فإن كان لا شك في كل هذا فقد صح صحة ضرورة لا إشكال فيها أنهم لم يمشوا إلى البصرة لحرب علي، ولا خلافاً عليه ولا نقضاً لبيعته، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته هذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد، فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلماً"^(٤).

وقال ابن حجر رحمه الله: "ولم يكن قصدهم القتال، لكن لما انتشبت الحرب، لم يكن لمن معها بد من المقاتلة، ... ولم ينقل أن عائشة رضي الله عنها ومن معها نازعوا علياً في الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة وإنما أنكرت هي ومن معها على علي منعه من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم، وكان علي ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه، فإذا ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان اقتص منه، فاختلفوا بحسب ذلك وخشي من نسب إليهم القتل أن يصطلحوا على قتلهم فأنشبو الحرب بينهم إلى أن كان ما كان"^(٥).

(١) - الفتنة ووقعة الجمل ص (١٤٥)، وتاريخ الطبري ٢٩ / ٣، والكامل في التاريخ ٥٩١ / ٢.

(٢) - رواه ابن حبان في السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ٥٣٤ / ٢، وفي الثقات ٢٨٢ / ٢.

(٣) - رواه سيف بن عمر في الفتنة ووقعة الجمل ص (١٦٨)، والطبري في تاريخه ٥٢٩ / ٤.

(٤) - الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٢٣ / ٤.

(٥) - فتح الباري ٥٦ / ١٣.

الثالث عشر: إن عائشة رضي الله عنها كانت تبغض عليا رضي الله عنهما

استدل الرافضة على بغض عائشة لعلي بما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة، فاستأذن نساءه أن يمرض في بيتي، فأذن له، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمدا على العباس، وعلى رجل آخر، ورجلاه تخطان في الأرض، وقال عبيد الله: فقال ابن عباس: أتدري من ذلك الرجل؟ هو علي بن أبي طالب، ولكن عائشة لا تطيب له نفسا»^(١). قال الرافضة: وكانت لا تحب عليا ولا ترضى له خيرا ولا تذكر اسمه على لسانها^(٢).

والرواية المشهورة والتي ليس فيها هذا الكلام جاءت عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذن له فخرج بين رجلين تخط رجلاه في الأرض، بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر، قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة: فقال لي عبد الله بن عباس: "هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟" قال: قلت: لا. قال: ابن عباس: "هو علي"^(٣). والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أولا: كيف تكره أم المؤمنين عائشة علي بن أبي طالب وأبناءه وهي تروي فضائلهم؟! فقد روت حديث الكساء في فضل علي وفاطمة والحسن والحسين وأخبرت عن محبة الرسول للحسن بن علي وكانت تحيل السائل على علي بن أبي طالب ليحبيه عندما سئلت عن المسح على الخفين، وطلبت من الناس بعد استشهاد عثمان أن يلزموا عليا بالبيعة فقد أخرج ابن أبي شيبة، أن بديل بن ورقاء سأل عائشة من يبايع؟ فقالت له: إلزم عليا^(٤)، ولا يصح ما نسب لابن عباس أن عائشة لا تطيب لعلي نفسا بخير»، فهذه زيادة شاذة لا تصح.

ثانيا: هذه الزيادة شاذة لا تصح: "فإعراض الشيخين عن هذه الزيادة، وعدم اتفاق أصحاب الزهري عليها يجعل في القلب منها شيء. فسفيان وعقيل وشعيب لم يذكروها في الحديث، وذكرها معمر ورواه ابن المبارك عن معمر ويونس جمعهما في حديث واحد وقد أعرض الشيخان عن الزيادة مع روايتهما للحديث من طريق ابن المبارك عن معمر، زد على هذا أن موسى بن أبي عائشة لم يتابع الزهري على هذه الزيادة. كذلك ممن حدث به عن الزهري بغير الزيادة: إبراهيم بن سعد وهو في الطبقات^(٥) قبل الحديث محل السؤال مباشرة، وقد روى البيهقي في الدلائل^(٦) الحديث من مغازي ابن إسحاق برواية يونس بن بكير (وهو طريق ابن حجر للمغازي) فرواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن الزهري وليس فيه هذه اللفظة، وقد صرح ابن إسحاق

(١) - أخرجه أحمد في مسنده ٤٠ / ٦٧، ٦٨، رقم (٢٤٠٦١)، وأصله في الصحيحين، قال الألباني في الإرواء ١ / ١٧٨: "سنده صحيح"، وقال محققو المسند ٤٠ / ٦٩ (طبعة الرسالة): "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٢) - ينظر: هذه الشبهة في كتب الشيعة الآتية: معالم المدرستين لمريض العسكري ص (٢٣٢)، والغدير للأميني ص (٣٢٤)، وفاسألوا أهل الذكر محمد التيجاني السماوي ص (٣٢٣)، وخلاصة المواجهة لأحمد حسين يعقوب ص (١١١)، ودفاع من وحي الشريعة لحسين الرجا ص (٣٢٧).

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ٦ / ١١، رقم (٤٤٤٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر، وغيرها ... ١ / ٣١٢، رقم (٤١٨).

(٤) - انظر (فتح الباري) للحافظ ابن حجر العسقلاني (١٣ / ٢٩، ٤٨).

(٥) - الطبقات الكبرى ٢ / ١٧٩.

(٦) - دلائل النبوة ٧ / ١٦٩.

بالتحديث. ورواه ابن إسحاق عن الزهري بغير واسطة بدون تلك اللفظة أيضا، وهذا عند أبي يعلى ^(١) وإسناده جيد وصرح ابن إسحاق بالتحديث، فصار من روى الحديث بغير الزيادة سفيان بن عيينة وشعيب وعقيل وإبراهيم بن سعد ويعقوب بن عتبة وابن إسحاق وتفرد بالزيادة معمر.

وقد أخرج الشيخان الحديث واتفقا على الإعراض عن تلك الزيادة مع أنهما يروياها من طريق معمر، فلعل هذه اللفظة لا تصح في الحديث ^(٢) ولذلك فقد مال بعض طلبة العلم المعاصرين إلى شذوذ هذه الرواية ^(٣) ثالثا: على فرض صحة الرواية، فإن هذه مسألة تعتري البشر جميعا حتى بين أفراد الأسرة الواحدة كغضبة أخ من أخيه أو أخته أو أمه فيفارق اسمه فقط وهذه أيضا عادة عند العرب، فكانت أمنا عائشة تقسم: (ورب محمد) حال رضاها مع النبي، فإن كان هناك شيء قالت: "ورب إبراهيم" فلما أخبرها النبي بمعرفته ذلك قالت: (لا أفارق إلا اسمك) ^(٤) " ^(٥)، يقول الزرقاني في تعليقه على هذه الرواية: "وذلك لما جبل عليه الطبع البشري، فلا إزراء في ذلك عليها ولا على علي رضي الله عنهما ... " ^(٦).

فربما وجدت عائشة في نفسها شيئا عن علي في أمر من الأمور، كطبيعة البشر، وتوافق مع ذلك الموقف، ولكن من المحال أن يكون حقدا مستمرا، وعداء لا يزول، بل ذلك من أبعد الأشياء عن عائشة رضي الله عنها، فإنها لم تحمل على الذين خاضوا في الإفك، مع أن ذلك كان من أشد المصائب عليها، فكان نصيب الخائضين من عائشة رضي الله عنها العفو والصفح، حتى إنهم كانت تنافح عنهم إذا ذكروهم أحد أمامها بسوء. فهذا حسان بن ثابت كان من الخائضين في الإفك، وكان ممن أكثر في رمي عائشة ومع ذلك لم تحقد عليه الصديقة رضي الله عنها، بل كانت تنهى عن سبه أو الإساءة إليه، ففي الصحيحين أنها قالت لعروة بن الزبير لما أخذ يسبه: «لا تسبه، فإنه كان ينافح عن رسول الله» ^(٧)، وقالت لمسروق نحو من هذا الكلام.

أفيعقل أن تقدر مواقف حسان مع النبي فتغضي عن إساءته البالغة إليها، ولا تقدر مواقف أمير المؤمنين علي مع النبي، وبلاءه الحسن معه، وجهاده في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل؟! إن من درس أخلاقها واطلع على مناقبها، يعلم مدى عفوها وصفحها عن كثير من الهنات التي صدرت عن أشخاص أبلوا مع رسول الله دون بلاء علي ويدرك أن ما بينها وبين علي كما بين الأحماء؛ كما أخبرت بذلك، وصدقها علي في قولها ^(٨). رابعا: أن عائشة رضي الله عنها كانت تحب عليا، وتكن له كل تقدير واحترام، وقد ذكرت في «العلاقة الحسنة بين عائشة وآل البيت رضي الله عنهم».

(١) -مسند أبي يعلى ٨ / ٥٧.

(٢) -هذه الشذرات الحديثية مأخوذة كما هي من مشاركات الأخ هشام بن بهرام في ملتقى أهل الحديث، ٣ / ١٧٢، ١٧٥ -

(٣) -ينظر: السباط اللاذعات في كشف كذب وتدليس صاحب المراجعات لعبد الله بن عبشان الغامدي موقع البرهان:

www.alburhan.com ص (٢٣، ٢٤) الشاملة.

(٤) -أخرجه البخاري في صحيحه، ٧ / ٣٦، رقم (٥٢٢٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ٤ / ١٨٩٠، رقم (٢٤٣٩).

(٥) -مشاركة الأخ أبو عمر الفاروقي في ملتقى أهل الحديث، كما في أرشيف ملتقى أهل الحديث ٣ / ١٧٥.

(٦) -شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١٢ / ٨٤.

(٧) -صحيح البخاري، ٤ / ١٨٥، رقم (٣٥٣١)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ٤ / ١٩٣٣، رقم (٢٤٨٧).

(٨) -الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة ص (١٧٥ - ١٧٧).

الرابع عشر-الطعن في أم المؤمنين عائشة بمشاركتها في حرب الجمل بشبهة مركبة.

يقولون: حرب الجمل أشعلت نارها أم المؤمنين عائشة، إذ كانت هي التي قادتها بنفسها، فكيف تخرج أم المؤمنين عائشة من بيتها التي أمرها الله بالاستقرار فيه بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١)، وبأي حق استباححت أم المؤمنين قتال خليفة المسلمين علي ابن أبي طالب وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة وأخرج البخاري باب ما جاء في بيوت أزواج النبي قال: قام النبي خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: ههنا الفتنة ههنا الفتنة ههنا الفتنة، من حيث يطلع قرن الشيطان، وبعد كل هذا أتساءل كيف استحققت عائشة كل هذا التقدير والاحترام من أهل السنة والجماعة، لأنها زوج النبي فزوجاته كثيرات، وفيهن من هي أفضل من عائشة بتصريح النبي نفسه .

أما قوله إنها أشعلت نار حرب الجمل وقادتها بنفسها، فهذا من أظهر الكذب الذي يعلم فساده كل من له اطلاع على التأريخ وأحداث موقعة الجمل، وذلك أن هذه المعركة لم تقع بتدبير أحد من الصحابة لا علي ولا طلحة ولا الزبير ولا عائشة، بل إنما وقعت بغير اختيار منهم ولا إرادة لها، وإنما انشب الحرب بينهم قتلة عثمان لما رأوا أن الصحابة أوشكوا على الصلح، كما نقل ذلك المؤرخون وصرح به العلماء المحققون للفتنة وأحداثها:

يقول الباقلاني: «وقال جلة من أهل العلم إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة على الحرب بل فجأة، وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به، لأن الأمر كان قد انتظم بينهم وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا ويبدؤوا بالحرب سحرة في العسكرين، ويختلطوا ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الآخر الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه، ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم مدافعا لمكروه عن نفسه، ومانعا من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل وبه نقول» .^(٢)

ويقول ابن حزم: «وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها ... فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ... وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم فدفعت القوم عن أنفسهم فردوا حتى خالطوا عسكر علي، فدفعت أهله عن أنفسهم، وكل طائفة تظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها بالقتال، فاختلط الأمر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان، لعنهم الله لا يفترقون من شب الحرب وإضرارها» .^(٣)

(١) - سورة الأحزاب آية ٣٣ .

(٢) - التمهيد في الرد على الملحدة ص ٢٣٣ .

(٣) - الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٢٣٨-٢٣٩ .

ويقول ابن كثير واصفا الليلة التي اصطلح فيها الفريقان من الصحابة: «وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون، وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس» .^(١)

ويقول ابن أبي العز الحنفي: «فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين» .^(٢)

فهذه أقوال العلماء المحققين كلها متفقة على أن الحرب يوم الجمل نشأت بغير قصد من الصحابة ولا اختيار منهم، بل إنهم كانوا كارهين لها، مؤثرين الصلح على الحرب، ولم يكن لأي أحد من الصحابة أي دور في نشوبها ولا سعي في إثارتها، لا عائشة رضي الله عنها ولا غيرها، وإنما أوقد جذوتها وأضرم نارها أسلاف هؤلاء الحاقدين، وغيرهم من قتلة عثمان رضي الله عنه وهم اليوم يرمي أم المؤمنين بذلك.

وأما قولهم: إنها خرجت من بيتها، وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله تعالى: {وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}، فالرد عليه: أن عائشة رضي الله عنها إنما خرجت للصلح بين المسلمين، ولجمع كلمتهم، ولما كانت ترجو من أن يرفع الله بها الخلاف بين المسلمين لمكانتها عندهم، ولم يكن هذا رأيها وحدها، بل كان رأي بعض من كان حولها من الصحابة الذين أشاروا عليها بذلك.

يقول ابن العربي: «وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهاجر الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بقول الله: {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس} (النساء: ١١٤) ويقول: {وإن طائفتان من المؤمنين أقتلتا فأصلحا بينهما} (الحجرات: ٩) والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد ...» .^(٣)

وقد صرحت عائشة نفسها بأن هذا هو سبب خروجها، كما ثبت ذلك عنها في أكثر من مناسبة وفي غير ما رواية، فروى الطبري أن عثمان بن حنيف وهو والي البصرة من قبل علي بن أبي طالب أرسل إلى عائشة رضي الله عنها عند قدومها البصرة من يسألها عن سبب قدومها، فقالت: (والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطي لبنه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدر على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس ورائنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت: {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين

(١) -البداية والنهاية ٥/٧.

(٢) -شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٢٣.

(٣) -أحكام القرآن ٥٦٩/٣-٥٧٠.

الناس}، فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره). (١)

وروى ابن حبان أن عائشة كتبت إلى أبي موسى الأشعري والي علي على الكوفة: (فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين). (٢)، ولما أرسل علي القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: (أي أمة ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح بين الناس) (٣)، وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء علي إلى عائشة فقال لها: (غفر الله لك، قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح). (٤)

فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين المسلمين، وهذا سفر طاعة لا ينافي ما أمرت به من عدم الخروج من بيتها، كغيره من الأسفار الأخرى التي فيها طاعة لله ورسوله كالحج والعمرة.

قال ابن تيمية في الرد على في هذه المسألة: (فهو رضي الله عنها لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي وقد سافر بهن رسول الله بعد ذلك كما سافر في حجة الوداع بعائشة رضي الله عنها وغيرها وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي يحججن كما كن يحججن معه في خلافة عمر رضي الله عنه وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزا، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك». (٥)

وأما قولهم أنها استباححت قتال خليفة المسلمين...!! فقد تقدم إنها ما خرجت لذلك، وما أرادت القتال، وقد نقل الزهري عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: (إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدا) (٦)، ولهذا ندمت رضي الله عنها بعد ذلك ندما عظيما على شهود موقعة الجمل، على ما روى ابن أبي شيبة عنها أنها قالت: (وددت أني كنت غصنا رطباً، ولم أسر سيري هذا) (٧)

وفي الكامل لابن الأثير أنها قالت للقعقاع بن عمرو: (والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة) (٨) وموقف عائشة رضي الله عنها هذا هو موقف علي رضي الله عنه من الحرب بعد وقوعها، فقد روى ابن أبي شيبة: أن عليا قال يوم الجمل: (اللهم ليس هذا أردت، اللهم ليس هذا أردت). (٩)

(١) -تاريخ الطبري ٤/٤٦٢.

(٢) -الثقات لابن حبان ٢/٢٨٢.

(٣) -نقله ابن العماد في شذرات الذهب ١/٤٢، وروى هذا الأثر بدون قولها: ... (مأردت إلا الإصلاح) الطبري في تأريخه ٤/٥٣٤.

(٤) -منهاج السنة ٤/٣١٧-٣١٨.

(٥) -المغازي للزهري ص ١٥٤.

(٦) -المصنف لابن أبي شيبة ٧/٥٤٣.

(٧) -الكامل في التاريخ ٣/٢٥٤.

وعنه رضي الله عنه أنه قال: (وددت أني كنت مت قبل هذا بعشرين سنة).^(٢)
فثبت بهذا أن عائشة رضي الله عنها ما أرادت القتال أولا، وندمت أن شهادته بعد وقوعه، فلئن كان ذنبا فهو مغفور لها من وجهين: بعدم القصد، وبالتوبة منه، هذا مع ما ثبت أنها خرجت لمقصد حسن وهو الصلح بين المسلمين، فهي بذلك مأجورة على قصدها مغفور لها خطؤها.

وموقف عليّ من الحرب دليل على أنه يرى أنها حرب فتنة، ولهذا تمنى لو لم يدخلها، وأنه مات قبلها بعشرين سنة، وذلك لاشتباه الأمور فيها، ولكونه لم يظهر له أن في قتال مخالفه يوم الجمل حقا ظاهرا، ولو أنه كان يعتقد في مخالفه ما يعتقده الرافضة فيهم من الكفر والردة عن الإسلام بحريهم لعلي رضي الله عنه، فإنه لو كان يعتقد فيهم هذا لما ندم على قتالهم ذلك الندم العظيم، ولفرح بقتلهم وقتالهم لما في ذلك من عز الإسلام وقمع أعدائه، ولما فيه من الأجر العظيم. كما حصل ذلك منه بعد قتال الخوارج مع كونه لا يعتقد كفرهم إلا أنه فرح بقتالهم فرحا عظيما، وكبر الله سرورا بقتلهم لما تأكد له وصفهم، الذي عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك وجود ذي الشدا فيهم، على ما جاء ذلك مخرجا في الصحيحين.^(٣)

وفي هذا أكبر رد على هؤلاء الرافضة الطاعنين في أصحاب النبي المتهمين لهم بالعظائم، فلو كان لهم عقول لما حادوا عن موقف علي من مخالفه الذي لم يكن يتهمهم في دينهم، ولا يذمهم بشيء مما يتشدد به هؤلاء الأفاكون المجرمون، بل ثبت ثناؤه عليهم، ووصفه لهم بالإيمان والتقوى، واستغفاره لهم، كما تقدم نقل ذلك مفصلا فيما قد سبق وكما مر قريبا استغفاره لعائشة واستغفارها له فرضي الله عنهم جميعا.

وأما بالنسبة لقول عمار في أم المؤمنين عائشة: (والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكُم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي): فليس في قوله هذا ما يطعن به على عائشة بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا في الدنيا والآخرة، فأبي فضل أعظم من هذا، وأي شرف أسمى من هذا، فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة قد تحققت لها ذلك بشهادة عمار الذي كان مخالفا لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما شهد لها بذلك علي نفسه بعد انتهاء حرب الجمل على ما نقل الطبري أنه جاءها فأثنت عليه خيرا وأثنى عليها خيرا وكان فيما قال: (أبها الناس صدقت والله وبرت ... وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة).^(٤)

وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع إلى النبي على ما روى الحاكم من حديث عائشة أن النبي قال لها: (أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة قالت: بلى والله، قال: فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة)^(٥) فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة^(٦)

(١) -المصنف لابن أبي شيبة ٥٤١/٧.

(٢) -المصدر نفسه ٥٤٤/٧، والكامل لابن الأثير ٢٥٤/٣.

(٣) -صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام فتح الباري ٦١٧/٨-٦١٨، ح ٣٦١٠، وصحيح مسلم: (كتاب الزكاة، ٧٤٩-٧٤٨/٢).

(٤) -تاريخ الطبري ٥٤٤/٤.

(٥) -رواه الحاكم في المستدرک ١٠/٤، وقال: «حديث صحيح ولم يخرجاه» ... وقال الذهبي في التلخيص المطبوع في حاشية المستدرک: «صحيح» كما ... أورد هذا الحديث مصطفى العدوي في كتابه الصحيح المسند من فضائل ... الصحابة وحكم بصحة الحديث ص ٣٥٦.

وأما قول عمار في الجزء الأخير من الأثر: (ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها) فليس بمطعن على عائشة رضي الله عنها وبيان ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن قول عمار هذا يمثل رأيه وعائشة ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر.

الوجه الثاني: أن أثر عمار تضمن معنيين أولهما قوله: (إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة) وهذا نص حديث صحيح كما تقدم. والآخر قوله: (ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو إياها) وهذا قول عمار، فإن كان قول عمار غير معارض للحديث فلا مطعن حينئذ، وإن كان معارضا للحديث فالحديث هو المقدم.

الوجه الثالث: أن الشهادة بأنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، حكم عام باعتبار العاقبة والمآل. وقول عمار حكم خاص في حادثة خاصة، فرجع الحكم الخاص إلى العام وآل الأمر إلى تلك العاقبة السعيدة فانتهى الطعن.

الوجه الرابع: أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذموم حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة، ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة، فقد يكون ناسيا أو متأولا فلا يؤخذ بذلك.

الوجه الخامس: أن عمارا رضي الله عنه ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحا للأمة، وهو مع هذا يعرف لأُم المؤمنين قدرها وفضلها وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار أن عمارا سمع رجلا يسب عائشة، فقال: (اسكت مقبوحا منبوحا، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتعبدوه أو إياها).^(١)

وأما قولهم إن النبي قام خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان، وطعنهم على عائشة بذلك وزعمه أن الرسول أراد أن الفتنة تخرج من بيتها.

فجوابه: أنه لا يخفى ما في كلامه هذا من التضليل والتبليس، وقلب الحقائق والتدليس على من لا علم عنده من العامة وذلك بتفسيره قول الراوي: (فأشار نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام.

فان الراوي قال: (أشار نحو مسكن عائشة) أي جهة مسكن عائشة، ومسكن عائشة رضي الله عنها يقع شرقي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فالإشارة إلى جهة المسكن وهو (المشرق) لا إلى المسكن، ولو كانت الإشارة إلى المسكن لقال: (أشار إلى مسكن عائشة) ولم يقل: (إلى جهة مسكن عائشة) والفرق بين التعبيرين واضح وجلي، وهذا الحديث قد جاء مخرجا في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق، وبأكثر من لفظ، وقد جاء التصريح في هذه الروايات بأن الإشارة كانت إلى المشرق، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الرافضي ويغني عن التكلف في الرد عليه بأي شيء آخر.

(١) - انظر: صحيح البخاري: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة - رضي ... الله عنها-)، فتح الباري ١٠٦/٧، ح ٣٧٧٢.

(٢) - نقله ابن كثير في البداية والنهاية ٢٤٨/٧.

وها هي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر فعن ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله وهو مستقبل المشرق يقول: (ألا أن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان) ^(١)، وعن عبيد بن عمر قال: حدثني نافع عن ابن عمر: (أن رسول الله قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان قالها مرتين أو ثلاثاً) ^(٢)، وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله قال: (وهو مستقبل المشرق، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان) ^(٣)، وفي هذه الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي يعتمدون عليها!.

كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها، فعن نافع عن ابن عمر قال: (ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا) ^(٤) فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان) . ^(٥)

وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق؟ ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الفتنة تجيء من ههنا وأوماً بيده نحو المشرق، من حيث يطلع قرنا الشيطان) . ^(٦)

وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: (أشار رسول الله بيده نحو اليمن فقال: ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين) ^(٧) عند أصول أذنان الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر) ^(٨)

فدللت هذه الروايات دلالة قطيعة على بيان مراد النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: (الفتنة هاهنا) وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعوا من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأي ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به أحد سوى الحافظون.

(١) - أخرجه البخاري في: (كتاب الفتن، باب قول النبي الفتنة من قبل المشرق) ، فتح الباري ٤٥/١٣، ح ٧٠٩٣، ومسلم: (كتاب الفتن) ٢٢٢٨/٤، ح ٢٩٠٥.

(٢) - أخرجه مسلم: (كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق ...) ٢٢٢٩/٤.

(٣) - أخرجه مسلم: (كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق ...) ٢٢٢٩/٤.

(٤) - قال الخطابي: «نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق، ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة» ، فتح الباري لابن حجر ... ٤٧/١٣.

(٥) - أخرجه البخاري: (كتاب الفتن، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - الفتنة من قبل المشرق) ، ... فتح الباري ٤٥/١٣، ح ٧٠٩٤.

(٦) - أخرجه مسلم: (كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق ...) ٢٢٢٩/٤.

(٧) - الفدادون: الذين تعلوا أصواتهم في حروثهم ومواشيهم واحدهم: فداد وقيل ... هم المكثرون من الإبل. النهاية لابن الأثير ٤١٩/٣.

(٨) - أخرجه البخاري فتح الباري ٣٥٠/٦، ح ٣٣٠٢، ومسلم: (كتاب الإيمان، ... باب تفاضل أهل الإيمان فيه) ٧١/١، ح ٥١.

الخامس عشر-وينقمون عليها مرافقة طلحة والزبير لها عندما توجهت إلى البصرة للطلب بدم عثمان، وقصد الإصلاح بين بنينا، يقول ابن المطهر الحلي: "وكيف استجاز طلحة والزبير وغيرهما مطاوعتها على ذلك وبأي وجه يلقون رسول الله مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره أو أخرجها من بيتها أو سافر بها كان أشد الناس عداوة له"^(١).

هذا من الزور والتناقض والجهل فهم يرمون عائشة بالعظائم ومنهم من يرميها بالفاحشة التي برأها الله منها^(٢) وأنزل بتبرئتها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، والعجب من أمر هؤلاء فإنهم يعظمون عائشة في هذا المقام من أجل الطعن في طلحة والزبير ولا يعلمون أن طعنهم هذا إن كان متوجها إليهما، فالطعن في علي بذلك أوجه، فإن طلحة والزبير كانا معظمين لعائشة موافقين لها مؤتمرين بأمرها، وهما وهي من أبعد الناس عن الفواحش والمعاونة عليها، فإن جاز للروافض أن يقدحوا فيهما بقولهم: "بأي وجه يلقون رسول الله مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره حتى أخرجها من منزلها وسافر بها ... إلخ، كان للنواصب أن يقولوا: بأي وجه يلقي رسول الله من قاتل امرأته وسلط عليها أعوانه حتى عقروا بها بغيرها وسقطت من هودجها وأعداؤها حولها يطوفون بها كالمسبية التي أحاط بها من يقصد سبائها، ومعلوم أن هذا في مظنة الإهانة لأهل الرجل ... ولم يكن طلحة والزبير لا غيرهما من الأجانب يحملونها، بل كان في المعسكر من محارمها مثل عبد الله بن الزبير ابن أختها، وخلوته بها ومسه لها جوائز بالكتاب والسنة والإجماع، وكذلك سفر المرأة مع ذي محرمها جازر الكتاب والسنة والإجماع، وهي لم تسافر إلا مع ذي محرمها، وأما العسكر الذين قاتلوها فلولا أنه كان في العسكر محمد بن أبي بكر مد يده إليها لمد يده إليها الأجانب، ولهذا دعت عائشة على من مد يده إليها، وقالت: يد من هذه أحرقتها الله بالنار"^(٣)، فقال: "أي أخت في الدنيا قبل الآخرة" فقالت: "في الدنيا قبل الآخرة" فأحرق بالنار بمصر^(٣).

وبهذا الرد يبطل طعن الرافضة على عائشة بمطاوعة طلحة والزبير لها وخروجها معها إلى البصرة وأن طعنهم الذي يوجهونه إلى طلحة والزبير ينقلب ما هو أعظم منه في حق علي رضي الله عنه، فإن قالوا إن عليا كان مجتهدا فيما فعل وأنه أولى بالحق من طلحة والزبير يقال لهم أيضا: وطلحة والزبير كانا مجتهدين.

السادس عشر: عسكرها لما أتوا البصرة نهبوا بيت المال وأخرجوا عامل علي عثمان بن حنيف^(٤).

إن هذه الأمور لم تقع برضاء عائشة ولا علمت بهذا العمل حتى أنها لما علمت ما حصل في حق عثمان بن حنيف اعتذرت له واسترضته، ومثل هذا العمل وقع من عسكر علي مع أبي موسى الأشعري، فقد أحرقوا بيته ونهبوا متاعه لما دخلوا الكوفة ومنهم مالك الأشتر^(٥)، وما حصل من هؤلاء وهؤلاء لا يسوغ الطعن لا في عائشة ولا في علي رضي الله عنهما، فطعنهم على عائشة بهذا واضح البطلان.

(١) -منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ١٨٣/٢.

(٢) -انظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقدم ١٦٥/٣.

(٣) -منهاج السنة ١٩٤/٢-١٩٥، وانظر خبر إحراق محمد بن أبي بكر: تاريخ خليفة بن خياط ص/١٩٢، تاريخ الطبري ١٠٤/٥-١٠٥.

(٤) -ذكر هذا الألوسي في مختصر التحفة الاثني عشرية ص/٢٦٩، وانظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقدم ١٦٤/٣.

(٥) -مختصر التحفة الاثني عشرية ص/٢٦٩.

السابع عشر: كيف أطاعها في خروجها إلى البصرة عشرات الآلاف وساعدوها على حرب علي ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله لما طلبت حقها من أبي بكر ولا شخص واحد بكلمة واحدة^(١).

يقال لهم: إن قولكم هذا من أعظم الحجج عليكم، فإنه لا يشك عاقل أن الصحابة أجمعين كانوا يحبون النبي ويعظمونه ويعظمون قبيلته وبنته أعظم من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولو لم يكن هو رسول الله فكيف إذا كان هو رسول الله الذي هو أحب إليهم من أهلهم وأنفسهم فلا يستريب عاقل أن قريشا وغير قريش كانت تدين لبني عبد مناف وتعظمهم أعظم مما يعظمون بني تيم وعدي ولهذا لما مات رسول الله وتولى أبو بكر قيل لأبي قحافة "مات رسول الله"، فقال: "حدث عظيم، فمن ولي بعده؟" قالوا: ابنك، قال: وهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم، قال: لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع^(٢).

فإذا كان المسلمون كلهم ليس فيهم من قال: إن فاطمة رضي الله عنها مظلومة ولا أن لها حقا عند أبي بكر وعمر ولا أنهما ظلماها ولا تكلم أحد في هذا بكلمة واحدة، دل ذلك على أن القوم كانوا يعلمون أنها ليست مظلومة، إذ لو علموا أنها مظلومة لكان تركهم لنصرتها إما عجزا عن نصرتها وإما إهمالا وإضاعة لحقها، وإما بغضا فيها، إذ الفعل الذي يقدر عليه الإنسان إذا أرادته إرادة جازمة فعله لا محالة، فإذا لم يردده مع قيام المقتضي لإرادته. فإما أن يكون جاهلا به أو له معارض يمنعه من إرادته، فلو كانت مظلومة مع شرفها وشرف قبيلتها وأقاربها وأن أباهما أفضل الخلق وأحبهم إلى أمته وهم يعلمون أنها مظلومة، لكانوا إما عاجزين عن نصرتها، وإما أن يكون لهم معارض عارض إرادة النصر من بغضها، وكلا الأمرين باطلان فإن القوم ما كانوا كلهم عاجزين أن يتكلم واحد منهم بكلمة حق وهم كانوا أقدر على تغيير ما هو أعظم من هذا، وأبو بكر لم يكن ممتنعا من سماع كلام أحد منهم ولا هو معروفا بالظلم والجبروت واتفاق هؤلاء كلهم مع توفر دواعيهم على بغض فاطمة مع قيام الأسباب الموجبة لمحبتها مما يعلم بالضرورة امتناعه^(٣).

فلا استقامة لطعن الشيعة الرافضة على عائشة رضي الله عنها بمن خرج معها من الصحابة إلى البصرة وأن دعواهم أن ذلك العدد من الصحابة الذي يذكرونه أنهم نصروا عائشة على حرب علي ولم ينصروا ابنته على طلب حقها كل ذلك كذب وتمحل فعائشة ومن معها لم يخرجوا لحرب علي وقتاله كما يزعم ذلك الرافضة، وإنما كان خروج عائشة ومن معها لقصد الإصلاح بإقامة حد القصاص على قتلة عثمان، ومن جهلهم أنهم يستدلون بأدلة هي حجة عليهم فعندما يقولون إن عشرات الآلاف كانوا مناصرين لها ولم ينصروا فاطمة لما طلبت حقها ولم يتمكم أحد منهم ولا بكلمة واحدة، فهذا من أكبر الأدلة على أنها لم تهضم ولم تظلم مثقال حبة من خردل، وما يذكره الرافضة من أنها ظلمت من قبل الصديق أو الفاروق كله من القول بالباطل الذي لا صحة له ولا ثبوت بحال من الأحوال.

(١) -منهاج الكرامة مع منهاج السنة ١٨٣/٢، وانظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ١٦١/٣-١٦٢، انظر الطوائف في معرفة مذاهب

الطوائف ٢٩٢/١

(٢) -الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٤/٣، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٤٧/٢.

(٣) -منهاج السنة ١٩٦/٢.

الثامن عشر: إن الفتنة خرجت من بيت عائشة

يزعم الشيعة الرافضة الاثنا عشرية أن عائشة رضي الله عنها هي مصدر الفتنة وسببها، وقد استدلوا على زعمهم هذا بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه عنه ابن عمر رضي الله عنهما، وقد ورد هذا الحديث في كتب أهل السنة بروايتين:

الأولى: في صحيح البخاري من حديث عبد الله رضي الله عنه قال: «قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان»^(١). والثانية: رواية لمسلم: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة، فقال: رأس الكفر من هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان - يعني المشرق-»^(٢).

وقد استدلوا على زعمهم هذا بعبارة: «فأشار نحو مسكن عائشة»، في الرواية الأولى، وبعبارة: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة، فقال: رأس الكفر من هاهنا»، في الرواية الثانية؛ ليستنتجوا من ذلك أن مقصد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات: أن الفتنة تخرج من بيت عائشة رضي الله عنها، فهي - على زعمهم - مصدر الفتنة ومنبعها^(٣). الرد على هذه الشبهة:

أولاً: مقصود النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث أن منشأ الفتن من جهة المشرق لا بيت عائشة، "فإن روايات هذا الحديث كلها متفقة على أن جهة الفتنة هي جهة المشرق بالنسبة لمقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ولا عبرة لذكر المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هذا الحديث؛ سواء كان قاله على منبره، أو أمام بيت زوجه حفصة، أو عند خروجه من بيت زوجه عائشة، أو وهو مشرف على أطم من أطام المدينة (حصن)، أو غير ذلك؛ كما ذكرت ذلك الروايات الصحيحة.

ووجود بيت عائشة رضي الله عنها بينه وبين المشرق في بعض الروايات لا يعني أنها رضي الله عنها المقصودة بقوله عليه صلى الله عليه وسلم: «ها هنا الفتنة». وذكر المكان أو الزمان لا يؤثر على فهم الحديث، ولا يوجد فيه تعارضاً أو تضارباً؛ لأنه ليس هو المقصود بيانه في الحديث، وإنما المقصود بيان أن جهة الفتنة إنما هي جهة المشرق، وعلى هذا اتفاق كافة أهل العلم بالحديث^(٤). وقد جاء ما يؤكد ذلك في روايات كثيرة متوافرة متكاثرة عن ابن عمر رضي الله عنهما، بعضها يذكر الشرق، وبعضها يوضح أن المراد بذلك العراق، وسنقتصر على بعض هذه الروايات، واللبيب تكفيه الإشارة:

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وما نسب من البيوت إليهن ٤ / ٨٢، رقم (٣١٠٤).

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان ٤ / ٢٢٢٩، رقم (٢٩٠٥).

(٣) - ينظر: من كتب الشيعة: الطوائف لابن طائوس ص (٢٩٧)، والصراف المستقيم للبيضاوي ٣ / ١٤٢، ١٦٤، والكشكول لحيدر الآملي ص

(١٧٧، ١٧٨)، وإحقاق الحق للتستري ص (٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠)، والمراجعات للموسوي ص (٢٦٨)، وكتاب السبعة من السلف لمرتضى الحسيني ص

(١٧٦)، وفي ظلال التشيع لهاشم الحسيني ص (٧٤ - ٧٥)، وكتاب فسالوا أهل الذكر للدكتور محمد التيجاني السماوي ص (١٠٥).

(٤) - الصاعقة في نسف أباطيل الشيعة ص (١٤٧).

١ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى المشرق فقال: ها إن الفتنة ها هنا، إن الفتنة ها هنا: من حيث يطلع قرن الشيطان»^(١).

٢ - وفي رواية أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه كان قائما عند باب عائشة: فأشار بيده نحو المشرق، فقال: الفتنة هاهنا، حيث يطلع قرن الشيطان»^(٢).

٣ - وفي رواية أخرى عنه أيضا: قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم: يشير بيده يؤم العراق: ها، إن الفتنة هاهنا، ها، إن الفتنة هاهنا، - ثلاث مرات من حيث يطلع قرن الشيطان»^(٣).

ثانيا: قول الرافضة: أشار إلى بيت عائشة فهذا كذب وزور وبهتان لم يرد في شيء من طرق هذا الحديث، وإنما ورد أشار نحو بيت عائشة: وقد تولى كبر هذا التلبس رجلان من الرافضة: أحدهما: عبد الحسين في 'كتاب المراجعات'^(٤)، والثاني: التيجاني السماوي في كتابه 'فسألوا أهل الذكر'.

وقد تصدى أهل السنة لصنيعهما الباطل، فأما الأول عبد الحسين فقد رد عليه الشيخ الألباني بقوله: "عقد عبد الحسين الشيعي المتعصب في كتابه 'المراجعات'^(٥) فصولا عدة في الطعن فيها وتكذيبها في حديثها، ورميها بكل واقعة، بكل جرأة وقلة حياء، مستندا في ذلك إلى الأحاديث الضعيفة والموضوعة، .. مع تحريفه للأحاديث الصحيحة، وتحميلها من المعاني ما لا تحتل كهذا الحديث الصحيح، فإنه حملة - فض فوه وشلت يده - على السيدة عائشة رضي الله عنها زاعما أنها هي الفتنة المذكورة في الحديث {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا} (الكهف: ٥)، معتمدا في ذلك على الروايتين المتقدمتين:

الأولى: رواية البخاري: «فأشار نحو مسكن عائشة»، والأخرى: رواية مسلم: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة، فقال: "رأس الكفر من هاهنا"، فأوهم صاحب 'المراجعات' بأن الإشارة الكريمة إنما هي إلى مسكن عائشة ذاته، وأن المقصود بالفتنة هي عائشة نفسها!.

والجواب: أن هذا هو صنيع اليهود الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه، فإن قوله في الرواية الأولى: «فأشار نحو مسكن عائشة»، قد فهمه الشيعي كما لو كان النص بلفظ: "فأشار إلى مسكن عائشة"! فقوله: "نحو" دون "إلى" نص قاطع في إبطال مقصوده الباطل، ولا سيما أن أكثر الروايات صرحت بأنه أشار إلى المشرق. وفي بعضها العراق، والواقع التاريخي يشهد لذلك.

وأما رواية عكرمة فهي شاذة كما سبق، ولو قيل بصحتها، فهي مختصرة جدا اختصارا مخلا، استغله الشيعي استغلالا مرا، كما يدل عليه مجموع روايات الحديث، فالمعنى: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة رضي الله عنها، فصلى الفجر، ثم قام خطيبا إلى جنب المنبر وفي رواية: «عند باب عائشة»

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٤ / ١٢٣، رقم (٣٢٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان ٤ / ٢٢٢٨، رقم (٢٩٠٥).

(٢) - أخرجه أحمد في مسنده ٨ / ٣٠٧، رقم (٤٦٧٩)، وقال محققو المسند (طبعة الرسالة): "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٣) - أخرجه أحمد في مسنده ١٠ / ٣٩٠، ٣٩١، رقم (٦٣٠٣)، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٤) - ص (٢٣٧).

(٥) - ص (٢٣٧).

فاستقبل مطلع الشمس، فأشار بيده، نحو المشرق، وفي رواية للبخاري: «فأشار نحو مسكن عائشة»، وفي أخرى لأحمد: «يشير بيده يوم العراق».

فإذا أمعن المنصف المتجرد عن الهوى في هذا المجموع قطع ببطلان ما رمى إليه الشيعي من الطعن في السيدة عائشة رضي الله عنها، عامله الله بما يستحق^(١). وفي الرواية الصحيحة الثابتة في البخاري-والتي ذكرناها آنفا - عن عبد الله رضي الله عنه قال: «قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: هنا الفتنة - ثلاثاً - من حيث يطلع قرن الشيطان».

وأما الثاني: وهو التيجاني السماوي فقد رد عليه الرحيلي، فقال: "قول الراوي: «فأشار نحو مسكن عائشة» على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام.

فان الراوي قال: «أشار نحو مسكن عائشة» أي جهة مسكن عائشة، ومسكن عائشة رضي الله عنها يقع شرقي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فالإشارة إلى جهة المسكن وهو (المشرق) لا إلى المسكن، ولو كانت الإشارة إلى المسكن لقال: (أشار إلى مسكن عائشة) ولم يقل: (إلى جهة مسكن عائشة) والفرق بين التعبيرين واضح وجلي^(٢).

ثالثاً: أن نفس الدليل الذي استدلوا به يمكن أن يقبله عليهم أعدائهم من النواصب: قال الشيخ عبد القادر صوفي: "أما استدلال الشيعة بإشارته صلى الله عليه وسلم جهة بيت عائشة رضي الله عنها، مع قوله: «الفتنة ها هنا» على أن عائشة رضي الله عنها مصدر الفتنة، فاستدلال باطل يرده أنه صلى الله عليه وسلم كان واقفاً على منبره الذي يقع غرب بيوت أزواجه رضي الله عنهن، وغرب بيت ابنته فاطمة رضي الله عنها؛ حيث كانت البيوت كلها عن يمين المنبر في جهة الشرق، وهو أمر لا يقبل جدالاً أو مراء. فكما سوغ الرافضة لأنفسهم أن يفسروا جهة المشرق ببيت عائشة رضي الله عنها، قد يسوغ النواصب أن يفسروا الجهة ببيت فاطمة رضي الله عنها، وهذا حمق من الطائفتين"^(٣).

رابعاً: إن الطعن في بيت عائشة هو طعن في النبي صلى الله عليه وسلم؛ فبيت عائشة هو بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وبه دفن: وهذا الأمر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار؛ لأنه متفق عليه بين السنة والشيعة؛ ولذلك لا يحتاج إلى تقرير: وليس يصح في الأذهان شيء... إذا احتاج النهار إلى دليل

ويلزم الرافضة أن يطعنوا في النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الطعن في بيته ملازم للطعن فيه، فتأمل! ورحم الله الإمام أبا الوفا ابن عقيل الحنبلي حيث يقول: "انظر كيف اختار لمرضه بيت البنت، واختار لموضعه من الصلاة الأب، فما هذه الغفلة المستحوذة على قلوب الرافضة عن هذا الفضل والمنزلة التي لا تكاد تخفى عن البهيم فضلاً عن الناطق؟"^(٤)

(١) - سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥ / ٦٥٦، ٦٥٧.

(٢) - الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال للرحيلي ص (٣٢١).

(٣) - الصاعقة لعبد القادر صوفي ص (١٥١).

(٤) - الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة ص (٥٤).

التاسع عشر: إن عائشة رضي الله عنها كانت لا تحتجب من الرجال

يزعم الرافضة أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تحتجب من الرجال؛ فيقول أحدهم: "من غير المناسب أن تتوضأ وتغسل يديها وخديها ووجهها وأذنيها أمام الناس كما في سنن النسائي، ... كما ليس من المناسب أن تغتسل أمام الرجال" ^(١)، وذكر حديث اغتسال عائشة في الصحيحين وغيرهما. وشبهة هذا القائل وأمثاله من إخوانه الرافضة الحديثان التاليان:

الحديث الأول: ما رواه النسائي من طريق عبد الملك بن مروان بن الحارث قال: أخبرني أبو عبد الله سالم سبلان قال: «وكانت عائشة تستعجب بأمانته، وتستأجره فأرتني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ، فتمضمضت واستنثرت ثلاثاً، وغسلت وجهها ثلاثاً، ثم غسلت يدها اليمنى ثلاثاً واليسرى ثلاثاً، ووضعت يدها في مقدم رأسها، ثم مسحت رأسها مسحة واحدة إلى مؤخره، ثم أمرت يدها بأذنيها، ثم مرت على الخدين. قال سالم: كنت آتيها مكاتباً ما تحتفي مني، فجلس بين يدي وتحدث معي حتى جئتها ذات يوم فقلت: ادعي لي بالبركة يا أم المؤمنين. قالت: وما ذلك؟ قلت: أعتقني الله. قالت: بارك الله لك، وأرخت الحجاب دوني، فلم أرها بعد ذلك اليوم» ^(٢).

الحديث الثاني: ما رواه الشيخان من طريق أبي بكر بن حفص قال: سمعت أبا سلمة، يقول: «دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة، فسألها أخوها عن غسل النبي صلى الله عليه وسلم، فدعت بإناء نحواً من صاع، فاغتسلت، وأفاضت على رأسها، وبيننا وبينها حجاب» ^(٣).

الجواب عن هذه الشبهة:

الحديث الأول حديث النسائي: ليس فيه عدم احتجاب عائشة رضي الله عنها عن الرجال، فأبو عبد الله سالم سبلان مولى من موالي عائشة رضي الله عنها، والمولى يجوز له النظر إلى سيدته، وعائشة رضي الله عنها كانت فقيهة، لا يخفى عليها هذا الأمر؛ ولهذا لما أعتق أرخت دونه الحجاب كما في الحديث: «وأرخت الحجاب دوني، فلم أرها بعد ذلك اليوم»، والشواهد من السنة على ذلك كثيرة: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة بعبد كان قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة رضي الله عنها ثوب، إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال: "إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك"» ^(٤).

(١) - هذا القول جزء من مقال لأحد الروافض، بعنوان: "عائشة تحت الجهر"، على موقع منتديات أنصار آل محمد www.ansaaar.com.

(٢) - أخرجه النسائي في المجتبى، كتاب الطهارة، باب مسح المرأة رأسها ١/ ٧٢، رقم (١٠٠)، وفي السنن الكبرى، ١/ ١١٣، رقم (١٠٥)، والدولابي في الكنى ٢/ ٨٢٠، رقم (١٤٣٠)، والبخاري في التاريخ الكبير ٤/ ١١٠، والخطيب البغدادي في المتفق والمفترق ٣/ ١٥٢٤، رقم (٨٥٤)، وقال الألباني: "صحيح الإسناد". ينظر: سنن النسائي ١/ ٢٤٤، رقم (١٠٠)، مع حكم الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، طبعة مكتبة المعارف - الرياض.

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الغسل، باب الغسل بالصاع ونحوه ١/ ٥٩، رقم (٢٥١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة ... ١/ ٢٥٦، رقم (٣٢٠).

(٤) - أخرجه أبو داود في سننه كتاب اللباس، باب في العبد ينظر إلى شعر مولاته ٤/ ٦٢، رقم (٤١٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ١٥٤، رقم (٤)، وفي الآداب ص (٢٤٦)، رقم (٦٠١)، ومعرفة السنن والآثار ١٠/ ٢٣، رقم (١٣٤٨٦)، والبيهقي في شرح السنة ٩/ ٢٩، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٥/ ٩١، رقم (١٧١٢)، وقال الألباني في إرواء الغليل ٦/ ٢٠٦، رقم (١٧٩٩): "إسناده صحيح رجاله ثقات".

كثير من علماء السنة يجوزون رؤية العبد لسيدته، فقد جاء في شرح خليل: "ولعبد بلا شرك ومكاتب وغدين نظر شعر السيدة - يعني أن العبد الوغد أي القبيح المنظر - يجوز له أن ينظر إلى شعر سيدته، وبقيّة أطرافها التي ينظرها محرّمها والخلوة بها على ما شهره ابن ناجي بشرط أن يكون كاملاً لها"^(١). وجاء في حواشي الشرواني: "رأيت الشارح في شرح الإرشاد صرح بحل نظر سيد المشتركة أو المبعضة لما عدا ما بين سرّتها وركبتها"^(٢). وقال ابن قدامة رحمه الله وهو يتحدث عن هذه المسألة: "قال الشافعي هو - أي العبد - محرم لها - أي السيدة - وحكاها بعض أصحابنا عن أحمد؛ لأنه يباح له النظر إليها فكان محرماً لها كذي رحمها"^(٣).

والرافضة أنفسهم، يقولون: إن المرأة لا يجب أن تحتجب من العبد إلا أن يؤدي ما يعتقه، فقد قال يوسف البحراني في 'الحقائق الناضرة': "عن معاوية بن عمار بسندين أحدهما صحيح والآخر حسن في قوة الصحيح،" قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المملوك يرى شعر مولاته وساقها؟ قال: لا بأس"، وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله في الصحيح والموثق، بأبان بن عثمان "قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المملوك يرى شعر مولاته؟ قال: لا بأس"^(٤).

وقد قال بذلك كثير من علمائهم^(٥)، وهو واضح في جواز عدم الاحتجاب من المكاتب قبل أن يصير عنده ما يؤدي مكاتبته. وعليه فلا متمسك للرافضة في هذه الشبهة، وكتبهم ترد عليهم، وشهد شاهد من أهلها.

وأما الحديث الثاني: المتفق عليه، فليس فيه أيضاً ما يدل على عدم احتجاب عائشة رضي الله عنها عن الرجال، فأبو سلمة راوي الحديث هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف، وهو ابن أخت عائشة من الرضاعة أَرْضَعَتْهُ أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فعائشة خالته، والآخر هو أخو عائشة من الرضاعة كما في الحديث، فكلا الرجلين من محارم عائشة رضي الله عنها.

قال القاضي عياض: "ظاهر الحديث أنهما رأيا عملها في رأسها وأعلى جسدها مما يحل لذي المحرم النظر فيه إلى ذات المحرم، وأحدهما - كما قال - كان أخوها من الرضاعة، قيل: إن اسمه عبد الله بن يزيد، وكان أبو سلمة ابن أختها من الرضاعة أَرْضَعَتْهُ أم كلثوم بنت أبي بكر"^(٦)، فالحديث ليس فيه متمسك للرافضة كسابقه، والله تعالى أعلم.

(١) - شرح مختصر خليل للخرشي ٢٢١ / ٣.

(٢) - حواشي الشرواني ١٩٧ / ٧.

(٣) - الشرح الكبير ١٩٣ / ٣.

(٤) - الحقائق الناضرة ٦٩ / ٢٣.

(٥) - ينظر: الحقائق الناضرة ٦٩ / ٢٣، وينظر: مستند الشيعة للترقي ٥٣ / ١٦، والكافي للكليني ٥٣١ / ٥، ووسائل الشيعة ٢٢٣ / ٢٠ للحر

العالمي، ومستمسك العروة الوثقى ٤٣ / ١٤ لحسن الحكيم.

(٦) - إكمال المعلم ١٦٣ / ٢.

العشرون: إن عائشة رضي الله عنها كانت تزين الجواري وتطوف بهن

يقول الرافضة: إن عائشة رضي الله عنها شوّفت (أي زينت) جارية وطافت بها وقالت: لعلنا نصطاد بها شباب قريش، أرادوا بذلك معنى باطلا يسيء إلى عرض النبي وشبهتهم في ذلك ما أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه: قال: حدثنا وكيع، عن العلاء بن عبد الكريم اليامي، عن عمار بن عمران عن امرأة منهم، عن عائشة: «أنها شوّفت جارية وطافت بها، وقالت: "لعلنا نتصيد بها شباب قريش"»^(١).

الرد على هذه الشبهة: أم المؤمنين عائشة قد برأها الله عز وجل فوق من سبع سموات، وهذا الاتهام تكذيب للقرآن وكفر بالله عز وجل، يرد على هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: أن الرواية قامت على مجهول، ألا وهو المرأة التي حدثت بهذه الحادثة، وهذا عند علماء الحديث من أضعف الأسانيد وأيضاً عمار بن عمران قال عنه الذهبي: "لا يصح حديثه، ذكره البخاري في الضعفاء"^(٢)، أقره ابن حجر في اللسان^(٣). فالرواية إذا فيها مجهول وضعيف، فلا يصح الاحتجاج بها، هذا من حيث الرواية.

الوجه الثاني: على فرض صحة الرواية؛ فيمكن أن يقال: إن هذا عرف شائع عندهم لا غرابة فيه، فالتشويق بالجارية: هو تزين ما يحل إظهاره منها وهو وجهها، وإلباسها الملابس الجميلة في أعين الخاطب أو من يريد شراءها، من باب عرض السلعة على مشتريها؛ ولهذا أورد ابن أبي شيبة الأثر في بابين بنفس السند: الأول: باب: "ما قالوا في الجارية تشوف ويطاف بها"، والباب الثاني: "باب: في تزين السلعة"، وبذا تسقط هذه الشبهة من أساسها رواية ودراية^(٤)

(١) -أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٤٩٩، رقم (١٧٦٦٤)، ومن طريقه الحربي في غريب الحديث ٢/ ٨١٢، والحديث ضعيف؛ لأن في سنده، عمار بن عمران وهو ضعيف، وفيه أيضاً امرأة مجهولة العين والحال. ينظر: ميزان الاعتدال ٣/ ١٦٦.

(٢) -ميزان الاعتدال ٣/ ١٦٦.

(٣) -لسان الميزان ٤/ ٢٧٢.

(٤) -هذا الرد مقتبس من رد أوسع لهذه الشبهة على شبكة الدفاع عن السنة www.dd-sunnah.net.

الحادي العشرون: إن عائشة رضي الله عنها كانت تسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم

يزعم الرافضة أن عائشة رضي الله عنها كانت تسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول التجاني: "وقد أساءت عائشة إلى رسول الله كثيرا وجرعته القصص ولكن النبي رؤوف رحيم وأخلاقه عالية وصبره عميق، وكان كثيرا ما يقول لها ألبسك شيطانك يا عائشة وكثيرا ما كان يأسي لتهديد الله لها" ^(١).

الرد على هذه الشبهة:

قال عثمان خميس: "قوله قد أساءت عائشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا كذب تشهد به كتب أهل السنة التي تبين أن أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة ^(٢)، وكان الناس لا يهدون له إلا في بيت عائشة، وكانت لها من دون سائر أمهات المؤمنين ليلتان وأما كتب الشيعة فغير موثوق بها، فإن الكذب فيها كثير وخير مثال على كثرة كذبهم هذا الكتاب وأمثاله من مؤلفات التجاني وغيره، وكذا قوله: (كثيرا ما يقول لها ألبسك شيطانك، وكثيرا ما كان يأسي لتهديد الله لها) كله كذب لا يستحي منه كاذبه" ^(٣).

فقول التجاني: "كثيرا ما يقول لها ألبسك شيطانك يا عائشة"، إشارة إلى ما في صحيح مسلم عن عروة بن الزبير: «أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: "ما لك؟ يا عائشة أغرت؟" فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقد جاءك شيطانك" قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: "نعم"، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: "نعم" قلت: ومعك؟ يا رسول الله قال: "نعم، ولكن ري أعاني عليه حتى أسلم"» ^(٤).

وجاء الحديث بألفاظ كثيرة أغلبها لا تصح ^(٥). وسياق الحديث يأبى الطعن بعائشة؛ لأن مناسبة الحديث الغيرة عليه صلى الله عليه وسلم، وليس تعمد إيذائه كما يكذب التجاني ^(٦)، "بل إن هذه الغيرة نابعة من شدة حبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها لا تتصور أن يزاحمها في حبه أحد من النساء" ^(٧). "وعائشة رضي الله عنها لا ندعي تجردها من البشرية وترفعها عن فطرة الأنثى فهي كغيرها من النساء في ذلك، وغيرتها رضي الله عنها لم تكن لتتغلغل في أعماقها، بل كانت تقف عند الحدود التي تقضي بها قواعد الدين والعدل، ولعل ما يبين لنا ذلك ما روي من صور الوفاق الرائع بين الضرائر، وتفانيهن في إرضاء زوجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم" ^(٨).

(١) - فاسألوا أهل الذكر ص (٧٥).

(٢) - سبق تحريجه.

(٣) - كشف الجاني محمد التجاني ص (٧٤).

(٤) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ٤ / ٢١٦٨، رقم (٢٨١٥).

(٥) - ينظر: التلخيص ١ / ٣٣٨، وعلل الدارقطني ١٤ / ٤١٤.

(٦) - ينظر: أحاديث يحتج بها الشيعة، لعبد الرحمن دمشقية.

(٧) - حياة عائشة أم المؤمنين ص (٤٠٦).

(٨) - تراجم سيدات بيت النبوة للدكتورة عائشة بنت الشاطئ ص (٢٩٢).

وعن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة، أنها قالت: وكان متاعى فيه خف، وكان على جمل ناج، وكان متاع صفيه فيه ثقل، وكان على جمل ثقال بطيء يتبطأ بالركب، فقال رسول الله: «حولوا متاع عائشة على جمل صفيه، وحولوا متاع صفيه على جمل عائشة حتى يمضي الركب»، قالت عائشة: فلما رأيت ذلك، قلت: يا لعباد الله، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله، قالت: فقال رسول الله: يا أم عبد الله، إن متاعك كان فيه خف وكان متاع صفيه فيه ثقل، فأبطأ بالركب، فحولنا متاعها على بعيرك، وحولنا متاعك على بعيرها، قالت: فقلت: «ألست تزعم أنك رسول الله؟». قالت: فتبسم، قال: أو في شك أنت يا أم عبد الله؟ قالت: قلت: «ألست تزعم أنك رسول الله؟، أفهلا عدلت؟» وسمعتني أبو بكر وكان فيه غرب، أي حدة، فأقبل عليّ فلطم وجهي، فقال رسول الله: مهلا يا أبا بكر، فقال: يا رسول الله، أما سمعت ما قالت؟ فقال رسول الله: «إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه». (رواه أبو يعلى في مسنده).

الجواب: هذا الحديث لا يصح، قال المهتمى في مجمع الزوائد: «رواه أبو يعلى وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس، وسلمة بن الفضل وقد وثقه جماعة ابن معين وابن حبان وأبو حاتم وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح». وأشار الحافظ العراقي في تخريج إحياء علوم الدين إلى تدليس محمد بن إسحاق. فالحديث معلول بالنعنة. والمدلس تقبل روايته إذا كانت بلفظ (حدثني) ولا تقبل إذا قال (عن عن).

وزعموا أنها يوم زفت أسماء بنت النعمان عروسا إلى النبي فقالت لها: «إن النبي ليعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول له: أعوذ بالله منك»، الجواب:

روى الحاكم في المستدرک عن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه قال: تزوج رسول الله أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فجننت بها فقالت حفصة لعائشة: اخضبيها أنت وأنا أمشطها ففعلتا، ثم قالت لها إحداهما: إن النبي يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك، فلما دخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر مد يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك فقال رسول الله بكمه على وجهه فاستتر به وقال: «عدت بمعاذ ثلاث مرات».

هذه القصة المزعومة إسنادها واه كما قال الذهبي في تلخيصه، فهو من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال الدارقطني: «متروك»، وقال ابن عساكر: «رافضي ليس بثقة»، وقال الذهبي: «لا يوثق به»، وفي هذه القصة المزعومة أن القائلة هي إما عائشة أو حفصة؟ فمن أين قطعوا أنه قول عائشة؟ وفي إسناد آخر عند ابن سعد أن القائلة بذلك إحدى نساء النبي ولم يتعين من هي، ولكن إسنادها واه أيضا فهي من طريق الكلبي عن أبيه، وأبوه متهم بالكذب، فهذه القصة مكذوبة من أساسها فلا حجة فيها.

والقصة الصحيحة رواها البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قال: ذكر للنبي امرأة من العرب، فأمر أبا أسيد الساعدي أن يرسل إليها فأرسل إليها، فقدمت فنزلت في أجمل بنى ساعدة، فخرج النبي حتى جاءها فدخل عليها فإذا امرأة منكسة رأسها، فلما كلمها النبي قالت: «أعوذ بالله منك». فقال «قد أعدتكم مني». فقالوا لها: «أتدريين من هذا؟». قالت: «لا». قالوا: «هذا رسول الله جاء ليخطبك». قالت: «كنت أنا أشقى من ذلك». وليس في هذه القصة الصحيحة أي ذكر لحفصة ولا لعائشة ولا ما يفيد علمهما بهذا الأمر من أساسه.

الثاني والعشرون: روايتها حديث إرضاع الكبير

عن عائشة رضي الله عنها أن سالما مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم فأنتت تعنى ابنة سهيل النبي فقالت: «إن سالما قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما عقلوا وإنه يدخل علينا، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا». فقال لها النبي: «أرضعيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة». فرجعت فقالت إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة. (رواه مسلم).

وفي رواية البخاري عن عائشة أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان ممن شهد بدرًا مع النبي تبني سالما، وأنكحه بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لامرأة من الأنصار، كما تبني النبي زيدا، وكان من تبني رجلا في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه حتى أنزل الله: {ادعوهم لآبائهم} إلى قوله {ومواليكم} (الأحزاب: ٥) فردوا إلى آبائهم، فمن لم يعلم له أب كان مولى وأخا في الدين، فجاءت سهيلة بنت سهيل بن عمرو القرشي ثم العامري وهي امرأة أبي حذيفة النبي فقالت: «يا رسول الله، إنا كنا نرى سالما ولدا وقد أنزل الله فيه ما قد علمت ...».

وفي رواية لأبي داود صححها الألباني: «فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة، فبذلك كانت عائشة تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يرضعن من أحببت عائشة أن يراها ويدخل عليها وإن كان كبيرا خمس رضعات، ثم يدخل عليها، وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي أن يدخلن عليهن بتلك الرضاعة أحدا من الناس حتى يرضع في المهد، وقلن لعائشة: «والله ما ندرى لعلها كانت رخصة من النبي لسالم دون الناس». الجواب:

أولا: قال ابن تيمية: «وقد ذهب طائفة من السلف والخلف إلى أن إرضاع الكبير يحرم. واحتجوا بما في صحيح مسلم وذكر الحديث ... ثم قال: وهذا الحديث أخذت به عائشة، وأبي غيرها من أزواج النبي أن يأخذن به، مع أن عائشة روت عنه قال: «الرضاعة من الجماعة»^(١) لكنها رأت الفرق بين أن يقصد رضاعة أو تغذية، فمتى كان المقصود الثاني لم يحرم إلا ما كان قبل الطعام، وهذا هو إرضاع عامة الناس.

وأما الأول فيجوز إن احتيج إلى جعله ذا محرم، وقد يجوز للحاجة ما لا يجوز لغيرها، وهذا قول متوجه، وقال: رضاع الكبير تنتشر به الحرمة في حق الدخول والخلوة إذا كان قد تربى في البيت بحيث لا يحتشمون منه للحاجة، وهو مذهب عائشة وعطاء والليث^(٢).

ثانيا: النص لم يصرح بأن الإرضاع كان بملامسة الثدي وسياق الحديث متعلق بالحرج من الدخول على بيت أبي حذيفة فكيف يرضى بالرضاع المباشر بزعمكم؟ فهل نسي هؤلاء أن النبي حرم المصافحة؟ فكيف يجوز لمس الثدي بينما يحرم لمس اليد لليد؟ والحجة لا تقوم على الخصم بما فهمه خصمه وإنما تقوم بنص صريح يكون هو الحجة، وهل الطفل الذي يشرب الحليب من غير رضعه من الثدي مباشرة يثبت له حكم الرضاعة أم لا؟

(١) - رواه البخاري ومسلم.

(٢) - انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٤/ ٦٠)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٢/ ٢٤٥ - ٢٤٦).

ذكر الفقهاء أن المقصود بالرضاعة هنا أن تفرغ سهلة بنت سهيل لبنها في إناء وترسله لسالم ليشربه وتكرر ذلك خمس مرات وبذلك تحرم عليه ^(١)، روى ابن سعد في (طبقاته) عن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري عن أبيه قال: «كانت سهلة تحلب في مسعط أو إناء قدر رضعته فيشربه سالم في كل يوم حتى مضت خمسة أيام، فكان بعد ذلك يدخل عليها وهي حاسر رخصة من رسول الله لسهولة» ^(٢).

ثالثاً: من المشروع عند الشيعة حتى إرضاع الذكور للذكور، والذين لا يخرج منهم الحليب عادة، ألم يقولوا بأن أبا طالب كان يرضع النبي، ألم يقولوا بأن النبي كان يعطي أصبعه للحسين فيمصه الحسين ويخرج منه حليب مشبع يكفيه يومه كله؟؟؟ اقرءوا هذه الروايات إن شئتم:

١ - عن أبي عبد الله قال: «لم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيضع إبهامه في فيه، فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاث» ^(٣).

٢ - عن أبي عبد الله قال لما ولد النبي مكث أياماً ليس له لبن فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه. فأنزل الله فيه لبناً فوضع منه أياماً حتى وقع أبو طالب على حليلة السعدية فدفعه إليها ^(٤).

٣ - عن أبي الحسن أن النبي كان يؤتى به الحسين فيلقمه لسانه فيمصه فيجتزئ به ولم يرتضع من أنثى ^(٥)

رابعاً: ماذا عن رضاع الصغير عند الحميني، بالطبع الحميني لم يكن يتكلم عن رضاع الطفلة الصغيرة ولكن مفاخذتها وضمها وتقيلها جنسياً، وهذا من عجائب الشيعة الذين ينظرون بدقة بالغة في نصوصنا ثم يصابون فجأة بعمى في أبصارهم عند مطالبتهم بالنظر في كتبهم وكلام مراجعهم الملقبين بآيات الله، يقول الحميني: «وأما سائر الاستمتاع كاللمس بشهوة والضم والتفخيز فلا بأس بها حتى في الرضاعة» ^(٦)، قليلاً من الإنصاف. هل أنتم مبصرون لكتب مخالفكم عمي في شأن كتبكم؟

الخاتمة

(١) - انظر: (شرح الزرقاني ٣ / ٣١٦).

(٢) - انظر: الطبقات الكبرى (٨ / ٢٧١)، الإصابة لابن حجر (٧١٦ / ٧).

(٣) - (الكافي ١ / ٣٨٦).

(٤) - (الكافي ١ / ٣٧٣).

(٥) - (الكافي ١ / ٣٨٧).

(٦) - (تحرير الوسيلة ٢ / ٢١٦).

تؤكد هذه الدراسة حقيقة كبرى تدعمها الأدلة الصحيحة أنّ للسيدة عائشة من الفضائل والمناقب والخصائص ما جعلها تتبوأ مكانة سامقة، رسمت من خلالها نموذجاً إنسانياً باهراً؛ فهي الأقرب إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحب نسائه بعد خديجة إليه، وهذا يعني أنّ لعائشة من الخصائص والصفات ما جعلها تتبوأ تلك المكانة المرموقة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وظهر أنّ عائشة فقيهة الأمة بلا منازع؛ وكانت تفتي المسلمين وتصلح بين المختلفين^(١)، وذلك لما حازته من مؤهلات ومواهب وقدرات يُضاف إلى كلّ هذا البيئة والظروف التي عاشت فيها رضي الله عنها؛ فمن بيت صدّيق الأمة إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فهي تعيش العلم والحكمة بصورتها الأكمل والأتم.

ثمّ هي شخصية سياسية من طراز فريد، تساندها صفات وميّزات قلّ أن تتوفر في شخصية مثلها؛ فهي الحاذقة الماهرة اللبّية الذكية، والعالمة الخليفة والفقيرة العميقة، والبليلة الأريفة، وهي صفات تؤلف في مجموعها شخصية إنسانية نادرة الوجود.

وتركت رضي الله عنها إرثاً علمياً هائلاً في التفسير والفقه والحديث دراية ورواية وإراثاً لا يُبارى في الفتوى واستنباط الأحكام فهي من المساهمين الأساسيين في نقل العلم الشرعي للأمة، يُساعدها ذكاء خارق وحافظة لا تحذلها أبداً.

قدمت الدراسة نموذجاً نسوياً متكاملًا في الفكر والعواطف والسلوك، وشخصية تتمتع ببعيد إنساني رفيع المستوى، مرهفة الإحساس، جميلة الذوق حتى في فصاحتها وبلاغتها وأناقته في كل حيثة من حيثيات حياتها تبرهن للأجيال أنّ المرأة قادرة على النهوض بالوظيفة الكبرى والمهمات العليا في هذه الحياة الدنيا؛ فهي تُصيغ المتون ولا تقبل لنفسها أن تعيش على هامش الحياة.

إنّها شخصية تحتل ببراعة تامّة النموذج الأعلى للمرأة تكره الفراغ والانزواء والانطواء ولا تقبل لنفسها أن تكون ردة فعل عفوية غير واعية، بل هي التي تصنع الحدث، وتقود الحركة، ولا تُعفي نفسها من المسؤولية، ولا تُلقي بالتقصير على الأوهام لتجد لنفسها مبرراً للعودة والسكون والإلغاء. تلك هي المرأة النموذج التي تمتلئ بالمعاني والقيم والأهداف الواضحة؛ فتعيش في القمم لا على السفوح والقيعان.

وانظر إلى وصية رسول الله لسيدة نساء الجنة فاطمة رضي الله عنها بأن تحب عائشة رضي الله عنها قال النبي ﷺ لابنته فاطمة: "أي بنية أأست تحبين ما أحب" فقالت: بلى قال "فأحبي هذه".^(٢)

وقد أجمع العلماء على أن من قال أنّ عائشة زانية فهو كافر مرتد لأنه يكذب الله سبحانه وتعالى وقد جاءت براءتها بنص القرآن الكريم، فاتقوا الله يامن تطعونون بها وبأبيها وبقية الصحابة الكرام وتذكروا أنكم واقفون بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وأنه محاسبكم عن كل هذا وتذكروا قول المصطفى ﷺ إذ يقول: "أتدرون من المفلس؟" قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: "إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا،

(١) -انظر: البداية والنهاية (٧٣/٢).

(٢) -أخرجه البخاري في كتاب الهبة باب من أهدى إلى صاحبه وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم (٢٤٤٢)، باب فضائل فاطمة

رضي الله عنها.

فيُعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فُتيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار".^(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال، حتى يخرج مما قال"^(٢)، "ردغة الخبال": هي عصاة أهل النار. هذا إذا كان الطعن والكلام في أي مسلم، فكيف إذا كان هذا الطعن والكلام والشتم بأم المؤمنين عائشة، أو بأي أحد من الصحابة الكرام. !!!

وفي الختام أُنبِّه على ما جاء في الحواشي من تعليقات مهمة، فأرجو من القارئ ألا يغفل عن قراءتها، والاستفادة مما جاء فيها، وأسأل الله أن ينفع بهذه الدراسة المسلمين، وأسجل نقدي للكثير من الروايات التاريخية وهذا يدعوني إلى حث الباحثين والمشتغلين في علم الحديث والتاريخ لبذل جهد أكبر في تنقية تلك الروايات وتحقيقها وصولاً إلى الحقيقة إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة برقم (٢٥٨١)، والترمذي وغيرهما.

(٢) رواه أبو داود، وصححه الألباني في الترغيب برقم (٢٨٤٥).

المصادر

أُخذ أغلبها عن موقع المكتبة الشاملة الإصدار الثالث <http://www.shamela.ws>

- ١- ابن عبد البر المالكي (٤٦٣هـ)، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار - تحقيق سالم محمد عطاء، ومحمد علي معوض - الناشر دار الكتب العلمية.
- ٢- ابن عبد البر المالكي (٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب - دار النشر: دار الجليل - بيروت ١٤١٢هـ - ط ١ - تحقيق علي محمد البحراوي.
- ٣- المقدسي (٧٦٣هـ) - الآداب الشرعية - موقع الإسلام - www.al-islam.com.
- ٤- الزركشي (٧٩٤هـ) - الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة - تحقيق سعيد الأفغاني - المكتب الإسلامي بيروت - ط ١: ١٩٣٩م، ط ٢: ١٩٧٠م.
- ٥- ابن حجر (٨٥٢هـ) - الإصابة في تمييز الصحابة - دار الجليل - بيروت - ط ١: ١٤١٢ - تحقيق علي محمد البحراوي - عدد الأجزاء: ٨.
- ٦- ابن تيمية (٧٢٨هـ) - الإمامة في ضوء الكتاب والسنة - جمع وتقدم وتعليق محمد مال الله - عدد الأجزاء: ٢.
- ٧- ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) - الإمامة والسياسة - تحقيق خليل المنصور - دار الكتب العلمية ١٩٩٧م - بيروت - عدد الأجزاء: ٢.
- ٨- ابن نجيم الحنفي (٩٢٦هـ - ٩٧٠هـ) - البحر الرائق شرح كنز الدقائق - دار المعرفة - بيروت.
- ٩- ابن كثير (٧٠٠هـ - ٧٧٤هـ) - البداية والنهاية - حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري - دار إحياء التراث العربي - ط ١: ١٤٠٨ هـ -
- ١٠- ابن عاشور التونسي - (١٢٩٦هـ - ١٣٩٣هـ) - التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور) - دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس ١٩٩٧م - الأجزاء: ٣٠.
- ١١- الزحيلي: وهي - التفسير الوسيط - دار الفكر - دمشق - ط ١: ١٤٢٢هـ.
- ١٢- ابن حبان البستي - (ت ٣٥٤هـ) - الثقات - دار الفكر - ط ١: ١٩٧٥ - تحقيق السيد شرف الدين أحمد - عدد الأجزاء: ٩.
- ١٣- القرطبي (ت ٦٧١هـ) - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - دار عالم الكتب - الرياض - ط ١: ١٤٢٣ هـ - عدد الأجزاء: ٢٠.
- ١٤- الماوردي: أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري - (٣٦٤هـ - ٤٥٠هـ) - الحاوي الكبير - دار الفكر - بيروت - عدد الأجزاء: ١٨.
- ١٥- الشحود: علي بن نايف - الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرفض - المكتبة الشاملة ٣.
- ١٦- الشحود: علي بن نايف - الخلاصة في شرح حديث الولي - المكتبة الشاملة ٣.
- ١٧- السيوطي (٨٤٩هـ - ٩١١هـ) - الدر المنثور في التآويل بالمأثور - دار الفكر - بيروت ١٩٩٣م - عدد الأجزاء: ٨.
- ١٨- المباركفوري: صفى الرحمن - (١٩٤٢م - ٢٠٠٦م) - الرحيق المختوم - ملتقى أهل الحديث - www.ahlalhdeth.com.
- ١٩- السهيلي (٥٠٨هـ - ٥٨١هـ) - الروض الأنف - تحقيق عمر عبد السلام السلمي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ١: ٢٠٠٠م.
- ٢٠- المحب الطبري: أبو جعفر، أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ) - الرياض النضرة في مناقب العشرة - موقع الوراق - www.alwarraq.com.
- ٢١- ابن السري الكوفي (١٥٢هـ - ٢٤٣هـ) - الزهد - دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت - ط ١: ١٤٠٦ - تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي.
- ٢٢- الألباني: (١٩١٤م - ١٩٩٩م) - السلسلة الصحيحة - مكتبة المعارف - الرياض - عدد الأجزاء: ٧.
- ٢٣- التركماني - السنن الكبرى وفي ذيله الجواهر النقي - مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد - ط ١: ١٣٤٤ هـ - عدد الأجزاء: ١٠.
- ٢٤- ابن هشام (ت ٢١٣) - السيرة النبوية لابن هشام - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - دار الجليل - ١٤١١هـ - بيروت - عدد الأجزاء: ٦.
- ٢٥- ابن تيمية - الصارم المسلول على شاتم الرسول - دار ابن حزم - بيروت - ط ١: ١٤١٧ - تحقيق محمد عبد الله عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودي.
- ٢٦- الهيتمي - الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقه - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١: ١٩٩٧ - تحقيق عبد الرحمن التركي، وكامل محمد الخراط.
- ٢٧- ابن سعد: أبو عبد الله، محمد بن منيع البصري الزهري - الطبقات الكبرى - دار صادر - بيروت - عدد الأجزاء: ٨.
- ٢٨- الشحود: علي بن نايف - الفتنة في عهد الصحابة - المكتبة الشاملة ٣.
- ٢٩- الزرهوني: محمد الفضيل الشبيهي - الفجر الساطع على الصحيح الجامع - المكتبة الشاملة ٣.
- ٣٠- أحمد فريد - الفوائد البديعية في فضائل الصحابة وذم الشيعة - الدار السلفية للنشر والتوزيع.
- ٣١- الزمخشري - الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل (الكشاف) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق عبد الرزاق المهدي.
- ٣٢- النووي: أبو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف - المجموع شرح المذهب - توفي ٦٧٦هـ - موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف www.mktaba.org.
- ٣٣- الحاكم - المستدرک على الصحيحين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١: ١٩٩٠ - تحقيق مصطفى عطا مع الكتاب تعليقات الذهبي في التلخيص.
- ٣٤- الطبراني - المعجم الكبير - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ط ١: ١٩٨٣ - تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي - عدد الأجزاء: ٢٠.
- ٣٥- الشحود: علي بن نايف - المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام - المكتبة الشاملة ٣.
- ٣٦- الشحود: علي بن نايف - المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه - المكتبة الشاملة ٣.
- ٣٧- الباجي: أبو الوليد، سليمان بن خلف الأندلسي - المنتقى - شرح الموطأ - موقع الإسلام - www.al-islam.com.
- ٣٨- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الموسوعة الفقهية الكويتية - الكويت - عدد الأجزاء: ٤٥ - الطبعة ١٤٠٤هـ - ١٤٢٧هـ.
- ٣٩- الأجزاء (١ - ٢٣) - ط ٢ - دار السلاسل - الكويت.
- ٤٠- الأجزاء (٢٤ - ٣٨) - ط ١ - دار الصفوة - مصر.
- ٤١- الأجزاء (٣٩ - ٤٥) - ط ٢ - طبع الوزارة.
- ٤٢- الماوردي: علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي - (ت ٤٥٠هـ) - النكت والعيون - موقع التفاسير - www.altafsir.com.
- ٤٣- ابن العربي: أبو بكر، المالكي - أحكام القرآن لابن العربي - موقع الإسلام - <http://www.al-islam.com>.
- ٤٤- ابن الأثير: أبو الحسن، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري - (٥٥٥هـ - ٦٣٠هـ) - أسد الغابة - موقع الوراق www.alwarraq.com.

- ٤٥- الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - ط ١٤١٥ هـ - موقع مكتبة المدينة الرقمية.
- ٤٦- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي الكاتب - (ت ٢٧٩ هـ) - أنساب الأشراف - موقع الوراق - www.alwarraq.com.
- ٤٧- عبد القادر محمد عطا - أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب - ١٤١٣هـ - www.waqfeya.com.
- ٤٨- أبو بكر الجزائري - أسير التفاسير لكلام علي الكبير - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ط ٥ - ١٤٢٤هـ - موقع مكتبة المدينة.
- ٤٩- الغزالي: أبو حامد، محمد بن محمد - إحياء علوم الدين - دار المعرفة - بيروت - عدد الأجزاء: ٤.
- ٥٠- الفوزان: صالح بن فوزان بن عبد الله - إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد - مؤسسة الرسالة - ط ٣ - ١٤٢٣هـ - عدد الأجزاء: ٢.
- ٥١- ابن القيم - بدائع الفوائد - مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ط ١ - ١٤١٦هـ - تحقيق هشام عطا، وعادل عبد الحميد العدوي، وأشرف أحمد
- ٥٢- ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة - بغية الطلب في تاريخ حلب - موقع الوراق - www.alwarraq.com.
- ٥٣- الزبيدي: أبو الفيض، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني - تاج العروس من جواهر القاموس - دار الهداية - عدد الأجزاء: ٤٠.
- ٥٤- الذهبي - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - ط ١ - تحقيق عمر عبد السلام تدمري.
- ٥٥- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر - تاريخ الخلفاء - مطبعة السعادة - مصر - ط ١ - ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- ٥٦- الخطيب: أبو بكر، أحمد بن علي البغدادي - تاريخ بغداد - دار الكتب العلمية - بيروت - عدد الأجزاء: ١٤.
- ٥٧- ابن عساکر: علي بن الحسن بن هبة الله - تاريخ دمشق - www.ahlalheeth.com.
- ٥٨- المباركفوري: أبو العلا، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم - تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي - دار الكتب العلمية - بيروت - عدد الأجزاء: ١٠.
- ٥٩- المقدسي: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر - تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي - غراس للنشر والتوزيع - ط ١ - ١٤٢٤هـ.
- ٦٠- ابن عجيبة - تفسير ابن عجيبة (البحر المديد) - عدد الأجزاء: ٨ - دار الكتب العلمية. بيروت - ط ٢ - ١٤٢٣ هـ.
- ٦١- ابن كثير - (ت٧٧٤هـ) - تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) - تحقيق سامي بن محمد سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط ٢ - ١٤٢٠هـ -
- ٦٢- أبو حيان - تفسير البحر المحيط - دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - ١٤٢٢ هـ - ط ١ - عدد الأجزاء: ٨.
- ٦٣- الرازي: أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين الشافعي - تفسير الفخر الرازي - عدد الأجزاء: ٣٢ - دار إحياء التراث العربي.
- ٦٤- المزني: أبو الحجاج - تهذيب الكمال - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - ١٤٠٠هـ - تحقيق بشار عواد معروف - عدد الأجزاء: ٣٥
- ٦٥- الطبري - (ت٣١٠هـ) - جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) - تحقيق أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٤٢٠ هـ
- ٦٦- ابن عبد البر - جامع بيان العلم وفضله - تحقيق أبو عبد الرحمن فوز أحمد زمري - مؤسسة الريان - دار ابن حزم - ط ١ - ١٤٢٤هـ.
- ٦٧- الألوسي: أبو الفضل - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - عدد الأجزاء: ٣٠.
- ٦٨- ابن القيم (ت٧٥١هـ) - زاد المعاد في هدي خير العباد - موقع الإسلام - www.al-islam.com.
- ٦٩- الضعاعي (ت١١٨٢هـ) - سبل السلام - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - ط ٤ - ١٣٧٩هـ - موقع مكتبة المدينة الرقمية - www.raqamiya.org.
- ٧٠- الصالح: محمد بن يوسف الشامي - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - موقع يعسوب - www.yasooob.com.
- ٧١- علي حشيش - سلسلة الأحاديث الواهية - www.shamela.ws.
- ٧٢- عبد الملك العاصمي - سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - موقع الوراق - www.alwarraq.com.
- ٧٣- ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - (ت٢٧٣هـ) - سنن ابن ماجة - موقع الإسلام - www.al-islam.com.
- ٧٤- الترمذي: أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاک - (ت٢٧٩هـ) - سنن الترمذي - موقع الإسلام - www.al-islam.com.
- ٧٥- الدارقطني: أبو الحسن، علي بن عمر البغدادي - سنن الدارقطني - دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٦هـ - تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني - عدد الأجزاء: ٤.
- ٧٦- النسائي: سنن النسائي الكبرى - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤١١هـ - تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن.
- ٧٧- أبو داود (ت٢٧٥هـ) - سنن أبي داود - موقع الإسلام - www.al-islam.com.
- ٧٨- علي بن محمد باخيل آل بابطين - سنوات الحنابلة - www.shamela.ws.
- ٧٩- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان - (ت٧٤٨هـ) - سير أعلام النبلاء - ط ٩ - ١٤١٣هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا.
- ٨٠- الزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك - دار الكتب العلمية - ١٤١١هـ - بيروت - عدد الأجزاء: ٤.
- ٨١- البغوي: أبو محمد، الحسين بن مسعود - (ت٥١٠هـ) - شرح السنة للبغوي - www.shamela.ws.
- ٨٢- الألباني: محمد ناصر الدين - شرح العقيدة الطحاوية - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ٢ - ١٤١٤هـ.
- ٨٣- صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - شرح العقيدة الطحاوية - www.shamela.ws.
- ٨٤- هراس: محمد بن خليل - شرح العقيدة الواسطية - ط ١ - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - ١٤١٣هـ - موقع الإسلام -
- ٨٥- ابن النجار (ت٩٧٢هـ) - شرح الكوكب المنير - تحقيق محمد الزحيلي، ونزيه حماد - مكتبة العبيكان - ط ٢ - ١٤١٨هـ - موقع مكتبة المدينة الرقمية -.
- ٨٦- النووي - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح التتوي) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٢هـ - عدد الأجزاء: ١٨.
- ٨٧- ابن بطلال - شرح صحيح البخاري لابن بطلال - مكتبة الرشد - السعودية - الرياض - ١٤٢٣هـ - ط ٢ - تحقيق ياسر بن إبراهيم - عدد الأجزاء: ١٠.
- ٨٨- الغنيمان: عبد الله بن محمد - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري - www.shamela.ws.
- ٨٩- العثيمين: محمد بن صالح بن محمد - (ت١٤٢١هـ) - شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد - www.shamela.ws.
- ٩٠- الطحاوي (٢٣٩هـ - ٣٢١هـ) - شرح مشكل الآثار - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٨هـ - لبنان - بيروت - عدد الأجزاء: ١٥.

- ٩١- البيهقي: أحمد بن الحسين - شعب الإيمان - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤١٠هـ - تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول - عدد الأجزاء: ٧.
- ٩٢- ابن حبان: أبو حاتم، محمد بن أحمد التميمي البستي - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ - ١٤١٤هـ.
- ٩٣- ابن خزيمة - صحيح ابن خزيمة - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٠هـ - تحقيق محمد مصطفى الأعظمي - عدد الأجزاء: ٤.
- ٩٤- البخاري (ت ٢٥٦هـ) - الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري) - موقع الإسلام - www.al-islam.com.
- ٩٥- مسلم: أبو الحسن، بن الحجاج القشيري النيسابوري - (ت ٢٦١هـ) - الجامع الصحيح (صحيح مسلم) - موقع الإسلام - www.al-islam.com.
- ٩٦- الألباني: صحيح وضعيف سنن ابن ماجة - برنامج منظومة التحقيقات الحديثة - مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة - الإسكندرية.
- ٩٧- ابن الجوزي: أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد - صفة الصفوة - دار المعرفة - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٩هـ .
- ٩٨- العراقي: زُؤَالُ الدِّينِ بن عَبْدُ الرَّحِيم - طرح التثريب - موقع الإسلام - <http://www.al-islam.com>
- ٩٩- محمد علي قطب - عائشة معلمة الرجال والأجيال - مكتبة الفرقان - www.almeshkat.net.
- ١٠٠- النسائي: أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني - (ت ٣٠٣هـ) - عشرة النساء - www.shamela.ws.
- ١٠١- حسن الشيخ - عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة - مكتبة الرشد - الرياض - المملكة العربية السعودية - ط ٣ - موقع مكتبة المدينة الرقمية -
- ١٠٢- العيني - عمدة القاري شرح صحيح البخاري - www.ahlalheeth.com.
- ١٠٣- العظيم آبادي: أبو الطيب، محمد شمس الحق - عون المعبود شرح سنن أبي داود - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - عدد الأجزاء: ١٤.
- ١٠٤- ابن الملقن - غاية السؤل في خصائص الرسول - دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤١٤هـ - تحقيق عبد الله بحر الدين عبد الله.
- ١٠٥- موقع الإسلام اليوم - فتاوى واستشارات - www.islamtoday.net .
- ١٠٦- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني الشافعي - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - دار المعرفة - بيروت - ١٣٧٩هـ - عدد الأجزاء: ١٣.
- ١٠٧- الشوكاني: محمد بن علي - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - عدد الأجزاء: ٥.
- ١٠٨- قطب: سيد بن إبراهيم بن حسين - (ت ١٣٨٥هـ) - في ظلال القرآن - موقع التفاسير - www.altafsir.com.
- ١٠٩- المناوي: محمد بن عبد الرؤوف - فيض القدير شرح الجامع الصغير - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٥هـ.
- ١١٠- ابن منظور: محمد بن مكرم الأفرقي المصري - (ت ٧١١هـ) - لسان العرب - دار صادر - بيروت - ط ١ - عدد الأجزاء: ١٥.
- ١١١- السفاريني الحنبلي - (ت ١١٨٨هـ) - لواعج الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية - مؤسسة الخافقين - دمشق - ط ٢ - ١٤٠٢هـ
- ١١٢- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - موقع الجامعة على الإنترنت - www.iu.edu.sa/Magazine -
- ١١٣- الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - دار الفكر - بيروت - ١٤١٢هـ - عدد الأجزاء: ١٠.
- ١١٤- ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الخنطلي المروزي - مسند ابن راهويه - ط ١ - ١٤١٢هـ - مكتبة الإيمان - المدينة المنورة
- ١١٥- ابن حنبل - مسند الإمام أحمد بن حنبل - مؤسسة قرطبة - القاهرة - عدد الأجزاء: ٦ - الأحاديث مذبلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها.
- ١١٦- أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى الموصلبي التميمي - مسند أبي يعلى - دار المأمون للتراث - دمشق - ط ١ - ١٤٠٤هـ.
- ١١٧- البغوي - معالم التنزيل (مختصر تفسير البغوي) - ط ١ - دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤١٦هـ - www.al-islam.com.
- ١١٨- ابن تيمية: أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم الحراني - منهاج السنة النبوية - تحقيق محمد رشاد سالم - مؤسسة قرطبة - ط ١ - عدد الأجزاء: ٨.
- ١١٩- الشحوذ: علي بن نايف - موسوعة البحوث والمقالات العلمية - www.shamela.ws.
- ١٢٠- موسوعة توحيد رب العبيد - www.shamela.ws .
- ١٢١- مالك بن أنس الأصبحي - موطأ الإمام مالك - دار القلم - دمشق - ط ١ - ١٤١٣هـ - تحقيق تقي الدين الندوي - عدد الأجزاء: ٣.
- ١٢٢- محمد برهان - نساء حول الرسول - www.shamela.ws .
- ١٢٣- ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي معوض، والشيخ عادل عبد الموجود، ج ١، ج ٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- ١٢٤- ابن الأثير الجزري، أبو الحسن، علي بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، أشرف عليه وقدم له: علي الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ.
- ١٢٥- الآمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، علّق عليه: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ج ٤، دار الصيمعي، الرياض، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- ١٢٦- الإسنوي، جمال الدين، عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول: مطبوع مع شرح البدخشني، ج ٣، مطبعة محمد علي صبيح، مصر.
- ١٢٧- الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل. سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، تحقيق: خليل شيحا، ج ٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٥م.
- ١٢٨- الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ج ٦، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- ١٢٩- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، ج ٩، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- ١٣٠- البسام، عبد الله بن عبد الرحمن، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، دار الميمان، الرياض، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- ١٣١- بشر بن فهد، ١٩٨٥م، أثر عائشة أم المؤمنين في نشر العلم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض،
- ١٣٢- بوزيان، عاشور. (٢٠٠٩م)، فقه الموازنات في الدعوة وتطبيقاته من خلال منهج النبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.
- ١٣٣- البيهقي السنن الكبرى، تحقيق: محمد عطا، ط ٣، ج ٩، ج ١٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ١٤٢٤هـ.
- ١٣٤- الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، اعتنى به: فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ١٣٥- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ج ٣، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- ١٣٦- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: د. عبد الله التركي، ج ١٤، دار هجر، القاهرة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

- ١٣٧- حصوة، ماهر حسين، فقه الواقع وأثره في الاجتهاد، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، هيريدن، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م،
- ١٣٨- ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله عباس، ج٢، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- ١٣٩- حوامدة، باسم، ١٩٩٤م، مشكلات طلبة الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- ١٤٠- الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، ج٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
- ١٤١- أبو داود، عبد الله بن الأشعث، مسند عائشة، دراسة وتحقيق: الشيخ عبد الغفور حسين، مكتبة الأقصى، الكويت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ١٤٢- الدخيل، سعيد فايز، موسوعة فقه عائشة أم المؤمنين: حياتها وفقهها، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٩م.
- ١٤٣- دروزة، أنان نظير، النظرية في وضع الأسئلة التعليمية: دليل المعلم والطالب، نابلس، ١٩٩٧م.
- ١٤٤- ابن دقيق العيد، تقي الدين، محمد بن علي، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ١٤٥- محمد بن عبد الله الدويش، "لقطات من هدي النبي في التعليم"، منشور في موقع: مداد <http://www.midad.me/arts/view/8725>
- ١٤٦- رازي، نادية، ٢٠٠٦م، فقه الأولويات ودوره في الحكم على القضايا السياسية المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.
- ١٤٧- رامي، ليلى، "قراءة في استدراقات أم المؤمنين عائشة على روايات الصحابة"، مجلة إسلامية المعرفة، السنة: ١٠، ع: ٣٩، ٢٠٠٥م، ص ١٩١-٢٣٠.
- ١٤٨- الزحيلي، وهبة، أصول الفقه الإسلامي، ج٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- ١٤٩- الزركشي البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير: د. عبد الستار أبو غدة، ط٢، ج٦، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- ١٥٠- زوزو، فريدة، "التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية لمقررات الفقه وأصوله"، مجلة إسلامية المعرفة، (صيف ٢٠٠٥م)، ع: ٤١، ص ١٤١-١٦٦.
- ١٥١- سعادة، جودت أحمد. أساليب تدريس الموهوبين والمتفوقين، مركز ديونو، عمان، ٢٠١٠م.
- ١٥٢- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبير، تحقيق: د. علي محمد عمر، ج٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- ١٥٣- أبو سعيد، تقي إبراهيم، ١٤١٧هـ، فقه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بابي الطهارة والصلاة، دراسة مقارنة بين المذاهب الفقهية الأربعة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- ١٥٤- ابن سلام، القاسم، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق: أحمد الخياطي، ج١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٩٥م، ١٤١٥هـ.
- ١٥٥- السويلم، بندر بن فهد، منهج الفقه في عصر النشأة، منشور في موقع الفقه الإسلامي:
- 156- <http://www.islamfeqh.com/Nawazel/NawazelItem.aspx?NawazelItemID=695>
- ١٥٧- السيوطي، عين الإصابية في استدرار عائشة على الصحابة، تحقيق: عبد الله درويش، مكتبة العلم، القاهرة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.
- ١٥٨- ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه: عادل مرشد، دار الأعلام، عمان، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- ١٥٩- العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، ط٢، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٩٦٨م.
- ١٦٠- الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج٢، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٤هـ.
- ١٦١- القاري، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: الشيخ جمال عيتاني، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- ١٦٢- القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين مستو ورفاقه، ج٤، ج٥، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، ١٩٩٦م.
- ١٦٣- القسطلاني، شهاب الدين، أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط٦، ج٦، ج٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٠٥هـ.
- ١٦٤- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، قرأه وقدم له: الشيخ مشهور آل سلمان، ج٢، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٣هـ.
- ١٦٥- كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
- ١٦٦- لاشين، موسى شاهين، تيسير صحيح البخاري، ج١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- ١٦٧- اللكنوي، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، ضبطه: عبد الله عمر، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- ١٦٨- المبارك، محمد، الإسلام والفكر العلمي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- ١٦٩- المباركفوري، تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي، أشرف على مراجعته: عبد الوهاب عبد اللطيف، ج٤، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- ١٧٠- مبيض، محمد سعيد، موسوعة حياة الصحابييات، مكتبة الغزالي، إدلب، ١٩٩٠م.
- ١٧١- المزني، جمال الدين، أبو الحجاج، يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار معروف، ج٣٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.
- ١٧٢- مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- ١٧٣- الموسى، أسماء "المنهج الأصولي لأم المؤمنين عائشة وأثره في الأحكام الشرعية إزاء المرأة"، مجلة البحوث الفقهية، ع: ٨٠، ذو القعدة إلى صفر، ١٤٢٧هـ.
- ١٧٤- النووي، محيي الدين، أبو زكريا، محيي بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيت الأفكار الدولية، عمان، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- ١٧٥- الهيثمان وملكاوي، "منهج القرآن الكريم في تنمية التفكير"، مجلة أبحاث اليموك: العلوم الاجتماعية والإنسانية، م١٨، ع٢٤، حزيران ٢٠٠٥م.
- ١٧٦- الوكيل، محمد، فقه الأولويات: دراسة في الضوابط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، ١٩٩٧م.